

٨٨

حاشية على تفسير القاضي البيضاوي
من سورة النبأ الى آخر القرآن
للعلامة المعروف بملا قره باغي
يوسف
حنفي رحمه الله

مضاربه

تملكه الفقير عبد القادر
المدرس

الحمد لله
من كتب
اسمعيل
ان قعد

١

شرف بتملكه العبد الفقير
محمد عثيم اردكاني

تشرف بتملكه العبد الفقير المحتاج الى ربه
اسمعيل بن حسين الواعظ
حفظ عن الخطايا ربه الحافظ

من كتب الفقير الى ربه الصمد
[illegible] محمد اسعد
عفي عنهما
سنة [illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النبا قوله وآيها اربعون او احدى واربعون بسم الله
الرحمن الرحيم قوله يتساءلون وقرئ يسالون بالادغام قوله اصله
عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون في الميم فصار عما وقرئ بها ثم
حذفت الالف تفرقة بين الاستفهام والخبر او ليؤذن بشدة الاتصال
او لكثرة الدوران وغلبة الاستعمال المشهور وقيل اثبات الالف
اضعف اللغتين قوله كانه لفخامته خفي جنسه هذا مبني على ان السوال
بما عن الجنس يقول ما عندك اي اي اجناس الاشياء عندك وجوابه
كتاب او نحوه هذا اصله ثم جرد ههنا للتفخيم فوقع في كلام من لا يخفى
عليه خافية واعلم ان تفسيره بعد ابهامه ايضا يفيد تفخيمه وكذا الله
التعبير بهذا وقد يسال بما يسال عن الوصف يقول ما زيد جوابه
الكريم ونحوه وفي الحديث سيروا فقد سبق المفردون قيل
ما المفردون يا رسول الله فقال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات
وحملها هنا على هذا المعنى ايضا جائز قوله عن البعث اختاره لكونه انسب
والصق لما سياتي من الكلام المجيد وقيل المتساءل عنه القران وقيل
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يراد به التوحيد او دين
محمد صلى الله عليه وسلم او النبوة مطلقا قوله فيما بينهم هذا مبني على
ما هو المشهور في صيغة التفاعل بخلاف الوجه الثاني ولذا ايده
بايراد النظير وهو قولهم يتداعونهم ويتراءونهم والمسئول فيه هو

الرسول

الرسول والمؤمنون ويمكن ان يكون واحدا منهما وان يكون اعم
من اهل مكة والرسول ثم الحذف للتعميم في المفعول مع الاختصار
في العبارة كقوله والله يدعو الى دار السلام قوله والمعنى ان اهل
مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على
طريق الاستهزاء وكفار غير مكة منفردين او بالاقول ويجوز ان يكون
التساؤل ههنا من قبيل تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم تنبيها على ان
الغرض اثبات الفعل مطلقا ثم ان تساؤل اهل مكة فيما بينهم عن
البعث يمكن ان يكون استهزاء كما ان سوالهم عنه الرسول والمؤمنين
كذلك فقوله استهزاء يجوز ان يكون من قبيل التنازع ويستحق ان
يعلم ان سوال اهل مكة كلهم لا يلزم ان يكون للاستهزاء كيف اذا كانوا
شاكين قوله والناس اي للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا
يسالون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد
استهزاء ويمكن جعل الضمير للكافرين مطلقا سواء كانوا من مكة او لا
وجعله للمسلمين فقط بعيد قوله عن النبا العظيم الراغب عظم الشيء اصله
كبر عظمه
ثم استعير لكل كبير ما جرى مجراه محسوسا كان او معقولا عينا كان
او معنى قوله بيان للشان المفخم يريد ان قوله عن النبا العظيم متعلق
بالمتساءلون لانه اخذ صلته واي تكم بل هو صلة محذوف على
طريق الاستئناف للبيان فانه لما قيل عم اي شيء عظيم يتساءلون
قيل وما ذلك الشيء العظيم الذي يتساءلون عنه فقيل يتساءلون عن النبا

العظيم الذي هو البعث وإذا وقف على عمّ لا يكون صلة للمذكور وبعده
مثل لم قال صاحب الكشف عن النبأ لا يجوز أن يكون بدلا من قوله
عمّ بنيّة لأنه لو كان بدلا لوجب تكرار حرف الاستفهام لأن الجار
المتصل بحرف الاستفهام إذا أعيد أعيد معه حرف الاستفهام المستفهم
بها كقولك بكم ثوبك أبعشرين أم بثلثين ولا يجوز بعشرين بغير همزة
فيكون متعلقا بفعل آخر دون هذا الظاهر وقال أبو البقاء ويجوز
أن يكون بدلا والألف للاستفهام التي ينبغي أن تعاد محذوفة ولعله
يجوز أن يكون عطف بيان أيضا قوله ويدل عليه قراءة يعقوب في
الكشاف وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو إما أن يجري الوصل
مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبأ العظيم
على أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسر كشيء مبهم ثم يفسر ومنه يتساءلون
وجه دلالة قراءة ابن كثير على ما ذكره المصنف ولا يظهر وجه عدوله عما في الكشاف
قوله الذي هم فيه مختلفون صفة أخرى للنبأ أو بدل منه أو عطف بيان
له أو مرفوع على المدح أو منصوب كذلك وعن بعضهم الضمير في هم
مختلفون تأكيد فيه معنى الاختصاص ولم يكن لقريش اختصاص بالاختلاف ف
لكن لما كان خوضهم فيه أكثر وتعنتهم له أظهر جعلوا كأنهم مختصون به كذا
قيل وفيه بحث قوله بجزم النفي والشك يعني أن الضمير في يتساءلون
إن كان لأهل مكة فاختلافهم في البعث بجزم نفيه والشك فيه وإن كان
وهو للناس فاختلافهم فيه بالإقرار والإنكار لأنهم إن كانوا مسلمين

3

فهم مقرّون وإن كانوا كافرين فهم منكرون وليس الأمر كذلك لأن بعض الكافرين شاكّ
كما ذكر في التوجيه الأول والأولى أن يقال في التوجيه الثاني أو
بالإقرار والإنكار والشك قوله ردع على التساؤل ووعيد عليه لا
وجه للردع عن تساؤل المؤمنين وللوعيد عليه بل إنما يظهر عن تساؤل
الكافرين استهزاء وهذا يدل على بعد جعل الضمير للناس ورجحان
جعله لأهل مكة كما لا يخفى وقيل كلا ردع عن الاختلاف ولا أن
ما ذكره المصنف أنسب بسياق الكلام وإن كان هذا أول أوجب وسيعلمون
أن يعلم أن كلا هنا يمكن أن يكون بمعنى حقا كقوله كلا إن الإنسان
ليطغى ويجوز أن يكون للتنبيه وكذا الحال في سائر المواضع قوله
وثم للإشعار بأن الوعيد الثاني بل مجموع الردع والوعيد الثاني
فإن كلمة ثم داخلة عليهما ولعل وجه الإشعار أن ثم للتراخي في الرتبة
على هذا التقدير تأمل قوله وقيل الأول عند النزع والثاني القيمة
أو الأول عند النزع والثاني عند القبر والأول عند القبر والثاني في
القيمة أو الأول عند النفخة الأولى والثاني في النفخة الثانية وأمثال
ذلك هذا وقد يقال لا يظهر وجه ذكر كلا بعد ثم وكذا التوجيه
الأخير لو أريد بالأول فيه العلم الأول والوعيد الأول ثم لو أريد
بالأول كلا سيعلمون الأول يعني مجموع الردع والوعيد كان له وجه
وإن كان بعيدا قوله على تقدير قل لهم سيعلمون ويحتمل الالتفات
كما في قوله وخلقناكم أزواجا قوله ألم نجعل لما كان هذا إشارة إلى

شك م … سؤال المؤمنين … م

الدليل الدال على ما هو مذكور سابقا وهو تحقق البعث كما ذكره
فصله مما قبله ويمكن ان يكون فصله عما سبق لاجل انهما خبرا وانشا وقد
يقال ان قوله الم نجعل الارض الى قوله ان يوم الفصل تعداد
للنعم العامة واظهار لكفران المستهزئين عن البعث استهزاء بتلك
النعم ويمكن ان يراد به التنبيه على الاستدلال على صحة البعث مع
الاشارة الى الكفران المذكور قوله مهادا اي فراشا ومقرا قوله والجبال
اوتادا اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد قوله تذكير
ببعض ما عاينوا من عجايب صنعه الدالة على كمال قدرته فيه تنبيه على ان
صنايعه الدالة على كمال قدرته فيه تنبيه على ان صنايعه الدالة على كمال
قدرته الى كثيرة ومنها عجايب ومنها ما عاينوا ومنه ما ذكره هنا فعلى
هذا كلمة من في قوله من عجايب صنعه للتبعيض او لبيان ما عاينوا لا
لبيان البعض واضافة العجايب الى الصنع بمعنى اللام لا من قبيل اضافة
الصفة الى الموصوف وانما اخترنا الاحتمال المذكور من بين الاحتمالات
لجزالة المعنى فيه فتدبر ثم ان المنكرين للبعث ان انكروا صحته كان ما ذكره دليلا
على نقيض ما اعتقدوه بلا اعتبار مقدمة اخرى والا فلا بد من اعتبار
مقدمة اخرى وهي انه لما ثبت صحته وامكانه ظهر انه لا وجه للاستبعاد
والاستهزاء للقائل به والحق انهم منكرون لصحته وامكانه كما يشعر به
ظاهر كلام المصنف حيث قال ليستدلوا بذلك على صحة البعث وفي الكشاف
لما انكروا البعث قيل لهم الم نخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلا

لا للتبيين ح

العجيبة

العجيبة الدالة على كمال القدرة فاوجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع
كهذه الاختراعات او قيل الم نفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل
فعلا عبثا وما ينكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما
فعل وفيه انه انما يتم اذا اعترفوا بان من يضاف اليه البعث خالق هذه
الخلائق العجيبة ولو سلم فانما يفيد اذا لزم منه عموم قدرته لجميع الممكنات
واذا ثبت ان البعث انما هو اختراع كهذه الاختراعات وللبحث في
كل منها مجال واسع اللهم الا ان يقال انه دليل ظني ثم اعلم ان التوجيه
الاول يدل على صحة البعث وامكانه والثاني يدل على وقوعه في الجملة
لكنه لا يتم الا على اصول المعتزلة كما هو رايه ومع ذلك لزوم كونه عابثا
في كل ما فعل مما لا بد له من بيان ولعل المصنف لاجل ذلك لم يلتفت الى
هذا الوجه تامل قوله اي انها لهم كالمهد يدل على انه من قبيل التشبيه البليغ
كقولنا زيد اسد واما على القراءة الاولى فعلى الحقيقة لان المهاد بمعنى
الفراش وهو ثابت حقيقة للارض هذا استعارة من كلام المص وكذا
الحال في قوله والجبال اوتادا ثم اعلم ان المهد لما كان مصدرا كما ذكره
جاز ان يكون من قبيل الوصف بالمصدر كقولهم رجل عدل وان يكون
من قبيل حذف المضاف بمعنى ذات مهد وان يكون بمعنى المفعول اي الممهود
وانه شايع قوله وخلقناكم فيه التفات شاهد على شدة الغضب والتعال
من الانشاء الى الخبر عطف عليه للتنبيه على ان الانشاء سابقا في معنى الخبر
قوله ذكرا وانثى وقيل اصنافا واضدادا وقيل الوانا بيضاء وسودا

وخلقناكم

وحمزة قوله لانه احد التوفين اشارة الى قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها قوله غطاء يستر بظلمته او يستر بظلمته ما لا يحبون
الاطلاع قوله وقت معاش المعاش اما مصدر يقال عاش يعيش عيشا
ومعاشا ومعيشة وعيشة واما اسم الزمان او اسم مكان قوله وحيوة في
الكشاف لما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة في
قوله وجعلنا النهار معاشا قيل رعاية المطابقة بين قوله وجعلنا نومكم سباتا
وبين قوله وجعلنا النهار معاشا والمطابقة الحقيقية انما هي بينه وبين قوله
وجعلنا يقظتكم حيوة فوضع موضع اليقظة النهار لانها تقع فيه غالبا وموضع
حيوة معاشا فتبين قوله وجعلنا الليل لباسا جملة مستطردة بين القرينتين
لذكر النوم في القرينة الاولى بهذا التوجيه بعيد من الكلام اذ النهار في مقابلة
الليل لا في مقابلة النوم كما هو الظاهر والقول بانه في مقابلة النوم واخذ الليل
سببا مما لا يقبله الذوق السليم وايضا ينبني على هذا التقدير قوله وخلقناكم
ازواجا بلا قرينة والظاهر ان قوله وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا
قرينتان متقابلتان وكذا قوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا
قوله سبع سموات هي افلاك الكواكب السبعة السيارة فان الفلكين الاخرين
يسميان كرسيا وعرشا قوله وجعلنا سراجا وهاجا اي خلقنا فيها سراجا
وهاجا اي الشمس فجعلنا ههنا ليس بمتعد الى مفعولين كما في قوله وجعلنا سباتا
ثم انه وجعل سراجا مفعولا اولا لجعل ليس بظاهر لانه موصوف بقوله وهاجا
ثم اعلم ان الوهاج ان اخذ من الوهج بالسكون والوهاج كان بمعنى

اليقظة

الوقاد

الوقاد وان اخذ من الوهج بالتحريك كان بمعنى البالغ في الحرارة كذا
فهم من الصحاح والراغب الوهج حصول الضوء والحر من النار والوهجان
كذلك قوله اي شارفت ان تعصرها الرياح فالهمزة في اعصرت
للحينونة ولقائل ان يقول فالمعصرات السحاب التي حان لها ان
تعصرها ولم تعصرها بعد واذا كان كذلك كيف جعلت مبدا للانزال
الى ان يحصل بالرياح وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا فقد تحقق لان جعلها
مبدا للانزال باعتبار الذات لا باعتبار الوصف وامثاله كثيرة
قوله ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض فكان معنى اعصرت الجارية
شارفت ان تعصرها الطبيعة رحمها وذلك لان باب الافعال يكون
للافادة متا[illegible]ره حصول ماخذه وهو مصدر مجرده لا لحصول
غيره قوله وانما جعلت اي الرياح مطلقا هذا جار في كلا الوجهين المذكورين
آنفا وكلام الكشاف يدل على انه مربوط بتفسير المعصرات بالرياح
ذوات الاعاصير قوله وبه انزاله فصح ان يجعل مبدا للانزال وقد جاء
ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك
فالانزال منها ظاهر واعلم انه ان فسر المعصرات بالرياح التي حان لها ان
تعصر السحاب فالهمزة في اعصرت للحينونة كما في الوجه الاول وان فسرت
بالرياح ذوات الاعاصير فالهمزة المذكورة كهي في قولهم اغد البعير اذا صار
ذا غدة ومآل هذين الوجهين يرجع الى امر واحد ومنهم من فسره
بالسموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات

تعصرن اي تحملن على العصر وتمكن منه اي تحمل الرياح على ان تعصر هذه
السحاب فالهمزة على هذا اي اعصر للتعدية قوله وتوبيده انه ذوي المعصرات
وبه التاء بيد ان الهمزة والالية المستفادة من الباء ظاهرة في الرياح
والمبدائية المعلومة من كلمة من ظاهرة في السحاب وان صح كل منهما في
كل منهما كما تقول اعطى من يده واعطى بيده منصبا بكثرة الكثرة
المستفادة من صيغة المبالغة وهي الفعال افضل الحج العج والثج اي
العد برفع ترك الظهر لافادة المبالغة قوله ونباتا اهل النبات مخضد
اريد به النابت وروى عن صاحب الكشاف والاستعارة على
ضربين تارة لمعنى وتارة لغير معنى فلا يطلب منهما معنى في النبات
است حيران بهذا المروي عنه ليس يوافق لما هو المشهور في فن العبارة
على ان اطلاق المصدر على معنى الفاعل مجاز مرسل شايع قوله وصباحب
بساتين لا يخفى ان البساتين اذا كانت عبارة عن الارضين مع
ما سحار كما هو الظاهر يحتاج قوله الى تاويل ليخرج به قوله جمع لف واحد
الالفاف وعيش مغدق اي ناعم والغدق الماء الكثير وتمامه وندامي
كلهم بيض زهر اي الندامى جمع ندمان ومعنى بيض حسان وزهر
جمع ازهر بمعنى ابيض والاصل زهر بسكون الهاء ونقل حركة اللام
الى ما قبلها في الوقف وصف طيب الزمان والمكان وكرم الاخوان
قوله او ملفف بحذف الزوائد ان عطف على قوله لفا كان المعنى ان
الفافا جمع لف ولف جمع ملفف بحذف الزوائد وهي للكمية والتاء ان

في لف جمع ملفف ومما سبق جمع لفا وان عطف على لف كان المعنى ان
الفافا جمع ملفف بحذف الزوائد ويؤيده كلام الكشاف حيث قال
ولو قيل هو جمع ملفف بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وقيل عليه
كانه قاس الجمع على تصغير الترخيم الا ان تصغير الترخيم ثابت اما جمعه فلا
اعلم ان المص لم يتعرض لكون الفافا جمعا لا واحد له كالاوزاع والاخياف
وكلام الكشاف يدل على انه راجح على سائر الوجوه كما لا يخفى على من يطالعه
قوله ان يوم الفصل بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل او بين الاعمال والجزاء
يجوز ان يكون الفصل بمعناه المصدري وان يكون بمعنى الفاصل يعني
يوم الفاصل ويمكن ان يكون بمعنى المفصول يعني يوم المفصول الممتاز من
سائر الايام بهذا الفصل عما قبله لانه استيناف او لانه كالتاكيد والبيان
للوعيد المذكور قوله حد الوقت به الدنيا فيه اشارة الى الميقات اخص
من الوقت وهو الوقت المحدود كالميعاد والميلاد للوقت الذي
الوعد والولادة وتحديدهما فيه ان ذلك الوقت اما حد للدنيا او
حد للخلائق على المعنيين ويمكن ان يفسر الميقات بحد يوقت به الاعمال وتنتهي
عنده فانه يوم الجزاء والحساب وقد يفسر بالمعاد للثواب والعقاب
وقد يقال الميعاد للمكان الذي يجعل وقت الشيء كميقات الحج قوله في
الصور في القرآن وقيل جمع صورة قوله بدلا او بيان ليوم الفصل
يمكن ان يكون بدلا او بيانا بالمعنا بالشيء ويجوز ان يكون منصوبا باضمار
اعني دلالة على تفخيمه وان يكون ظرفا لقوله فتاتون ووضع الظاهر موضع

٤

المفيد لافادة التعظيم ويجوز ان يصح لاضافة الى غير متمكن وهو في محل
الرفع بان يكون خبر المبتدأ محذوف قوله جماعات او امما كل امة مع امامهم
ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم وهذا المعنى مذكور
اصالة في الكشاف تأمل قوله على صورة القردة جمع القرد بكسر القاف وسكون
الراء وهي بالفارسية بوزنه قوله بالقتات اي النمامين القتات جمع القيّت
او العبوث وهو الكذاب كذا في المهذب وكسدر اللغة قوله مجيبين
لعال الحق ملان بعد ورود قوله والساعين بالناس الى
السلطان بان يظلموا الناس والناس بسبب ظلمهم يلتجئون الى السلطان
كانهم سعوا بالناس بسبب ظلمهم اياهم الى السلطان ويجوز ان يراد
بان غير الناس الذين يرغبون الى ملازمة السلطان وذلك لان الفراغ
في بعدهم عن قوله والمتكبرين به للمبالغة كقولهم رجل عدل قوله فتاتون الحلفاء وصية
مسبب لكونه معطوفا وكذا قوله فكانت ابوابا مسبب للفتح كما
ان قوله فكانت سرابا مسببا للتسيير قوله وفتحت السماء يجوز ان يكون
معطوفا على فتاتون وليس بشرط ان يتوافق في الزمان كما نطق من ليس
واعانى بهذا النوع على ان فتحت من قبيل التعبير بلفظ الماضي عن المستقبل
وقيل ان في عطف الماضي على المضارع الدال على انها واقعة البتة أي تعالى طيبة
وكون المعطوف عليه مضارعا مشعر بانهما حكايتان للحال الآتية تصويرا
للتينك الحالتين المقطعتين في مشاهدة السامع كما في قوله ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ويجوز ان يكون حالا بتقدير قد

اي

٨

اي فتاتون وقد فتحت السماء قوله فصارت من كثرة الشقوق قيل هذا المعنى
على قراءة التشديد ظاهر واما على قراءة التخفيف فوجه ان اسناد الفعل الى السماء السماء
بعد ذلك لانه يعد ان الشق كلها مفتوحة واسناده ذلك بعكس ابوابها المفتوحة
فهذا التوجيه صحيح على كلتا القراءتين كما ان التوجيه الثاني كذلك قوله مثل سراب
وتغييره على ان قوله فكانت سرابا من قبيل التشبيه البليغ كقولهم زيد اسد قوله
ان جهنم كانت استئناف معلل او بيان لما سبق قوله يرصد فيه خزنة النار
الكفار او يرصد فيه الكفار العذاب او يرصد فيه المؤمنون من خزنة الجنة ليحرسوهم در المؤمنون
من فيحها في مجازهم عليها او عبورهم عليها او يرصد فيه الكفار خزنة النار وعلى
هذا المرصاد كالمضمار بمعنى موضع رصد قوله محدة في ترصد الكفرة او
محدة في ترصد المؤمنين لئلا يصل اليهم ضررها وعلى هذا المرصاد كالمطعان
بمعنى الفاعل وكثيرا ما يجيء اسم الفاعل على مفعال طلبا للمبالغة وتكثير الفعل
قوله على التعليل لقيام الساعة اي قيام الساعة المدلول عليه بقوله ان يوم
الفصل كان ميقاتا كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء قوله للطاغين متعلق
بمآبا او بانح الظرف المقدر للمرصاد وهو للمؤمنين او للناس مطلقا او متعلق
بالمرصاد وما يتعلق مآبا مقدرة هو لهم وقد يقال ان مرصادا ومآبا
خبران لكانت وقوله للطاغين متعلق بكانت اما باعتبار الخبر الاول واما باعتبار
الخبر الثاني على ان يكون جهنم مرصادا لاهل الجنة ومآبا للطاغين هذا واعلم
ان المرصاد قد يفسر بالطريق كما روي عن الحسن وقتادة يعني ان جهنم كان
طريقا عليه ممر الخلق والمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها ويبقى فيها والاولى

على هذا التفسير لا يحمل للطاغين متعلقا بمآبا او بكائنا باعتبار مآبا وبعده
الظرف للمرصاد او لكائنا باعتباره وهو للمؤمنين مجتنبهم مر المؤمن ومعبر
للكافر وظهر مما قررناه ان الطاغين هم الكافرون ويجوز ان يراد به اعم
من الكافر والمؤمن الفاجر والظاهر هو الاول بناء على قوله لابثين ماكثين
حال مقدرة من الضمير في الطاغين ومن الطاغين اي عاملين اللبث
مقدرين له كقوله خالدين فيها اي مقدرين الخلود ويجوز ان يكون صفة
للطاغين كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وكقول الشاعر ولقد امر على اللئيم
يسبني قوله وهو ابلغ لان اللابث من وجد منه اللبث فلا يقال لبث
لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه وهو مراد فان
المالوف قوله وهو اسم ما يقع فيه اشارة الى ان احقابا ظرف جمع حقب
وهو الدهر قوله وليس فيه ما يدل على خروجهم منها هذا تنبيه على دفع ما
توهم من ان هذه الآية الكريمة تدل على ان الكفار لا يخلدون في النار بل
هم يخرجون منها لتناهي الاحقاب ووجه دفعه انا لا نسلم ان الحقب عدد
مخصوص بل هو الدهر مطلقا ولم يصح ان الحقب ثمانون سنة ولو سلم صحته
فلا يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون بعد ذلك احقاب
غير متناهية على ان ذكر الاحقاب يمكن ان يكون للكثرة لا لتحديد اللبث
الا ترى ان تقول مكثت فيها سنين واعواما وانك لا تريد انك لم تمكث غيرها
قوله وان كان اي ان كان فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب فمن
قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار بل المنطوق

منه قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم

هو

هو الراجح على المفهوم فلا يكون معتبرا بل ساقطا عن درجة الاعتبار قوله حال
من المستكن في لابثين لا يجوز ان يكون صفة احقابا لانه جار على غير من هو له
فكان يجب ابراز الضمير ويجوز ان يكون صفة للابثين وكذا للطاغين كقوله تعالى
كمثل الحمار يحمل اسفارا وكذا يجوز ان يكون حالا من ضمير الطاغين او من
الطاغين وكذا يجوز ان يكون استئنافا لكن لا بد مع تبعيته منها التقديم لذكر
ولذا لم يلتفت المصنف اليها اصلا قوله او نصب احقابا بلا يذوقون بان يكون
ظرفا له والكلام السابق مبني على انه ظرف للابثين والتنازع بينه وبين لابثين
فيه ايضا محتمل قوله احتمل ان يلبثوا هذا مرتبط بكلا الشرطين لكونهما بيانا
ارتباطه بالاول فهو ان المعنى ان الكفار يلبثون فيها احقابا حال كونهم
غير ذائقين الا حميما وغساقا واللازم منه ان يكون اللبث المقيد بما ذكر
فيها متناهيا لا دائما ولا ينافي ذلك كون اللبث المطلق فيها دائما بان يكونوا
معذبين فيها بنوع آخر من العذاب واما بيان ارتباطه بالثاني فهو ان
ان المعنى على هذا التقدير ان الكفار يلبثون فيها حال كونهم غير ذائقين
احقابا الا حميما وغساقا وظاهر انه لا ينافي دوام اللبث المطلق قوله ويحتمل
ان يكون حاصلا انما حقبا ليس ظرفا حتى يدل على التناهي بل هو حال بمعنى
نكدين قوله لا يذوقون تفسير لنكدهم قوله فيكون حالا من ضمير لابثين او
اي قوله احقابا
من ضمير لا يذوقون او من ضمير طاغين او صفة طاغين وكذا يجوز ان
يكون صفة للابثين او للطاغين لما مر غير مرة وبالجملة لابثين حال مقدرة
من ضمير الطاغين او من الطاغين او صفة للطاغين واحقابا على هذا

كما في قوله تعالى في سورة الانسان متكئين فيها على الارائك قال القاضي او صفة لجنة
اي عند الكوفيين لوجوب ابراز الضمير بانه يقال متكئين هم فيها على الارائك عند البصريين يجري على غير ما هي له لا ناحية

الوجه حال اخرى مداخلة او مترادفة او صفة ولا يذوقون حال اخرى
كذلك او صفة او استئناف وعلى جميع هذه الوجوه يدفع التوهم المذكور
قوله يعني لكن كاشفة له او حال من الضمير في احقابا وقد سمعت وجه
اخر فلا تغفل والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار ان حمل البرد
على هذا المعنى فاستثناء الحميم منقطع البتة لعدم اندراجه في ذلك وكذا استثناء
الغساق منه ان كان بمعنى ما يسيل من صديدهم كما هو المشهور لانه ليس مما يروحهم
وهو ما جار يجري مما يأتي عليه بلدغه بعد ذلك ولا مما ينفس عنهم حر النار واما
اذا كان بمعنى الزمهرير كما قيل فهو وان كان مما ينفس عنهم حر النار لكنه ليس مما يروحهم
لان الزمهرير لا يفتر وحاد راد بل عذابا بنوع اخر فان التروح معتبر
في معنى البرد كما ذكره المص فاستثناء الغساق لهذا المعنى منقطع وان
حمل البرد على معنى النوم فاستثناء الحميم والغساق بكلا المعنيين منه منقطع
قطعا لعدم اندراج شيء منهما فيه كما لا يخفى ثم ان عطف في معنى الشراب بكسر
العطش كما يفهم من كلامه في هذا المقام فاستثناء الحميم منقطع وكذا استثناء
الغساق بكلا المعنيين وان كان الشراب بمعنى المائع مطلقا فاستثناء الحميم
والغساق بالمعنى الاول منه متصل وطرحا ذكرناه يتحصل ان الاستثناء في الاية
الكريمة سواء كان الاستثناء من البرد او من الشراب او كان الاول من
الاول والثاني من الثاني او بالعكس والاستثناء منقطع كلام المص كما لا
يخفى على الفطن وعلم منه السر في لم يهنا بان الاستثناء منقطع يعني لا يذوقون
في جهنم او في تلك الاحقاب بردا ويروحهم او ينفس عنهم حر النار او نوما ولا

ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا
يحرق ما يأتي عليه وغساقا ما يسيل من صديدهم يدبر قوله اي
جزوا بذلك جزاء او جزاءا وهم جزاء او بهذا اعلى مما قيل جوزوا
جزاء لان مصدر جوزي واما اولى لما ناة للجزاء بهذا او كون ان يكون
مفعولا له لما استفاد من قوله الطاغين مآبا لابثين الاية ويحتمل ان
يكون حالا من فاعل الفعل المستفاد منه او من مفعوله قوله ذا وفاق
ان كان قوله وفاقا صفة لقوله جزاء فاما من حمل الوصف بالمصدر
كقولهم رجل عدل بان يكون المصادر في الاسناد او من قبيل حذف
المضاف او من حمل اطلاق المصدر على معنى اسم الفاعل كالعدل
بمعنى العادل فالمجاز في الطرف لا في الاسناد او وافقها وفاقا
بهذا اشارة الى ان وفاقا ليس صفة للجزاء بل هو منصوب بفعله
المقدر حال مقابل وافق النار الشرك فلا ذنب اعظم من الشرك
ولا عذاب اقوى من النار قال الامام الراغب الوفق المطابقة
بين الشيئين قال الله تعالى جزاء وفاقا يقال وافقت فلانا
ووافقت الامر صادفته والاتفاق مطابقة فعل لما شأن
القدر يقال ذلك في الخير والشر والتوفيق نحوه لكنه يختص بالخير
دون الشر قال الله تعالى وما توفيقي الا بالله قوله وعدة بمعنى
وافقة قوله لا يرجون اي لا يخافون او لا يتوقعون لان الرجاء
فيه خوف وتوقع وقيل لا يخافون محاسبة الله اياهم او لم يؤمنوا

قوله

بالبعث ليس حواسا بابيان لما وافقه بهذا الاقرار او استيفاف بعلل
قوله وكذبوا باياتنا اي ردوا اياها وكل من كذب بشيء فقد رده المراد
المراد بالايات اما القران او الدلائل الدالة على تحقق البعث
او على حقية القران او على نبوة النبي عم او على حقية دينه مما قيل
قوله و فعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء وهذا اولى
وفعال في باب فعّل كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون
غيره لان ماذكره المص احوط ثم اعلم ان فعالا بالتشديد قد
يجيء في باب فعّال فاعل ايضا لانهم قد قالوا ماريته مراء وقاتلته
قتالا فخ الكلام فيه كالكلام كذابا بالتخفيف بمعنى المكاذبة قوله
وهو بمعنى الكذب وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا واعلم
ان سياق كلام المص يدل على ان الكذاب بالتخفيف ليس مصدر
كذّب بالتشديد بل هو اما مصدر كذب بالتخفيف مثل كتب كتابا
او مصدر كاذب لكن نقل عن ابي البقاء انه قال كذابا بالتخفيف
مصدر كذّب بالتشديد اذ ذكره بمعنى الكذب وهو في المعنى قريب
من كذب ثم ان المص قال بمعنى الكذب ولم يقل مصدر كذب على
ما في الكشاف تنبيها على انه يجوز ان يكون مع كونه مصدر
فاعل بمعنى الكذب قوله مصدقتها وكذبتها والمراء ينفعه
كذابه هو للاعشى استدل به على ان الكذاب مصدر الثلاثي
وهو ظاهر فيه على احتمال ان يكون الكذاب للمبالغة من غير

نظر

نظرا الى ان تركه كالحد الوجوبي نخادعون الله كذا قيل وايضا
فاعل حديث يجيء فعلت كعوّلك سافرت على ما في المفصل قوله
للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم لان الكذاب بمعنى الكذب بالغ
اقيم مقام التكذيب دل على كمال قربه منه وبذلك يصح الانتقال
الى ان تكذيبهم يستلزم كذبهم وبيانه بتوجه اخر ان كذابا بمعنى
كذبا مصدر وقع ههنا التاكيد مضمون الفعل الحاصل منه
وهو كذبوا او التاكيد انما تحقق ههنا اذا كانوا كاذبين
في تكذيبهم تدبر وينبغي ان يعلم ان اختيار كذابا في القراءة
الاولى على تكذيبا وفي الثانية على كذبا او مكاذبة لعله يكون
لتوافق رؤوس الاي ثم ان كلام المص يدل على ان كذابا
بالتخفيف بمعنى الكذب نصبه بكذبوا ويجوز ان يكون بفعل
المقدر ايضا يعني وكذبوا باياتنا وكذبوا كذابا وعلى هذا ان
الوجهان جاريان فيه اذا كان بمعنى المكاذبة انما اقيم مقام
التكذيب للدلالة على انه وقع بينهم في هذا التكذيب مكاذبة
او على انهم مبالغون في الكذب في هذا التكذيب مكاذبة
ولم يتعرض المص بذلك لكنه يستفاد مما ذكره بالتامل الصادق
قوله فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون
كاذبين عندهم فبينهم مكاذبة وفيه نظر لان المكاذبة لا
يكفي فيه ان يكون الشخصان كاذبين بل لا بد فيها ان يكون

كذب كل منهما على صاحبه ويمكن ان يستفاد هذا القيد من قوله
عند المسلمين وقوله عندهم كذا قيل او كانوا مبالغين في الكذب
مبالغة المبالغين فيه هذا وجه آخر لتصحيح المكاذبة يعني ان المكاذبة
اما على حقيقتها وهو المراد من قوله فانهم كانوا عند المسلمين
واما على المجاز والمبالغة وهو المراد من قوله او كانوا مبالغين
الخ قوله وعلى المعنيين اي الكذب والمكاذبة يجوز ان يكون
الكذاب الكاذب حالا كما يجوز ان يكون مصدرا كما مر حاصل
ما ذكره فيه ان كذابا مطلقا اما مصدر لكذب او هو مصدر لكذب
كاذب وعلى التقديرين اما منصوب بالمصدرية على احد الوجهين
المشهورين او اما على الحال بمعنى كاذبين او مكاذبين
وعلى النصبين اما ان يقدر مشارك او يجعل من باب المبالغة
قوله وقرئ اي كذابا حالا انه قرئ كذابا بضم الكاف
وتشديد الذال وهو جمع كاذب منصوب على الحال اي كذبوا
باياتنا في حال كذبهم ووجه التأنيث ظاهر قوله ويجوز ان
يكون اي الكذاب للمبالغة يقال رجل كذاب كقولك
رجل حسان وبخال وطوال فيكون كذابا واحدا لا جمع فيكون
صفة للمصدر اي لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا اي تكذيبا
مفرطا كذبه وهو وصف للمصدر بوصف فاعله كقولهم
حل جلاله وجد جده قوله ويجوز ان يكون جمع كذب

لانه

لانه جعله منه نوعا ووصفه بالكذب اي كذبا كاذبا فصار
كاكذابا كذابا فافهم ذلك قوله وكل شيء نصب بمضمر يفسره احصيناه
ويجوز ان يكون نصبه بفعل مقدر لكتابا هو كتبنا واحصيناه
صفة كل شيء اي كتبنا كل شيء احصيناه كتابا قوله مصدر لا
حصيناه اي مفعول مطلق له ومنصوب به اما بان يكون
كتابا في موضع احصاء او بان يكون احصيناه في موضع
كتبناه وهو على كلا التقديرين قوله فان الاحصاء والكتبة
يتشاركان في معنى الضبط هذا وقد يقال لان الاحصاء
يكون بالكتابة غالبا او لفعله المقدر اي مصدر لفعله المقدر
وهو كتبنا يعني ان كتابا بالنصب مفعولا مطلقا لا حصيناه
منصوبا به بل هو كذلك لكتبنا الذي هو فعل المقدر
وهذه الجملة المعترضة مفسرة لقوله احصيناه او صفة
اخرى لقوله كل شيء قوله والجملة اعتراض اي قوله وكل
شيء احصيناه كتابا اعتراض بين المسبب وسببه يؤكد
الوعيد السابق بان ذلك كائن لا محالة لاحق بهم لان
معاصيهم مضبوطة مكتوبة يكفرون بها هذا ويمكن ان
يكون هذه الجملة حالية بتقدير قد وعلى هذا التقدير ايضا
يؤكد الوعيد السابق ولهذه الجملة سواء كانت اعتراضية
او حالية فائدة اخرى وهي كالاشعار بان تكذيبهم البعث

اعمالهم واعمال الكل م

بلغ

والرسل والكتب انما نشأ من اعتقادهم انه تع لا يعلم
جزئيات احكامهم فلا حساب ولا بعث ولا كتاب قوله
وتعنيه على طريقة الالتفات للمبالغة في الغضب وثمة
امور كثيرة دالة على كمال الغضب وشدته ولم يتعرض
المصنف لشيء منها سوى الالتفات وذلك انه تع لما حكى
ما لـ الطاغين من استمرار لبثهم في جهنم وان لا ذوق
لهم فيها سوى الحميم والغساق وان الجزاء على وفق الاعمال
وعلل ذلك على سبيل الشكاية الى الغير بقوله انهم
كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون ان يحاسبوا كناية
على انهم كانوا ينكرون البعث انكارا بليغا ثم عظم شأن
تكذيبهم رسل الله ووجه بصيغة التعظيم واكده بقوله
بقوله كذابا التفت اليهم قائلا فذوقوا ايها المجاحدون
المكذبون ذلك الغساق والحميم وليس لكم عندنا البتة
سوى المزيد من انواع العذاب وبهذا كما تشكو الى الناس
جانيا ثم تقبل عليهم اذا حميت في الشكاية مواجها بالتوبيخ (وغلب غضبك عليه م)
والزاجر قوله ان للمتقين مفصلة لانه استيناف كانه قيل اذا
علم حال الكافرين فما حال المتقين او لانه لا جامع
بين هذه الجملة وبين الجمل السابقة ثم ان المراد من المتقين
المؤمنون مطلق بقرينة مقابلة الكفار وفي التعبير عنهم

النعم

بذلك

12

بذلك تنبيه على ان المؤمنين ينبغي ان لهم التقوى ولو حمل
على من له كمال ايمان كما هو المتبادر من لفظ المتقين لكان
احوال بعض المؤمنين متروكة قوله مفازا مفعل
من الفوز يصلح مصدرا اي فوزا ظفرا بالبغية من فاز
بالثواب ظفر به وقيل نجاة مما فيه من العذاب نجا منه
الا ان الاول يتعدى بالباء والثاني بمن ويصلح للمكان وهو
الجنة وهذا تفصيل قوله فوزا او موضع فوز قوله حدائق
بساتين فيها انواع الشجر المثمر جمع حديقة واعنابا وكرما
قوله بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض اعلم ان بدل (بحث بدل تحقيق)
الكل هو الذي يكون ذاته عين المبدل منه وان كان مفهوما
متغايرين وبدل البعض هو الذي يكون ذاته بعضا من ذات
المبدل منه وان لم يكن مفهومه بعضا من مفهومه وبدل الاشتمال
هو الذي لا يكون ذاته عين ذات المبدل منه ولا بعضه ويكون المبدل منه
مشتملا عليه لا كاشتمال الظرف على المظروف بل من حيث كونه
دالا عليه اجمالا متقاضيا له بوجه ما بحيث يبقى النفس متشوقة
الى ذكره منتظرة لمجيئه بحيث يأتي ملخصا لما اجمل اولا اذا
تقرر هذا فنقول ان حمل المفاز على الفوز لا يكون حدائق
بدل الكل ولا بدل البعض منه لان ذات حدائق ليست
عين ذات الفوز ولا جزءا منها وهو ظاهر ولا يكون بدل (الاشتمال م)

الا اذا كان الحكم السابق مشتملا على البدل ليتم ويتقيد
ويبقى النفس بعد ذكر الاول متشوقة الى ذكر الثاني منتظرة له كما
يدل عليه الكلام السابق وان حمل على موضع الفوز فالا
ان يقال انه بدل الكل لان الجنات هي البساتين كما ان
الحدائق كذلك وموضع الفوز هو الجنة ولا يصح ان يقال
انه بدل الاشتمال لما مر ولا يبعد ان يقال ان حدائق
عطف بيان لمفازا او يجوز ان يكون منصوبا بتقدير اعني
قوله وأعنابا عطف على حدائق او على مفازا وكذا الحال
في سائر المعطوفات قوله فلكت ثديهن الثدي بضم الثاء
وكسر الدال وشد الياء جمع الثدي بفتح الثاء وسكون الدال
وتخفيف الياء فلك ثدي الجارية تفلك وتفلكت استدار
أترابا لدات كالاتراب جمع ترب واللدات جمع لدة والهاء
عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة كذا
قال الجوهري قوله لا يسمعون فيها في الجنة او في الحدائق
حال من ضمير خبر ان تامل قوله لغوا باطلا او ما لا فائدة فيه
ولا كذابا اي لا يكذب بعضهم بعضا قوله اي كذابا او
مكاذبة اي لا يكذب به او لا يكاذبه ومنه علم انه ذكر للتشديد
وللتحقيق معنيين احدهما ان يكون مصدر فعل وثانيهما
ان يكون مصدر فاعل وتفصيل الكلام فيه يستفاد مما

ولی

سبق ١٧

13

ولا تفعل قوله جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان
للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز جزاء ويجوز ان
يكون منصوبا بفعل مقدر يدل عليه سابق الكلام ويمكن
ان يكون مفعولا له لما يستفاد من قوله ان للمتقين مفازا
ويحتمل ان يكون حالا بمعنى المفعول من مفعول الفعل المستفاد
منه قوله وهو بدل من جزاء او منصوب بفعله المقدر
او حال بمعنى معطى وقيل منتصب به نصب المفعول به اورد
عليه ان المصدر انما يعمل اذا كان منزلا منزلة ان
مع الفعل والمنصوب على المصدر لم يكن واقعا موقعهما
وكذا قال في اللباب ويعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا
لم يكن مفعولا مطلقا وقال شارحه لانه اذا كان مفعولا
مطلقا نحو ضربت ضربا زيدا فان العمل للفعل لا للمصدر
لوجهين احدهما ان الفعل هو الاصل فلا يعدل عنه
الى الفرع بلا موجب والثاني ان المصدر انما يعمل لكونه
بمعنى ان والفعل نحو اعجبني ضرب زيد عمرا اي ان ضرب
زيد عمروا ولا يمكن اذا وقع مفعولا مطلقا فلك اذ لا
يقال ضربت ان ضرب زيد عمروا اذ لا يؤكد الفعل بان
مع الفعل بل بالمصدر صريحا صريحا وانما يقدر المصدر
بان والفعل لان كل اسم حقه ان لا يعمل واصل العمل للفعل

ولعل المص لاجل ذلك اشار الى ضعفه بقوله وقيل جواب
عنه بان المصدر ههنا يدل على الفعل المحذوف وفي مثله
وجهان مشهوران والقائل ذكر احد الوجهين ولا عيب
في ذلك فكلاهما سديدان قوله حسابا صفة بمعنى كافيا
او حال ويجوز ان يكون مصدرا منصوبا بفعله المقدر
قوله حتى قال حسبي يقول اعطاني فاحسبني اي اكثر
علي حتى قلت حسبي قوله بدل من ربك او صفة او عطف
بيان له على ما بتدا خبره الرحمن او الرحمن صفته ولا
يملكون خبره او هما خبران او رفعه على المدح بمعنى هو رب
السموات وحقق المص على الابتداء قوله صفة له او بدل
منه او عطف بيان له ليس على ما ينبغي مع ان كلاهما مشهوران
فيما بينهم قوله الا في قراءة ابن عامر وابن عاصم قال الفاضل
الطيبي الكوفيون وابن عامر بالخفض وعاصم وما بينهما
الرحمن بالخفض ايضا والباقون برفع الاسمين ومنهم
علم ان قراءة عاصم وابن عامر بالخفض في رب الرحمن
معا فلا وجه لنفي كون الرحمن صفة في قراءتهما وتفصيل
المقام على ما يستفاد من كلام هذا الفاضل ان الكوفيون
سوى عاصم يقرؤن رب بالخفض وما بينهما الرحمن
بالرفع فح لا يكون الرحمن صفة للرب ولا بدلا منه

ولا

ولا عطف بيان له بل خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره
محذوف او خبره لا يملكون وان غير الكوفيين سوى
ابن عامر يقرؤن برفع الاسمين معا وان عاصما من الكوفيين
وابن عامر من غيرهم يقرآن بخفض الاسمين معا وعلى
كلا التقديرين الرحمن صفة للرب او بدل منه او عطف
بيان له قوله ويعقوب وحده اي وحده من القراء
الذين غير السبعة وفيه ايضا نظر لما قيل في مختصر من
انه قرأ ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ورب السموات
بالرفع والاخرون رب بخفض الباء وقرأ ابن عامر
وعاصم ويعقوب الرحمن بالخفض والاخرون الرحمن بالرفع
ثم ان يعقوب قراءة بخفض الاسمين كابن عامر وعاصم
على ما يعلم من هذا الكلام وما علم مما سبق ان القراءة
بخفض الاسمين بابن عامر وعاصم فبينهما تدافع اللهم
الا ان يقال ان الكلام السابق خصوصا في القراءة السبعة لا غير
قوله على انه خبر محذوف قد علم ما فيه سواء حمل على ان
قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وحده على انه خبر
مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا يملكون او حمل على ان
يعقوب وحده قرأ على انه خبر مبتدا محذوف
او مبتدا خبره لا يملكون وذلك لان قراءتهم بخفض الاسمين معا

كما مر قوله لا يملكون المقصود سلب كلي اي لا يملك احد من
اهل السموات والارض وما بينهما وكذا الحال في قوله لا يتكلمون
قوله اي لا يملكون خطابا به الخ يكون الظرف اعني منه صلة
خطابا كما تقول خطبت خاطبت منك على معنى خاطبتك ونظيره
بعت زيدا او بعت من زيد ثمنه متعلق بمحذوف بغيره خطابا
لان معمول المصدر لا يتقدم عليه كما هو المشهور او متعلق
بخطابا لما قيل ان ما ظهر انه جائز اذا كان المعمول ظرفا او شبهه
ونظائره كثيرة والتقدير تكلف مع ان الظرف مما يكفيه
رائحة من الفعل وللكلام وجه آخر وهو ان يكون معنى منه
من جهته ومن صلة لا يكون يملكون اي لا يملكون من جهته
خطابه والاعتراض عليه وقوله انهم مملوكون له على الاطلاق
بيان معنى منه ولو صح له تم الدال التنكير في خطابا على معنى
كلامه للتنويع لان الخطاب هو الاعتراض وانه نوع من مطلق
الخطاب وقيل ان التنكير في خطابا للتقليل وقوله منه حال
من خطابا متقدم عليه والمعنى ليس في ايديهم خطاب كائن من
عند الله فقط اي ليس لهم تمسك ونص يتصرفون فيه تصرف
المالك والخطاب هو ما يخاطب به كما يقال خطاب الله تعالى وقد
يحمل الخطاب على الشفاعة والمعنى المالك لا يملك احد منهم
الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه وقيل لا يقدر احد منهم

ان

ان يخاطبه خوفا منه قوله صفا حال اي مصطفين وقيل
اي متقابلين او صفا بمعنى صفوفا تامل قوله لا يتكلمون في
الشفاعة او لا يتكلمون اصلا الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
قال الامام فان قيل لمن لما اذن له الرحمن في التكلم علم انه
حق وصواب فما الفائدة في قوله وقال صوابا الجواب من
وجهين احدهما ان التقدير لا ينطقون الا بعد ورود الاذن
لم يجتهدون في ان لا يتكلموا الا بالحق والصواب هذا مبالغة
في وصفهم بالطاعة وثانيهما ان التقدير لا يتكلمون الا في
شخص اذن الرحمن في شفاعته والمشفوع له ممن قال
صوابا وهو قول لا اله الا الله لان قوله صوابا يكفيه في صحته
ان يتكلم بالصواب الواحد فكيف لمن تكلم طول عمره باشرف
الكلمات ولا يخفى ان التوجيه الاول اظهر وانسب بسياق
الكلام وان كان الثاني انسب بصفة الرحمن قوله ثم الخلق
الخلائق هذا مذهب المعتزلة لانه لا شفاعة له ومن يحذو حذوهم
والمصنف منهم ولعله وقع منه من متابعة صاحب الكشاف والتاويل
تعسف قوله اذا لم يقدروا ان لا يتكلموا بهذا دل على ان الضمير
في يتكلمون للروح والملائكة لا لاهل السموات والارض وما
والضمير بينهما والظاهر ان هذا الضمير لاهل السموات والارض وما
بينهما سيما ان كان يوم يقوم متعلقا بقوله لا يملكون قوله

كمال منعة عنه لمن ارتضى منه يلبيه على انهم لا يشفعون لغير
مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى تحكمت بملكه عنهم
اى لا يملك التكلم به عنهم هذا انما يصح لو كان خطابا بمعنى
المخاطبة والتكلم لا بمعنى الاعتراض عليه في ثواب او عقاب
كما قال الان يقال مراده ان يهلا اذا لم يقدروا
ان يتكلموا الملايكون صوا با حكمت بملك كما عتراض عليه
في ثواب او عقاب عنهم والمص بهذا الكلام منه يدل على ان
الضمير في يملكون لغير الروح والملائكة مع انه لاهل السموات
والارض لما سبق وسيذيح عنه الروح والملائكة قوله
ويوم ظرف لا يملكون الذي لا يتكلمون التنازع اخذ
عمل وكذا في الا من اذن له الرحمن قوله والروح ملك
موكل انه قيل هو ملك عظم ما خلق الله بعد العرش فخلقا
اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يكلونكما ياكلون وقيل
خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا الحفظة العدد قوله
ذلك اليوم الحق هذا مبتدا او خبرا وهو صوته وصفه
اما مبتدا خبره محذوف او خبر لمبتدا محذوف ثم ان الحق
اما من حق الشيء اذا ثبت او من حققت الشيء اثبته ففي
قول المص الكاين لا محالة مبني على الاول وقيل معناه
يحكم الله فيه بالحق لقوله تعالى وقضي بينهم بالحق قوله

فمن شاء الفاء فصيحة اي بينا المسلمين للغير فعلى فمن
سلك سبيل المتقين واتخذ اي ربه مآبا فاز وافلح ومن
اختار سبيل الطاغين خاب وخسر قوله انا انذرناكم
كم ايها الكفار فيه التفات من الغيبة اي التكلم لعلاية
لزيادة الترهيب والترغيب وهذه الجملة استينافية
تعليلية اي لانذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة قيل
وقعا ببدر قوله فان كل ما هو آت قريب في امثال العرب
ما ابعد ما فات وما اقرب ما هو آت قوله يوم ينظر
صفة العذابا اي عذابا كاينا يوم هذا شانه وهو ينظر
المرء او ظرف لعذابا او منصوب بتقدير فعل اي اتقوا
يوم ينظر قوله يرى ما قدمه من خير او شر هذا التقدير يبني
على ان ما موصولة وكذا قدر الضمير الراجع اليه وعلى ان
المرء عام وكذا قال من خير او شر وفيه تنبيه على ان لفظ
يداه مجاز وانما اوردت لان اكثر الاعمال يقع بهما وان
ان لا يكون لليدى مدخل فيما ارتكبه من الاثام والمرء
عام المعنى يوم ينظر المؤمن والكافر ما قدمت يداهما
من خير وشر وهو المطابق لما سبق من نظم الكلام لانه مشتمل
على حال الفريقين وهو الوجه لقوله فمن اتخذ الى ربه مآبا
وقال الامام الاظهر ان المرء عام لان المكلف الذي

ان اتق الله فليس له الا انعام الثواب وان كفر بالله فليس
له الا العذاب خلافا للجبائية للمكلفين ح سواء بهذين فطوبى
له ان قدم عمل الابرار وويل له ان قدم عمل الفجار فان قلت
لم خص قول الكافر دون المؤمن قلت دل قول الكافر
على غاية الخيبة ونهاية التحسر ودل حذف قول المؤمن
على غاية التبجح ونهاية الفرح بما لا يحيط به الوصف قوله لعل قوله
انا انذرناكم الظ انه مبني على ان الخطاب فيه للكفار كما ذكرناه
وقيل وجه دلالته عليه انه يجب ان يكون المراد من المرء
هو المعذب والمعذب اما مؤمن فاسق او كافر فاذا
كان المراد احدهما بطل العموم فحمل المرء على الكافر بقرينة
قوله ويقول الكافر فقوله انا انذرناكم يقتضي ان لا يكون
المرء عاما وهذا القدر كاف لان المراد نفي العموم في مقابلة من
يقول انه عام ولا يخفى ما فيه من الضعف من وجهين
احدهما انا لا نسلم انه يجب ان يكون المراد بالمرء هو المعذب
لما مر في وجه ظهور العموم وثانيهما ان ذلك القدر
ليس بكاف في اثبات ان المراد هو الكافر وما ذكره
تكلف بعيد لا يلتفت اليه وينبغي ان يعلم انه روي عن قتادة
هو المؤمن قال الامام دل عليه قول الكافر يا ليتني
كنت ترابا فلما كان هذا بيانا لحال الكافر وجب ان يكون

بهاول

لا دل بها ما لحال المؤمن ولا يخفى ما فيه من الضعف ومع ذلك
لا يلائم ما ذكره من ان الظ الظاهر ان المرء عام قوله وما موصولة
منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة
محذوف كما اشير اليه قوله او استفهامية لا يخفى ان الاستفهام
مراد بل بمعنى ان الاصل فيه ذلك وان انسلخ عنه معنى الاستفهام
كذا قيل قوله منصوبة بقدمت لان معلق ينظر على اسم العموم
الجملة لا المفرد قوله ومثل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى تقاد للشاة
الجماء من الشاة القرناء رواه مسلم كذا في المشكاة الجلحاء
التي لا قرن لها ثم اعلم ان ههنا وجها آخر الظ وهو انه قيل
الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون
الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين
وانت تعلم ان حسن التخلص يقتضي ان يكون الاختتام بما
افتتحت السورة به وهو منتف في هذا الوجه بخلاف الوجوه
السابقة ومع ذلك المتبادر من لفظ الكافر ما سبق في تلك
الوجوه ولعله لذلك لم يتعرض به وان كان هذا القول مذكورا
في كلامهم والله اعلم والحمد لله على الشدة والرخاء والصلوة
والسلام على رسوله محمد افضل الانبياء • وعلى آله وصحبه

السادة النجباء اللهم ارزقنا جنة وحريرا واجرنا من النار
تحرير تفسير سورة والنازعات بسم الله الرحمن الرحيم
هذه صفات ملئكة الموت اي طوائف من تلك ملائكة الموت
وكل طائفة منهم نازعة فصح اطلاق الجمع بالالف والتاء على
ملائكة الموت وكذا الحال الى اعتبار الطوائف اذا كان
الموصوف النجوم ولا تحتاج اليه في ساير الوجوه وذلك
لان الملك والنجم مذكر بخلاف النفس والخيل واعلم
ان كلامه يدل على ان تلك الصفات كلها جارية على
موصوف واحد وانها من قبيل عطف الصفات بعضها
على بعض وقيل لو كانت كذلك لم يؤت في بعضها
بالواو وفي بعضها بالفاء ولذا اوردوا الكل صفة كما لو كونها
بالواو موصوفا اخر وايضا يدل الاية الكريمة على ان كلا منها
الا هذه مقسم به على حدة لان مجموعها مقسم به واحد
كما في ساير الايات التي ذكرت فيها امور متعددة هذا
وقيل كان العطف بالفاء في الصفتين الاخيرتين من الخمس
لانهما من نتائج السبح وثمرته فدل بذلك على هذا المعنى
كانهما لا تفارقانه بل يعقبانه وفي كلام المصنف اشارة
الى هذا قوله ما لهم تنزعون ارواح الكفار الخ كان
التخصيص بهما باعتبار ان شدة النزع انما يتحقق فيهما مالم

قوله

18

قوله اي اغراقا في النزع اشارة الى ان غرقا مفعول للنازعات
من غير لفظه لان اغراقا في النزع في معنى نزعا مبالغة
والغرق قيل هو اسم للاغراق كالسلام للتسليم وقال
ابو البقاء هو مصدر بحذف الزوائد قوله اي نفوسا غارقة
في الاجساد يجوز ان يكون عطفا على ارواح الكفار
ويجوز ان يكون عطفا على قوله اغراقا في النزع ويكون اشارة
الى جواز كون غرقا مفعولا به بان يكون المصدر بمعنى اسم
الفاعل قوله اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق النشط
الجذب باللين والنزع بخلافه هذا وقد يقال النازعات
عبارة عن الملائكة التي تنزع ارواح الكفار والناشطات
عبارة عن التي ارواح المؤمنين الصالحين الزاهدين عن الدنيا
ولذا اتبعها والسابحات عن التي تنزع ارواح المؤمنين
العاصين المائلين الى الدنيا ولذا اتبعها قوله فالسابقات
اشارة الى مسابقتهم في الرجوع الى السماء بعد الفراغ
عن النزع والنشط والسبح وقوله فالمدبرات امرا
اشارة الى تدبيرهم امر العقاب والثواب وعلى هذا قوله فالسابقات
سبقا فالمدبرات امرا مترتب على مجموع ما سبق من
الاوصاف لا على قوله والسابحات فقط ويمكن
ان يقال النازعات عبارة عن الملائكة التي تنزع ارواح

الصالحين

المؤمنين العاصين الى ان يلين الى الدنيا ولذا تهاوا والناشطات
عبارة عن التي تنزع ارواح المؤمنين الصالحين الزاهدين
عن الدنيا ولذا اتهام الاوليا وتجدد وجدهم والسابحات
عبارة عن التي تنزع ارواح الانبياء عليهم السلام وقوله
فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا محمول على الوجه الذي ذكر
ويجوز ان يقال النازعات عبارة عن الملائكة التي تنزع
ارواح المؤمنين من الامم والناشطات عبارة عن التي تنزع
ارواح الانبياء غير اولي العزم والسابحات عبارة عن التي
تنزع ارواح اولي العزم وقوله فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا مفسر بما ذكر وههنا وجوه اخر يعلم تفصيلها من له
فطرة سليمة وتذكر كلاما ينفعك في مواضع عديدة قوله
ويسبحون في اوجها اي اوج الارواح مطلقا وتأييده قوله
فيه يسبحون الخ وهذا الوصف على وجه مبيرة قريب
مما سبق من الوصفين قوله او الاولياء لهم والباقيات
لطوايف من الملائكة هذا التوجيه يقتضي ان لا يكون
الاوصاف الباقية لملائكة الموت والاول يقتضي ان يكون
هذه الاوصاف القوى لهم واعلم ان ههنا لوجها مشهورا
فيما بينهم وهو انه اقسم سبحانه لطوايف الملائكة التي
تنزع الارواح من الاجساد وبالطوايف التي تنشطها اي

تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوايف التي
تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا
من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم
قوله ويسبحون الخ وسبح كان تغيير الاسلوب للاشارة الى قوله
سبح وكل في فلك يسبحون قوله ولما كانت حركاتها من المشرق
الخ فيه ان اثبات الحركة القسرية والارادية للنجوم عند
السبع اهل الشرع غير مشهور وحمل الآية على مذهب الحكماء
بعيد على انه ينبغي ان يوخذ الوضعية بل القسرية الذاتية بل
الملايمة ثم ان ما ذكره المص ماخوذ من كلام الامام حيث قال
دل قوله والنازعات غرقا على حركاتها اليومية وقوله
والناشطات نشطا على حركاتها المخصوصة لها في افلاكها الخاصة
وهو مناسب لان حركاتها اليومية قسرية فيناسب النزع
وحركاتها من برج الى برج ارادية يناسب النشط ثم انه منهم من
فسر بعض هذه الصفات بالنجوم وبعضها بالملائكة كما نقل عن الزجاج
فانه قال والنازعات غرقا النجوم الى قوله فالسابقات
سبقا فالمدبرات امرا الملائكة وقال الامام اعلم ان الوجوه
المنقولة من المفسرين ليست نصا عن سيد المرسلين
صلوات الله عليهم حتى لا يمكن الزيادة عليها وما ذكرها انما
ذكره ما لكون اللفظ محتمل محملا لها فحق ان وجدنا سائر المعاني

فهو ما مشترك حملت اللفظ على ما يندرج تحته ولكن لا نقول ان
مراد الذي هنا على الجزم فيمكن حمل هذه الآيات على المراتب
الواقعة في رجوع القلب من غير الله الى الله اقسم بالارواح التي
تنزع الى اعتلاق العروة الوثقى وتنزع غرقا من تعلق هذا
الادنى ثم تنشط وتأخذ في السلوك في الاحوال والمقامات
الى مستقره الاصلي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
ثم تسبح في بحار الصفات فتحقق فيها من صفاته وتعنى في
التوحيد ثم تسبق بعد الفناء الى البقاء بالله ثم تعزم على الرجوع
الى تكميل الغير فتدبر امر الدعوة الى الله هذا كلامه وعن بعضهم
ان المعنى ورب النازعات الآية قوله او ايدي الغزاة النازعات
يصح ان يكون صفة ايدي الغزاة دون باقي الصفات كما قيل
قوله فتدبر امر الظفر هذا الاسناد مجازي من قبيل الاسناد
الى السبب قوله اقسم الله بها اي يملك الامور او اقسم بها والمراد ربها
قوله لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة قيل يدل عليه قوله
اذا كنا عظاما نخرة قوله وهو منصوب به فعلى تجوز ان يكون منصوبا
بقوله تتبعها وفيه نظر يدبر وقيل واما لم يجعله منصوبا براجفة لانه
نصب ظرفه اعني يومئذ والتبس اولى من التاكيد
فلا يحمل عليه كيف وحذف المضاف اليه وابدال التنوين
مما ياباه الفصيح نعم لا يبعد ان يجعل منصوبا بمضمر يدل عليه

واجفة

واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب ويمكن ان يكون هذا المقدر
مقتضى علية ثم اعلم ان الرجف شدة الحركة فمعنى الآية الكريمة
يوم يتحرك حركة شديدة الاجرام المتحركة حركة شديدة وكانه
انه يحتاج الى تفسير وتبيين ولعله من قبيل قولهم مثل قبيل وكذا
الحال في تتبعها الرادفة التابعة قوله او الواقعة التي ترجف
الاجرام عندها فيه اشارة الى ان اسناد ترجف الى الراجفة
مجازي من قبيل اسناد الفعل الى السبب والاصل ترجف
الارض بسبب حدوث الراجفة اي الواقعة الهائلة فاسند
الى السبب مبالغة قوله وهي النفخة الاولى وقيل النفخة الاولى
لاماتة الخلق والثانية لاحيائهم وبينهما اربعون سنة قوله
تنشق وتنتثر على اثر رجف الارض والجبال فيه تنبيه على
ان تسمية السماء والكواكب رادفة باعتبار هذا الوصف
لا باعتبار ذاتيهما وقيل فيه بعد وقيل ويجوز ان يكون
الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها
وهي رادفة لهم لاقترابها ولا خفاء ان المردوف له على
هذا التقدير الكفرة لا النفخة الاولى وانه وان كان ادخل
في تهديد الكفرة المطلوب من سوق الآية لكنه ليس بظاهر منها
ولعل المصنف لاجل ذلك لم يتعرض به قوله والجملة في موقع

الحال عن الراجفة قيل كيف جعلت حالا واتباع الرادفة
لا تكون في زمان رجف الراجفة بل بعده واجيب عنه
بان مدة من الاتساع وجعل القريب من الشي مقارنا له
الا ترى ان الماضي المصدر بقد يصح وقوعه حالا والمصحح له
ليس الا ذلك وقيل يجوز ان تكون هذه الجملة استئنافية
قوله قلوب اي قلوب منكري البعث بدليل قوله يقولون
ارسا الا انه قوله شديدة الاضطراب وجف قلبه وجيفا
اضطرب ولعل الشدة تفهم من التنكير الذي هو للتعظيم
هنا قوله وهي صفة القلوب يعني ان المذكور وصف مخصص
والبعض خبر وهو جار في نظائره من وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة
ووجوه يومئذ خاشعة عاملة والاظهر في الكل انها اخبار
وتنكير التنويع لقوم مقام الوصف المخصص كذا قيل ويجوز ان
يكون التنكير للتحقير وللتكثير وعلى كلا التقديرين العام يقوم
مقام الوصف المخصص وكذا الحال اذا جعل التنوين قائما
مقام المضاف اليه ويجوز ان يكون قلوب مرفوعا
على الذم وقيل قلوب مبتدا يومئذ صفته واجفة خبره
ابصارها خاشعة خبر بعد خبر ثم ان واجفة اذا كانت
خبر الجوز ان تكون ابصارها خاشعة استئنافا او حالا

كانه

كانه يجوز ان تكون خبر العد خبر وكذا اذا كانت قلوب مرفوعا
على الذم قوله اي ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون
وذلك لانه لو لم يكن هنا مضاف محذوف لبقي ضمير يقولون
بلا مرجع كذا قيل وفيه ان هذه الشرطية ممنوعة لجواز ان يكون
المرجوع اليه لضمير يقولون ما يفهم من سياق الكلام وهو اصحاب
القلوب واصحاب الابصار او منكر والبعث بدون تقدير
المضاف هناك ثم ان اضافة الابصار الى القلوب يحتاج
الى تفسير وتوضيح لان البصر ليس للقلب واشار اليه المص بتقدير
المضاف وكذا نسبة خاشعة الى الابصار يحتاج اليه لان الخشوع
~~يظهر في الابصار غالبا~~ من كيفيات القلب ووجهه ان اثار
الخشوع يظهر في الابصار غالبا ومنه علم ان الاصل ان
ينسب خاشعة الى القلوب لكن نسبت الى الابصار للعرض
المذكور ولم يكن هناك امر داع الى ايراد الاصحاب ومن ثمة
اضاف الابصار الى القلوب تدبر قوله يقولون اي ارباب
القلوب والابصار وهم منكرو البعث استهزاء
والاستفهام للانكار اي انرد بعد موتنا الى اول الامر
فنعود احياء كما كنا هذا وقيل وقع هنا يقولون على صيغة
المضارع الدالة على الاستمرار التجددي لان الكفار يقولون
ذلك دائما ووقع قوله قالوا تلك اذا كرة خاسرة بصيغة

الماضي الدالة على انقطاع هذا القول لانهم لم يكرروا هذا القول
وانت تعلم ان هذا مجرد دعوى ويجوز ان يكون ذلك للتفنن
والانتقال من اسلوب الى اسلوب وينبغي ان ينبه على
ان قوله يقولون استيناف وتعليل لما سبق من قوله قلوب
يومئذ واجفة الاية على النسبة اي اطلق على الطريقة التي حفرها
واثر فيها بمشيه الحافرة والقياس المحفورة اما على النسبة
او على المجاز العقلي وقيل ثم نقل الى غرة من الطريقة بمعنى
السبيل الى الطريقة بمعنى الحالة الاولى اي ثم نقل من الطريق
الى الطريق وقيل الحافرة الارض التي حفرها الفرس بقوايمه
فاعلة بمعنى مفعولة وح الاطلاق المذكور ليس على النسبة
ولا على المجاز العقلي كما قيل في عيشة راضية بمعنى مرضية كقوله يقال
عيشة راضية اي منسوبة الى الرضا هذا احد الوجوه فيه قوله
في الحفرة بمعنى المحفورة لم يتعرض هنا بالقول على النسبة
وبالمجاز العقلي بل جزم بانها بمعنى المفعول وهذا على عكس ما ذكره
في الحافرة ووجهه ليس بين مع ان هذه القراءة دليل
على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة على ما في الكشاف
قوله يقال اسنانه اذا اثر الاكال في اسنانها واسناخ الاسنان
اصولها محفرت الاسنان اي صارت اسنانها ونخرة او عفنة
قوله اذا كنا فصله عما سبق لانه كالبيان والتاكيد له وتوضيحه

انهم

انهم انكروا البعث حيث قالوا استهزاء ائنا لمردودون في
الحافرة ثم ازدادوه استبعاداً فقالوا ائذا كنا الاية واذا منصوب
بمنصوب تقديره ائذا كنا عظاماً نرد ونبعث بقرينة قوله
سابقاً لمردودون قوله على الخبر صورة وفي المعنى استفهام
كما في القراءة الاولى ويمكن ان يكون ح خبراً حقيقة استهزاء
منهم كقولهم تلك اذاً كرة خاسرة وكذا يجوز ان يكون اذا كنا
ظرفاً لمردودون والمجموع جملة واحدة والمعنى ائنا لمردودون في
الحافرة وقت كوننا عظاماً قوله ناخرة بالية قيل وهو البالي
الاجوف الذي يمر فيه الريح فيسمع له نخير وانت خبير بان ما ذكره
المص اعم منه وهو موافق لما في الباح البيهقي والانسب بالمقام
قوله وهي ابلغ لانه من صيغ المبالغة او لانه صفة مشبهة دالة
على الثبوت ولا يخفى عليك ان النخرة وان كانت ابلغ
لكن الناخرة اجود واكثر شبهاً للغو اصل قوله قالوا اي منكروا
البعث تلك رجعتنا الى حال الحيوة اذاً اي يوم البعث
وهو ظرف للنسبة في هذه الجملة ومناسبه وتوقعه بين المبتدا
والخبر كرة اي رجعة خاسرة على النسبة او على الاسناد
المجازي وقد اشار اليها بقوله ذات خسران او خاسر
اصحابها وقيل كرة خسر لتلك ما هو مبين لاسم الاشارة
كما ان الصفة مبنية ولابد في الترجمة من ذكر الصفة والتقدير

تلك الكرة كرة قوله وهو استهزاء منهم اى قولهم تلك اذا كرة
خاسرة صدر منهم على وجه الاستهزاء بقول رسول الله بالبعث
حيث ارزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة المشكوك
المحتمل الوقوع بل فى صورة الواقع ولا شك انه لا حاجة فيه
الى حمل المعنى على الشرطية بل المناسب له ان لا يكون كذلك
قوله فانما اى تلك الكرة مذاميو اللائم لسياق الآية الكريمة
زجر البعير او صاح عليه بما احسن لتسهيل امر الاعادة بقوله
زجرة فهى اخف من صيحة وتنكيره ووصفه بقوله واحدة
يعنى امر حقير خفيف لا يحتاج الى تكرر وانت تعلم ان
الاسناد فى هذه الجملة مجازى لافادة المبالغة فان الصيحة
بسبب لتلك الكرة قوله متعلق بمحذوف يدل على
هذا المحذوف يدل سياق الكلام لتكرر الاستهزاء منهم
سابقا واستبعادهم اياه بقولهم اذا كنا عظاما ناخرة
كلمة الفارح تعليله وهذا اولى من جعلها مصحة قوله
اى لا تستصعبوا اى لا تعدوها صعبة وفى الصحاح استصعب
عليه الامر اى صعب قوله فاذا هم بالساهرة اى اذا نفخت
فاذا هم وقيل كلمة اذا للمفاجاة والعامل زجرة لكونها مصدرا
والفاء للتعقيب بلا مهلة كما فى قولهم خرجت فاذا السبع
ثم ان الساهرة ان حملت على الارض المستوية فالضمير

راجع

23

راجع الى منكرى البعث او الى كل الخلائق وان حملت على جهنم
~~فهو راجع الى المنكرى البعث او الى كل الخلائق~~ وان حملت على
جهنم فهو راجع الى منكرى البعث وقيل الساهرة بعينها بالشام
الى جنب بيت المقدس او ارض مكة قوله او لان سالكها لا ينام
خوفا عطف على قوله لان السراب يجرى وهو وجه آخر
لتسمية الساهرة بها والساهرة على هذا من سهر بمعنى ارق
كما على الطاء ان الساهرة على كلا الوجهين المذكورين من
سهر بمعنى ارق الا ان النقل عنه فى الاول بواسطة لانها
منقولة من عين ساهرة وهى من سهر بمعنى ارق وفى الثانى
بلا واسطة قوله هل اتيك حديث موسى قبل استفهام تقرير
التنبيه على ان هذا مما يحق الشريف للمخاطب قوله اذ ناداه
حين ناداه لعله منصوب بفعل مقدر مثل اذكر وهذا احسن
من حيث المعنى لحديث موسى وقصته ويؤيده انهم قالوا ان
الوقف على موسى لازم وقد ذكر بعض الادباء ان نحو القصة
والنبإ والحديث والخبر يجوز اعمالها فى الظرف خاصة وان
يراد بها معنى مصدرى كقوله تع هل اتيك نبأ الخصم اذ تسوروا
المحراب وهل اتيك حديث ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه
والسر فى جواز الاعمال تضمن معانيها الحصول والكون كذا
افاده بعض المحققين قدس سره قوله طوى عطف بيان للوادى

ولونه ابن عامر والكوفيون سادسا بل المكان وقيل ان معنى
طوى مرتين نحو ثنى اي نودي ندائين او قدس الوادي مرتين
كذ ذكره المصنف في سورة طه بكسر التاء وضمها قوله على ارادة القول اي اذهب
ليس بمفعول لناداه بل هو كذلك بالنسبة الى فعل
مقدر هو قال والمعنى اذ ناداه ربه وقال اذهب قوله لما في
النداء من معنى القول اعلم ان ان المفسرة مختصة بما في
معنى القول فلا تقع بعد صريح القول له ولا بعد ما ليس
في معنى القول فهي لا تفسر في الاكثر الا مفعولا مقدرا
للفظ غير صريح القول مؤد معناه نحو قوله تع وناديناه ان يا
ابراهيم فقوله ان يا ابراهيم تفسير لمفعول نادينا المقدر اي
ناديناه بلفظ هو قولنا يا ابراهيم وكذلك قولك كتبت اليه
ان انت اي كتبت اليه شيئا هو انت وقوله تع ما قلت لهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا الله فقوله ان اعبدوا الله تفسير
للضمير في به وفي امرت معنى القول وليس تفسيرا لما في
قوله امرتني لانه مفعول لصريح القول وقد تفسر بها المفعول
الظاهر كقوله تع اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه فقوله
ان اقذفيه تفسير لما يوحى الذي هو المفعول الظاهر لاوحينا
هذا كلام النحاة وانما اوردناه ليظهر حقيقة ما ذكره المصنف في
توجيه الكلام على القرائتين قوله هل لك ميل الى ان تتطهر

فيه

الاستفهام

الفاعل هو الفاعل اللغوي

فيه اشارة الى ان ثم محذوفا هو مبتداء قرينة الاستفهام
وهو الميل والرغبة وما نشأ كلاهما ونقل عن ابن جني انه قال
متى كان فعل من الافعال في معنى فعل آخر فكثيرا ما يجري
احدهما مجرى صاحبه فيعدل في الاستعمال اليه ويحتذى به
في تصرفه حذو صاحبه وان كان طريق الاستعمال
والعرف ضد ما هو حذوه الا ترى ان قول الله تع هل
لك الى ان تزكى وانت انما تقول هل لك في كذا
لكنه لما دخله معنى اجذبك الى كذا او ادعوك اليه قال
هل لك الى ان تزكى وقوله تع احل لكم ليلة الصيام الرفث
الى نسائكم لا يقال رفثت الى المرأة انما يقال رفثت بها
او معها لكنه لما كان الرفث في معنى الافضاء عدي بالى
وهذا من اسد مذاهب العربية لانه موضع يملك فيه المعنى
عنان الكلام فيأخذه اليه وقيل الظاهر ان هذا ليس من باب
التضمين بل من باب المجاز والقرينة الجارة تامل قوله وارشدك
الى معرفته فتعرفه فتخشى فتؤدي الواجبات وترك المحرمات قوله
اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة قال تع انما يخشى الله من عباده
العلماء اي العلماء والخشية ملاك الامر من خشي الله اتى منه
كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه ظهر وجه تقدير
فتعرفه قبل تخشى ووجه تقدير فتؤدي الواجبات وترك المحرمات

بعده وهذا اولى من تقرير المص من وجوه كما لا يخفى على من له فطرة سليمة
قوله وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا وذلك
لانه بدا كلامه بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول
الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق
حيث قال الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى ولم يقل
الى ان تزكى الشرك والجهل واهديك لتخرج من الضلالة
ونحوه مما فيه عنف وغلظة قوله اي مذهب وفيه اشارة
الى ان قوله ثم جاراه معطوف على محذوف لان قوله اذهب
الاية يدل عليه على نحو اضرب بعصاك البحر فانفلق قوله فانه كان
المقدم والاصل لعلل التسمية قلب العصا حية كبرى لانه كان
مقدما حيث ابتدا موسى عليه السلام بها وهذه دعت الى الاخرى
حيث كان موسى يتقي تلك الحية بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك
ليترك ذلك الصنيع لانه كان غير لايق به ان يخاف مما اظهره الله
على يده معجزة له فلما كانت الاولى هي الداعية الى الاخرى كانت
الاولى اصلا والثانية تابعة له فسمى الاولى لذلك كبرى قوله
المجموع معجزاته الواقعة منه في ذلك الوقت وهو مجموع الاصل
والفرع اي قلب العصا حية واليد البيضاء على ما يعلم من كلامهم
في هذا المقام قيل وعلى هذا تسميتها كبرى بالاضافة الى ساير
الايات التي اعطيها النبيون قبل موسى عليهم السلام وفيه

بحث

بحث لانه لم لا يدل من بيان كيف لا وبعض الايات التي اعطيها
النبيون قبل موسى كطوفان نوح مثلا كبرى بالاضافة اليها
ويجوز ان يكون تسميتها كبرى بالاضافة الى كل واحد من جزئيها
قوله فانها باعتبار دلالتها الاية الواحدة او لان الثانية كانها من
جملة الاولى لكونها تابعة لها قوله فكذب موسى والاية الكبرى
وسماها ساحرا او سحرا اعظم لحرزه به ويجوز ان يكون لاقتضى تسميته سماها
انكار الاية تكذيبا لعله من باب المشاكلة قوله وعصى الله فانه لم
يؤمن به ولم يطع له ولم يجعل المفعول به للفعلين شيئا واحدا لعله
لرعاية المناسبة وان جاز ان يكون واحدا ثم ان حذفه اما لاستهجان
نسبة التكذيب والعصيان اليهما واما للرعاية على الفاصلة على
الفاصلة واما لمجرد الاختصار مع قيام القرينة ويجوز ان يكون
من قبيل تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم اي فعل الامرين
العظيمين قوله بعد ظهور الاية افاده عطف عصى على كذب وجعله
معه مرتبا على اراءة الاية الكبرى قوله ثم ادبر بعدما راى فيه لم
يتحقق حينئذ تراخي الادبار عن التكذيب كما تقتضيه كلمة ثم
واجيب عنه بانه يمكن تحقق التراخي بان توقف في مكانه
اولا من غاية التحير والخوف والدهشة ثم بعد زوال ذلك
سعى هاربا من الثعبان واعلم انهم ذكروا ههنا وجها اخر
وقد استحسنه بعضهم وهو انه يريد ثم اقبل يسعى كما يقول اقبل

فلان يفعل كذا بمعنى النشاء يفعل فموضع او بر موضع اقبل ليبلا يوصف
بالاقبال قوله يسعى او مشا واشارة الى ان الاسناد في نادى اما ادمجازي
حوله فقال انا ربكم الاعلى تفسير لقوله فنادى قوله اخذا منكلا لمن راه حقيقي م
النكال ح منكل صفة لمفعول مطلق هو اخذا والتنكيل اصابه
الاعداء بعقوبة تنكل من وراءهم اي تجبنهم وقال الازهري النكال
العقوبة التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء قوله في الاخرة
بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق فيكون التقدير اخذ الله نكال الدار
الاخرة والاولى او التقدير اخذه نكال الكلمة الاخرة ونكال
الكلمة الاولى وقوله هي هذه اي انا ربكم الاعلى وكلمة الاولى
وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل بينهما اربعون سنة
او ثلاثون او عشرون مبدا ويحتمل ان يكون المراد بكلمة الاخرة
هي ما ذكره وبكلمة الاولى تكذيبه لموسى وان يكون المراد بكلمة
كلمة الاعلى وكلمة انا ربكم قوله او للتنكيل اشارة الى ان قوله
نكال مفعول له وقوله فيهما اي في الدنيا والاخرة قوله وقوله
لهما اي لكلمة الاولى ولكلمة الاخرة ولو قال او عليهما لكان اوفق
لما ذكره العا قوله مصدر بفعله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة
والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم قوله ان في
ذلك اي في حديث موسى وقصته او في اخذ الله فرعون وتنكيله
نكال الاخرة والاولى قوله ءانتم اشد خلقا هو الخطاب

هذين

26

بالخلق

للذين نحو طلبوا الجواب القسم المحذوف وهو لتبعثن فهذا الكلام فر
بالقسم وجوابه مع ما بينهما الى قوله فاذا هم بالساهرة وكان
حديث موسى وقصته معترضة ثم الظاهر ان المراد بالخلق ههنا
هو الايجاد ثانيا لان الكلام فيه وتقديره ان خلقكم ثانيا ليس
اشد من خلق السماء اولا بل خلقها على الوجه البديع امكن خلقكم
ثانيا بلا شبهة فلا استبعاد فيه واعلم ان الاستفهام الانكاري مع
مجيئه على طريقة الالتفات شاهد على شدة الغضب كما في
سورة النبأ قوله اصعب خلقا وانشاء فسر الشدة بالصعوبة
وجعل الخلق مصدر خلق ولم يفسر الشدة بالصلابة والخلق
بالخلقة لمجيء بناها بيانا لما قبلها فتامله واراد بالبيان في قوله ثم بين
خلقها الاستيناف وبه في قوله ثم بين البناء عطف البيان واراد
في الموضعين الاستيناف كذا قيل وينبغي ان يعلم انه قال الكسائي
والفراء تم الكلام عند قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء وابتداء
من قوله بناها الكواشي ام السماء مبتداء محذوف الخبر اي ام السماء
اشد خلقا وعنده وقف تام ان استانفت ولم تنصب
بناها حالا من الخبر المحذوف وقيل اذا قطع بناها تكون ام منفصلة
واذا وصل تكون منقطعة وتكون في الكلام ترق من الاهون
الى الاغلظ فيه ان حذف الخبر ليس بضروري لجواز ان تكون
من قبيل عطف مفرد نحو ازيدا رايت ام عمرا وانه كلمتا

يكون

الشرطيس ممنوعه اما الاول فلانه اذا قطع بنائها جوزان
ام منفصله ويكون في الكلام ترق من الاهون الى الاغلظ
واما الثانية فلانه اذا وصل يجوز ان يكون متصله ولابد لنفي
كل من الاحتمالين من دليل بهذا الكم ان الاستفهام سواء كانت
ام متصلة ليس على اصله كيف وقد قيل هو للانكار او للتقرير
قوله اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وهو بعدها من الارض
قوله في كلام وقع وهو الامتداد من وجه الارض الى السطح
الباطن للسماء والحق هو الامتداد من لاخفى سطح
السماء الظاهر والباطن وفي كلامه تنبيه على ان ليس المراد
من الاية الكريمة ان سمكها كان خفيضا فجعله رفيعا بل هو من قبيل
قولك للخياط ضيق فم الكم وقيل معنى رفع سمكها اعلى سقفها
وقيل جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة
عام وانت تعلم انه مجمل يمكن تطبيقه على الوجوه السابقة قوله
فعدلها او فجعلها مستوية لابد من الفرق بين هذين الوجهين
وذلك بان يقال عدلها بحيث لم يكن بعض اجزائها غليظا
وبعضها رقيقا وجعلها مستوية بلا شقوق ولا فطور ولا
انه يمكن عكس هذا الفرق التخصيص تحكم والاولى ان يحمل
كلاهما وجها واحدا في الكشاف حيث قال فسواها فعدلها
مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور ويدنوه ما

ووقع

27

ووقع في بعض النسخ فعدلها اي فجعلها مستوية بكلية اي بدل قوله او قوله
واغطش ليلها واخرج ضحاها فيه ايضا بيان لكيفية خلقها يعني خلقت
على وجه يحدث من حركتها الليل والنهار وقوله والارض بعد ذلك
وجهها ايضا مبين بكيفية خلق السماء باعتبار انه يعلم منه ان بسط الارض
بعده قوله اظلم منقول من غطش الليل اذا اظلم هذا يدل على ان اظلم جاء
متعديا ولازما وكذا الحال في اغطش لانه يقال غطش الليل واغطشه الله
كقولك ظلم واظلم ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم قوله لانه
يحدث بحركتها هذا ماخوذ من كلام الامام حيث قال انما اضاف الليل
والنهار الى السماء لانهما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهما
انما يحصلان بسبب حركة الفلك وقيل لان الليل ظلها قيل عليه
ان الليل ظل الارض واجيب عنه بانه باعتبار مرأى الناظر كذلك
كما ان جعل الكواكب زينة السماء في قوله تع وزينا السماء الدنيا بمصابيح
كذلك كذا ذكره الشارحون للكشاف وفيه ما فيه وهو ان زينة
السماء الدنيا بمصابيح باعتبار مرائى الناظر ظاهرة واما كون الليل
ظل السماء بهذا الاعتبار فغير ظاهر تدبر قوله والارض بعد ذلك اي
بعد بنائها ورفع سمكها وتسويتها وغير ذلك من الامور المذكورة وفيه
تنبيه على ان بسط الارض متاخر عن خلقها وذلك بان كانت مخلوقة
غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بالفي عام على ما قيل فخلق الارض
مقدم على خلق السماء وهو مقدم على بسط الارض بواسطة واحدة
وعبس وروي عن ابن عباس انه قال خلق الله الارض
باقواتها من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات
قوله ومرعيها هو بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى يقع عليهما وعلى
الموضع وفي قوله وهو في الاصل للموضع الرعي نظر لانه مشترك

من الزمان والمكان والمصدر قوله لانها حال باضمار قد والماضي المثبت
الواقع حالا يجوز فيه ترك الواو وقيل هذا اذا اريد بالدحو البسط الكلي
قوله او بيان للاخير هذا اذا كان معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى لان بسطها
وتمهيدها للسكنى انما يحصل بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر
الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى
وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها كذا قيل
ويؤيده سياق كلام الكشاف كما لا يخفى على من تامل فيه ومنه علم ضعف
كلام المص حيث فسر اولا دحاها بقوله بسطها ومهدها للسكنى ثم ذكر
الوجهين معا وبتنا ورمنه ان كليهما جاز على التفسير المذكور تامل فيه
ما فيه لان للمناقشة فيما قيل مجالا واسعا ولا يكون حجة على المص ثم انه يجوز
ان يكون اخرج منها مع ما عطف عليه بدلا من دحيها قوله وهو مرجوح
تفصيله ما نقل عن الزجاج انه قال القراءة بنصب الارض على معنى ودحى
الارض بعد ذلك وفسر هذا المضمر فقال دحاها وهو اجود من الرفع
لانك ان تعطف بفعل على فعل احسن قوله تمتيعا لكم ولمواشيكم هذا
يدل على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وهذا اما مفعول
مطلق منصوب بفعله المقدر او مفعول له اما للافعال المذكورة على
سبيل التنازع او لفعل مقدر مشترك بينها اي فعل ذلك تمتيعا لكم
لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم وقد يفسر المتاع
بما يتمتع به كما في الحديث الدنيا كلها متاع ويصح متاعا حال من الامور
المذكورة ولا يبعد ان يكون عد مرعى من متاع منكري البعث وعطف
الانعام عليهم للتنبيه على انهم داخلون في زمرة البهائم وانهم كالانعام
في عدم التامل والتفكر وفي التمتع بالدنيا والذهول عن الاخرة وذلك
لان الخطاب في قوله متاعا لكم ولانعامكم لمنكري البعث بشهادة قوله

28

انتم اشد خلقا والمرعى بمعنى الرعى بالكسر وهو الكلاء كما مر وقد استعير للانسان
لدقته مذكوره ولا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لانه من قبيل عموم المجاز حيث
اريد بالرعى الاكل الشامل لما يصلح للانسان والانعام قوله الداهية
هى الامر العظيم ودواهى الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبه قوله
تطم اى تعلو على ساير الدواهى كل شى كثر حتى علا وغلب فقد طم قوله
وهى اى الطامة الكبرى اى المراد بها القيمة او النفخة الثانية وقيل هى الاولى
لانها تغلب على كل شى فتغنى الخلق قوله يتذكر الانسان هو منكرى
البعث بناء على الآيات السابقة وقيل عام للمنكر وغيره وكان قد نسيها
يدل عليه يتذكر فهو كقوله احصاه الله ونسوه قوله وما موصولة او موصوفة
منصوبة محلا اى ما سعى فيه او مصدرية فالتقدير يوم يتذكر الانسان سعيه
لكل راء بحيث لا يخفى على احد اشارة الى فائدة قوله لمن يرى يعنى انه ظاهر
لا يتوقف الا على وجود الباصرة لا غير ولا مانع من الرؤية ولا حاجب
عنها ولا شك انه ادخل فى التهديد والتشنيع قوله وقرئ وبرزت
بالتخفيف ولمن راى ولمن ترى اجمل المص هنا كما هو دابه وكلامه يحتمل ستة
وجوه حاصلة من ضرب الاثنين فى الثلثة قوله او انه خطاب للرسول
او الخطاب عام قوله او لمن يراه من الكفار قيل وجه التخصيص بالكفار
انه جعل اللام للتعليل وفيه نظر وهذا التخصيص ليس بمذكور فى الاصل
وانت تعلم ان الخطاب اذا كان للرسول يفوت العموم المناسب
لمقام التهديد سيما على وجه قرره المص تامل قوله او ما بعده من التفصيل
يحتمل ان يكون معطوفا على قوله محذوف اى جواب فاذا جاءت
هو قوله فاما من طغى الخ وهذا الوجه ذكر فى الكشاف ويحتمل ان يكون
معطوفا على قوله يوم يتذكر اى جواب فاذا جاءت محذوف
دل عليه قوله فاما من طغى وهذا الوجه الذى نقله صاحب الكشاف

عن علامه في الجوانح حيث قال ذكر وجها آخر وهو ان يكون جواب
او المحذوف كانه قيل فاذا جاءت وقع ما لا يدخل تحت الوصف وقوله
فاما التفصيل لذلك المحذوف والذي ذكره في المتن من انه هو الجواب
فيه غموض اقول لا غموض بعد تحقيق استقامة ان تقال فاذا جاءت فان
الطاغي الجحيم مأواه وان الجنة مأواه وزيادة اما لم تفد الا زيادة
المبالغة والتحقيق والترتيب والثبوت على كل تقدير فهذه عبارته فيه
انه ليس كل ما اول بشيء حكمه حكم ما اول على انه ليس على وفق ما هو
المتعارف في اما وهو تفصيل ما اجمله المتكلم اما في الذكر او في الذهن وهذا
كاف في الغموض قوله حتى كفر بعد التخصيص مناسب للآيات السابقة
وكذا الخبر وهو قوله فان الجحيم هي المأوى لكن يبقى ح حال الفاسق
من المؤمنين متروكة قوله واثر اختيار الحيوة على الآخرة ما شاع السهو
فانهمك فيها تقال انهمك الرجل في امر اي جد ولج قوله واللام فيه ساد مسد
الاضافة قبل الالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند
سيبويه والبصريين من المأوى له وفي الكشاف ليس الالف واللام
بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى تركت
الاضافة ودخول حرف التعريف للتعريف لانه معروف ثم ان المصادر
ما ذكره المص ان اللام بدل من الاضافة والدليل الذي اورده في
شأنه لا يناسب ذلك بل يدل على انه لا حاجة الى اضافة كما تعلم من الاصل
ولعله وقع فيه من خاطر الكلام من ما فهم قوله مقام ربه ان حمل المقام
على معنى الموضع يكون والمكان فلا اضافته الى الرب لادنى ملابسة
بمعنى ان له مقاما يوم القيامة لحساب ربه فالمقام لمن خاف لا الرب
واضافته الى الرب لا لانه يقوم فيه لانه تع عن ذلك علوا كبيرا بل لانه
ملكه والناس قائمون فيه منتظرون ما يحل عليهم من قبله تعالى وان حمل

على

29

على معنى المصدر بمعنى الهيئة والحفظ من قوله امن هو قائم على كل نفس بما كسب
فالاضافة ظاهرة والمعنى من خاف قيام ربه وكونه مهيمنا وحافظا عليه
لانه فالمعنى المراقبة والخوف وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب
فلان وفعلت هذا لمكانك هذا ويمكن ان يقال قد يراد بالمقام المرتبة
والمنزلة في كلامهم ولا بعد ان يراد ههنا هذا المعنى اي من خاف مرتبة
ربه ومنزلته او من خاف مرتبته عند ربه وذلك لان من علم مرتبة ربه
وشرفه وقهره وسلطنته خاف منه وكذا من علم دناءة مرتبته ومقصوره
يخوف وقول المص مقامه بين يدي ربه يمكن تطبيقه على الوجه الاول و
الرابع بتقدير وقد يقال جعل المجموع مقام الرب اي المقام بين يديه
اسما واحدا واضيف الى الضمير فمعناه مقامه بين يدي ربه كما قيل حب
زمانك حسن لا زمان للمخاطب بل له حب من الزمان فانه جعل حب
الزمان اسما واحدا واضيف الى المخاطب المخاطب فاعل فعله فافهم قوله
ونهى النفس زجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير يعني ان
النهي بمعنى كف النفس ومنعها عن شهوتها ومعها عما ترغب اليه
وتميمة له لا بمعنى استعمال الصيغة المخصوصة على وجهها كما صرح به الامام
الراغب قوله فانه مرد من الارواء بمعنى الامساك قوله ليس له سواها مأوى
مقوله فان الجنة هي المأوى من قبيل قصر المسند على المسند اليه وكذا الحال
في قوله فان الجحيم هي المأوى فذكره ههنا كان اولى قوله يسألونك عن الساعة
فصله لانه كالبيان لما سبق وانما سميت الساعة ساعة لوقوعها بغتة
او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله تع كساعة
عند الخلق ثم اعلم ان السائلين اما الناس مطلقا او منكرو البعث
كما يدل عليه قول المص فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا وهو المناسب
لصدر السورة حيث قال الله تعالى يقولون ائنا الآية قوله او منتهاها

ومستقرها من مرسى السفينة مثل فيه اشعار بثقل اليوم لقوله تع
ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ولم يطلع الارباء الاعلى ما فيه ثقل كالجبال
والسفينة وينبغي ان يقال ان المرسى مشترك بين المصدر والزمان
والمكان والوجه الاول مبني على الاول والثاني على الثاني قوله اي
ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء يريد ان الاستفهام
في قوله فيم انت من ذكراها للانكار يعني لا فائدة في ذكرها وتبيينها
او لا تقدر على ذكرها وتبيينها وقوله حال ذكره بها لازم لهم الاعتنا يدل
على الاول وقوله ووقتها مما استأثره الله تع بعلمه يدل على الثاني
وحاصل هذا الكلام انهم يسألونك عن الساعة ولا فائدة في بيانها
لانك لا تعلمها لان وقتها مما استأثره الله تع بعلمه هذا في الكشاف
وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
الساعة ويسال عنها حتى نزلت فهو على هذا التعجب عن كثرة ذكره
لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها
والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا
تزال تذكرها وتسأل عنها وقيل هذا كالاخر الاوجه المذكورة في
قوله لهم كانك حفي عنها فلا يرد ذلك الاية قوله وقيل فيم انكار
لسؤالهم اي فيم هذا السؤال يعني لا ينبغي لهم هذا السؤال قيل فعلى هذا
يحسن الوقف على قولهم فيم ليفصل بين الكلامين قوله مستأنف
استيناف تعليل لانكار سؤالهم يعني لا ينبغي ان يسألوا عنها لانك
ذكراها اي ارسالك خاتما للانبياء علامة من علاماتها فكفى بذلك
دليلا على دنوها ومشارفتها ولا معنى لسؤالهم عنها حيث تكفيهم
مشارفتها ليستعدوا لها فان فائدة العلم بها ان يستعدوا
لها وما يترتب عليه هذه الفائدة حاصل لهم هذا تحرير كلام المصنف وان

كان

30

وان كان لا يخلو عن قصور في افادة هذا المرام قوله وقيل انه متصل
قوله وقيل انه متصل بسؤالهم اي يسألونك عن الساعة ايان
مرسيها ويقولون اين انت من ذكراها قح يجوز ان يكون السؤال
الثاني مبنيا للاول وان يكون سؤالا على حدة قد بر قوله الى ربك منتهاها
اي منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه افاد هذا الحصر تقديم الخبر
على قوله انما بعثت لانذار من يخاف هؤلاء اي لم تبعث لتعلمهم بوقت
الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من
من يكون انذارك نطعا له في الخشية منها ولا يخفى انه جعل المقصور عليه
قوله منذر وهو المناسب لسياق الاية ولذا اعتذر عن تخصيص من يخشى
حيث قال لانه المنتفع به وجعل صاحب المفتاح المقصور عليه
من يخشاها اي ما انت منذر الا من يخشاها بناء على ان المقصور عليه
في انما هو القيد الاخير قوله وعن ابي عمرو منذر بالتنوين قيل هذا منون
يزيد وابن عباس وقيل هي شاذة قوله والاعمال على الاصل لانه
بمعنى الحال يعني ان الاصل هو عدم الاضافة فان الاضافة للتخفيف
والاعمال على ذلك التقدير لكونه بمعنى الحال وكونه حالا لكونه بمعنى
الحال او الاستقبال كما في الكشاف لكان اولى وتفصيل الكلام
في هذا المقام انه اذا قرئ منذر بالتنوين كما هو الاصل يصلح للحال
والاستقبال دون الماضي لان عمل اسم الفاعل مشروط
باحد الاولين واذا قرئ بالاضافة فتصلح للماضي ايضا ومنه علم انه اذا اريد
الماضي تعينت الاضافة وانما كان التنوين اصلا لان اسم الفاعل اذا
كان بمعنى الحال او الاستقبال وهو الاصل لان خلافه الماضي
فيه نون لانه ح بدل من الفعل والفعل نكرة وقد يجوز حذف التنوين
على الاستخفاف والمعنى على ثبوت التنوين ولذا كانت اضافته

لبعضه بخلاف ما اذا كان بمعنى الماضي فان اضافته ح معنوية
كانهم يوم يرونها اى كان الناس مطلقا او منكرى البعث كما ذكرناه
في يسئلونك يوم يرون الساعة لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية
او ضحاها اى ضحى العشية وقول المص اى عشية يوم او ضحاه بيان للمعنى
لا لرجع الضمير وذلك ظاهر والحاصل انهم استقلوا مدة لبثهم في
الدنيا او في القبور لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من
نهار وقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم و اعلم ان كلمة كان يجوز
ان يكون للظن على سبيل الحكاية عنهم مثل قالوا لبثنا الآية ويجوز ان
يكون للتشبيه والظاهر هو الاول فافهم قوله الا عشية او ضحاها
لا بد هنا من بيان امرين احدهما صحة اضافة الضحى الى العشية واشار اليه
بقوله ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد يعنى ان
تلك الاضافة للملابسة بينهما لاجتماعهما في يوم واحد وقوله لانهما
من يوم بيان لعلية المعنى الذى ذكره لتلك الاضافة وثانيهما وجه
ترجيح الاضافة على عدمها ان يقال الا عشية او ضحى وبيانه ان المقصود
هنا ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او
ضحاه فاذا لم يضف احتمل ان يكون العشية من يوم والضحى من
يوم اخر فيتوهم الاستمرار في ذلك الزمان الى امثلة
من اليوم الآخر فلا يكون نصا في ذلك المقصود واذا قيل عشية
يوم او ضحاه لم يحتمل قوله كانه قيل صحى تلك العشية ما يغنى عنه
مع الاختصار او يقال كان الاضافة نظرا الى المراد فلما اختصر
الكلام لم يترك الاضافة ثم قد يقال انه كان من المحتمل ان يراد
بالعشية او الضحى كل اليوم مجازا على اصنف افاد التاكيد ونفى
ذلك الاحتمال نحو اخذت بيدى ورايت بعينى والقسم او الم

لقف

نصف الضحى الى ضمير العشية لم يحافظ رؤس الآى ومنه يستفاد
وجه تاخير الضحى عن العشية في الوضع والامر بالعكس في الطبع لان
العشية ما بعد الزوال والضحى قبله قوله فمن حسنه الله في النعمة
حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة عبارة عن استقصار مدة اللبث
لما يلقى من البشرى والكرامة في البرزخ والموقف وفي الكشاف
زاد في هذا الحديث لفظ القبر الخ تمت السورة والحمد لله والصلوة
والسلام على رسوله محمد واله وصحبه سورة عبس بسم الله الرحمن الرحيم
قوله وآيها احدى واربعون قيل اثنان واربعون قوله عبس مكى وكبير
اى النبى عم ولولى اعرض قوله روى ان ابن مكتوم اختلفوا في اسمه واسم
ابيه وفي ان ام مكتوم امه او جدته والعلم عند الله وقيل الحديث
عن مالك بن انس في الموطا وفي الترمذى عن عائشة رضى الله عنها
قالت نزلت عبس في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدنى وعند رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول اترى بما اقول
باسا فيقول لا ففى هذا انزل هذا والظاهر يقول اترى للابن ام
مكتوم ولا يخفى ما بين الروايتين من التفاوت وما اورده المص هو ما
في الكشاف بادنى تغيير فتدبر قوله وعنده صناديد قريش عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب
وامية ابن خلف والوليد بن مغيرة قوله قطعه الضمير او لابن ام مكتوم
قوله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه وروى انه ما عبس
بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وروى ان الفقراء في مجلس
سفيان الثورى رحمه الله كانوا امراء قوله واستخلفه على المدينة مرتين

والنبي عم

عشرة هجرة الى المدينة مرتين وقيل استخلفه عليها ثلث عشرة مرة في غزواته وكان
ورشيا اسلم قديما بمكة وكان حضر وامات بالمدينة وقيل قتل شهيدا
بالقادسية وهي موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر ميلا قوله علة
لتولى او عبس قدم تولى منهما على اختيار مذهب البصرى
في التنازع ولو بدا قوله كانه قال تولى لكونه اعمى وحذف اللام
من ان جاءه للقياس المستمر لا لكونه مفعولا له لانه ليس فعلا لفاعل
الفعل المعلل على ما قيل قوله وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما كان
اصله الان محذوف اللام لكونه حذفه قياس في أن وآن فاجتمع همزتان
وهذا ثقيل فاشبع فتحة الهمزة الاولى لتحصل الف تنفصل بين
الهمزتين قال ابن جني قراها الحسن وان متعلقه محذوف دل عليه
عبس وتولى اى الان جاءه الاعمى عبس وتولى وفي قوله بمعنى الان
جاءه الاعمى فعل ذلك اشارة اليه والوقف اذن على تولى والاتيان
بالاستفهام للانكار واما ان على القراءة العامة منصوبة بتولى او
بعبس كما اشار اليه المص وذلك لان الاستفهام مانع لكونه معمولا
لما سبق عليه بخلاف عدمه هذا واعلم ان من اعمل الاول اضمر في
بعبس ولقدر مثله للثاني ومن اعمل الثاني فبالعكس وعلى كلا التقديرين فعل
كل من الفعلين بالتعليل بخلاف مذهب الفراء لاعملها معا فقيل
لطف المعنى مع اعمال الاول كما هو مذهب الكوفيين ثم الواو
وان لم يدل على الترتيب لكن النظم يقتضيه فلا يناسب ان يقال
تولى لان جاءه الاعمى وعبس لذلك لان التولى بعد العبوس
كما يشهد له الحال وفيه بحث لان اعمال الثاني كما هو مذهب البصريين
لا يقتضي تقدم التولى رتبة حتى يلزم خلاف ما يشهد له الحال
وذلك ظاهر قوله وذكر الاعمى للاشعار بعذره فيه وفيه كشف ودفع

ابهام

32

ابهام الاختصاص بالاعمى المعين وانما على ان كل ضعيف طالب يستحق الاقبال
فهو على اسلوب لا يقتضي العام وهو غضبان بعد الكلام ويمكن ان يعلم
ان اللام ح ليس للعهد ويجوز ان تكون للعهد الخارجي تنبيها على
ان هذا المعين مما لا ينبغي العبوس والاعراض عنه لزيادة فضله وشرفه
قوله والدلالة على انه احق عطف على قوله للاشعار ولو قال او
للدلالة لكان اولى والنسب لقوله او لزيادة الانكار يعني انه ذكر الاعمى
ولم يذكره باسم العلم لزيادة الانكار لانه بنى الحكم على المشتق فيدل على
عليته كما ان في الاقبال عليه بالخطاب من زيادة الانكار كمن يشكو الى
الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها
بالتوبيخ والزام الحجة قوله اى واى شئ يجعلك داريا بحاله فقدر للفعل مفعولا
تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعوله ولعل ح راجع الى الله تع اما
مجازا على سبيل الرمز للقطع لان لعل من مثل الجبابرة قطع في حصول
المطموع فيه او تمثيلا وانه تع تعامل معاملة من يطمع ويرجو او قد يقال لعل
اعاد انك ما طمعت من الاعمى التزكي فلهذا اعرضت عنه وما يدريك
انه يزكى ولو طمعت منه ذلك لما اعرضت عنه فعلى هذا لعل راجع الى
النبي صلى الله عليه وسلم يعني انه عزم ينبغي ان يطمع منه ذلك ويرجوه
وانت خبير بانه تعسف وقيل ان قوله لعله يزكى معلق بالفعل على وجه
سد مسد مفعوله والوجه نفي درايته انه يزكى او يذكر والترجي راجع الى
الاعمى او الى النبي ع م دلالة على ان تزكيه او كونه ممن يرجى منه ذلك كاف
في الامتناع من العبوس والاعراض كيف وقد كاد استركاوه متحققا
ولما هضم من حقه في تعلق الرجاء به لا التحقق وفيه اظهار ما يقتضي
مقام العظمة ههنا من اطلاق التزكي وحمله على ما يطلق الاسم لا الكامل
فافهم هذا الكلام بامل فيه مافيه قوله وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية

غيره وجه ان تخصيص التزكي بالذكر وحصره في الاعمى يشعر بانه مطلوب
وان هذا المطلوب لعله متحقق في الاعمى لا غير يعني ان الوصف الذي
هو المقصود لعله فيه لا غير قوله او يذكر كلمة او لتنويع ما يترتب على توجه
النبي عم الى الاعمى وتعليمه وذلك على سبيل منع الخلو قوله وقيل الضمير في
لعله للكافر اي لعل الكافر فعلى هذا الفعل راجع الى رسول الله عم
وذلك حال طمعه في تزكيه وان ما طمعت فيه كائن والقراءة في
فتنفعه تؤيد هذا الوجه لاشمام الترجي معنى التمني لبعد المرجو من الحصول
قيل ويبعده التفصيل بعده وهو اما من استغنى واما من جاءك يسعى لانه
يقتضي ان يكون للكافر الذي ذكر في المجمل هذا وانا لم يرض له لعدم ذكر
الكافرون لا افراد الضمير لانه كان عنده حين عبس وتولى صناديد قريش
وهو مشتغل بهم طمعا في اسلامهم كذا قيل وقد يقال في معنى الترجي
الذي يعطيه لعله يمهد عذر له صلوات الله عليه جبر الذلك الخطاب
المشتمل على التوبيخ يعني اعذرناك لانك حريص على اسلام ما دي
اجتهادك الى ان تقبل عليهم وتعرض عن الاعمى ولو دريت ذلك
ما فرطت ذلك ورد ذلك بان قوله اما من استغنى الاية يدل على ان
الانكار بان قوله بالنصب اي فتنفعه بعد ان جوابا للفعل بناء على اعطاء
لعل حكم ليت وقد سمعت ان النصب يؤيد ان يكون الضمير في لعله
للكافر لان استبعاد التزكي والتذكر المقتضي لاعطاء لعل حكم
ليت انما يليق بالكافر ولا يخفى عليك ان الضمير في لعله اذا كان للاعمى
فاعطاء لعل حكم ليت يفيد ان الرجاء البعيد كاف في الامتناع
من العبوس والاعراض كيف وقد كان قريبا واقعا وتنزه الدفيعة
ليست مرعية اذا كان الضمير للكافر قوله لم فانت له تصدى اعلم ان نحو
انا عرفت يحتمل التخصيص وتقوي الحكم واذا اريد التخصيص يقدر تقديم الفاعل المعنوي

علي عامله

على عامله فالحمل على التقوي ههنا واقع في محزه لكن سوق الكلام لما كان للانكار
حمل الكلام على ان التقديم لتخصيص الانكار بالمقدم كما اذا كان الكلام
منفيا كان معناه التخصيص النفي نحو ما انا ضربت فانه يفيد تخصيص نفي الضرب
بالمقدم فكذا ههنا المعنى انت خصوصا لا ينبغي ان تتصدى للغني وتتلهى
عن الفقير كانه ينكر عليه هذا الامر لا على غيره تنزيها لمقامه صلى الله عليه
وسلم من النقائص والغرض زيادة تحفظه عليه الصلوة والسلام لئلا
يعود لمثله ولما كان هذا الكلام بظاهره يفيد ان المؤمن العارف
بحال الفقير لا ينبغي ان يعرض عنه ويتصدى للغني حمل كلمة انت على التعميم
وقيل اي مثلك خصوصا ليفيد ان المقصور عليه ليس الرسول فقط
بل كل من يتبعه من المؤمنين داخل معه في هذا الخطاب والقصر قوله
تتصدى تتعرض بالاقبال عليه في المطلع اي تقبل عليه بوجهك
وتميل اليه كذا قيل قوله ويدعي الى التصدي ومعناه يدعوك داع الى التصدي
له من الحرص والتهالك على اسلام قوله وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام
بجعل كلمة ما نافية تبعا لصاحب الكشاف وجوز ان يكون استفهامية كما نقل
عن الزجاج اي اي شيء عليك في ان لا يسلم من تدعوه الى الاسلام
قوله الله او اذية الكفار الخ لا مانع من الجمع بين هذه الوجوه قوله تلهى عنه
والتهي وتلهى الراغب اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت
بكذا ولهيت عن كذا اشتغلت عنه بلهو ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو
وينبغي ان ينبه على انه قرأ طلحة بن مصرف تلهى وقرأ ابو جعفر تلهى
اي يلهيك شان الصناديد ولا يظهر وجه عدم تعرض المص لها بين القرائتين
بعد تعرض جنه للقراءتين في تصدى قوله ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة
مثله المعاتب عليه هو انه صلى الله عم عبس وتولى وتصدى لمن استغنى
وتلهى عمن جاءه يسعى وهو يخشى والمراد بقوله او عن معاودة مثله الردع عما

بما ثبت له من الانواع الاخر من الاخبار بما من اهل الصدق والاخلاص والالتفات والتوجه
التام الى اهل العناد والنفاق ولو قال وعن معاودة مثله لجملة الواو على
او كما هو في الاصل لكان اولى قوله تع ثم سادكره اعراض وهو يكون بالفاء
قد وقع عليه مسابقة قوله واعلم معلم المرء بنفعه وما نقل عن العلامة انه انكر كون
الاعراض بالفاء قد وقع بانه مسابق لما نص عليه في قوله تع فاسئلوا اهل الذكر
في سورة النحل انه من الاعراض على بعض الاوجه فليس بثبت قوله والقران
اي انها وذكره للقران او العتاب المذكور الظاهر ان المراد بالقران ما يتناول
الايات السابقة ولو قال الضمير للايات او السورة لم يحتج الى التكلف
في الاول بل يحتاج اليه في الثاني بان يقال ان التذكرة في معنى الذكر والوعظ
او ان الايات والسورة في معنى القرآن ولا يخفى ان الامر في امثال ذلك
هين لما بين خبره او لانه ايات قوله في صحف يعني انها مثبتة في
صحف منتسخة من اللوح وقيل هي صحف الانبياء كقوله تع ان هذا لفي الصحف
الاولى قوله مرفوعة القدر او مرفوعة في السماء قوله عن ايدي الشياطين او عن لمس
من كلام الله تع قوله من الملائكة والانبياء وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول
الله صلعم قوله جمع سافر او جمع سفير من السفر او السفارة الاصلاح بين القوم
والسفر الكتابة كذا في الصحاح السفير الذي يصلح بين الرجلين قوله والتركيب
اي من السين والفاء والراء للكشف سواء كان سفرا او سفارة لان الكتابة
والاصلاح وكشف الوجه شركة في مطلق الكشف ومنه اسفر الصبح وكذا
الحال في السفر بمعنى قطع المسافة المعهودة وبالجملة الكشف معتبر في جميع
معانيه وتصرفاته قوله تع كرام قيل لانه لو لم يكن لهم من الكرم الا هذه
الواحدة لكفتهم وهي انهم مع غيبتهم وانهم في اعلى عليين يستغفرون
للمؤمنين ويذكرون خيرهم وانت لا تذكر اخاك الا بالسوء والقبح قوله
بررة اتقياء جمع بار قوله تع قتل الانسان قال الامام قتل الانسان نفسه

على

على انهم استحقوا اعظم انواع العقاب عرفا قوله ما اكفره تنبيه على انهم اتصفوا
باعظم انواع القبائح والمنكرات قوله دعاء عليه باشنع الدعوات لان القتل
قصارى شدائد الدنيا وفظائعها ومنهم من فسر قتل بلعن قوله تعجب
من افراطه في الكفران وما اكفره اما استفهام اي اي شيء حمله على الكفر او الكفران
سواء كان هذا الاستفهام للتوبيخ او للتعجب او للتقرير او تعجب اي ما
اشد كفره او كفرانه ومنهم من صرح بكلا الوجهين وكلام المصنف في الثاني
يحتمل وان امكن تطبيقه على الاول ايضا بان لو اخذ التعجب من الاستفهام
ومما ذكرناه علم ان الكفر يجوز ان يكون من الكفران كما اشار اليه المص ويجوز
ان يكون من الكفر ويؤيده ان منهم من فسر الانسان بالكافر اما مطلقا او امية
او عتبة قوله وهو اي قوله قتل الانسان ما اكفره قوله والاستفهام للتحقير
وقيل للتقرير قوله فهيأه لما يصلح له اشارة الى انه اريد بالتقدير الهيئة لا الخلق
والا يلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه ونحوه وخلق كل شيء فقدره
تقديرا انه حمل التقدير في الوجه الاول على الهيئة ~~لا الخلق والا يلزم التكرار~~ قوله لما يصلح
له من الاعضاء كالايدي والارجل ونحو ذلك قوله والاشكال من اعتدال
الخلق والمشي قائما لا كالبهائم وتناسب الاعضاء حتى اعتدلت والاول
ان لا يخص به بل يحمل على الهيئة لما يصلح له مطلقا سواء كان من الاعضاء او من غيرها
من القوى ومصالح التكليف والمعارف ونحو ذلك ويمكن ان يقال
فقدره اي فهيأه للمعارف ثم السبيل الى القرب منه تعالى والوصول
اليه يسره قوله اي قدره اطوارا كقوله تع وقد خلقكم اطوارا اي تارات
وكرات خلقكم اولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما
قوله بان فتح فوهة الرحم الخ هذا الوجه هو المناسب لسياق الاية وللتحقير
الذي هو المقصود بالسياق من هذه الايات قوله او ذلل له سبيل الخير والشر اي
سهل له ما اراده ومكنه كقوله تع انا هديناه السبيل وعن ابن عباس

من له سبيل الخير والشر وقد سمعت ان نظم الكلام يؤيد الاول وقيل ثم السبيل
الى نفع منافعه بينة كالرضاع ونحوه كقوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
والكلام فيه كما في الوجه الثاني قوله ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر فعلى هذا
الضمير المنصوب في يسره للسبيل والمعنى ثم يسر السبيل له اي للانسان
وللغير يسره وقد يقال الضمير المذكور للانسان وهو المفعول الاول له وقد
حذف منه اللام فهو من قبيل الحذف والايصال والسبيل هو المفعول
الثاني له لكن قدم عليه لمحافظة رؤس الاي اي يسر له السبيل لا سالكه
في التيسير لتكرار النسبة لابهام او لاتم بعشره قوله وفيه على المعنى الاخر ايماء
بان الدنيا طريق انما قيد بالمعنى الاخير لان المعنى الاول ليس فيه ايماء الى
الدنيا اصلا كما لا يخفى ثم اعلم ان الايماء المذكور انما يظهر اذا كان سبيل الخير
والشر في الدنيا حتى يصح التعبير فيه عن الدنيا بالسبيل قوله تعالى فاقبره
فجعله ذا قبر يوارى فيه قال ابن السكيت اقبرته اي صيرت له قبرا يدفن
فيه الذي يدفن بيده هو القابر او نقول معناه فامر بان يقبر يقال
اقبره الميت اي امره بان يقبره فاقبره في النظم متعدي الى المفعول
الثاني متروك منه المفعول الاول فمعنى فاقبره فامر غيره ان يقبره
ومكنه منه وهذا راجع الى ما ذكرناه ومنهم من جعل المعنى الاول مبنيا على
القول الثاني كما هو الظاهر من الكشاف فارجع اليه وفيه بان معنى فاقبره
فامر غيره ان يقبره ومكنه منه وهو راجع الى فجعله ذا قبر يوارى فيه فافهم
قوله انشره احياه بعد موته لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية
واللذات الخالصة هذا بالنسبة الى المؤمنين ظاهر واما بالنسبة الى الكفار
فمن اعتبار انها في حد ذاتها قابلة لان يتوصل بها الى تلك السعادة وانما
بالنسبة الى الكفار لكن وقع منهم التقصير ففاتت تلك اللذات منهم ولعل
قوله في الجملة للاشعار الى هذا قوله والامر بالقبر اشارة الى ان الاقبار بمعنى

الامر

35

الامر بالقبر كما نقلناه قوله تعالى ما امره قيل الاصل بما امره به فحذف الباء الاولى
فصار بما امره فالباء الباقية للموصول والمحذوفة للانسان واثبت لعل انه
تكلف وارتكاب لحذف كثير ولو قيل ان الضمير المذكور للانسان والرابطة
في الصلة محذوف وهو به لكان اولى من لدن ادم الى هذه الغاية هذا
معنى التوقع في لفظ لما ورويناه في صحيح البخاري عن مجاهد لا يقضي احد
ما امر به اي لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه لان الانسان لا ينفك
عن التقصير كذا قيل وهذا يدل على ان المراد بالانسان هنا اعم من المؤمن
والكافر واذا حمل على الكافر فقال المعنى لم يفعل ما امر به من الايمان
تعالى فلينظر فليتأمل فان النظر بالاعتبار الى الشيء هو التأمل فيه الانسان
اما مطلق او يراد به الكافر على ما ذكرناه فيما مر وهذا من قبيل وضع الظاهر موضع
المضمر لزيادة الاهتمام بتدبر قوله تعالى الى طعامه الذي يأكله ويحيى به والمعنى الى كونه
وحدوثه من اي شيء كان وهو موضع الاعتبار وقيل الى انهار طعامه يعني
رجيعه ابن عباس ليعلم خسة قدره وفناء عمره وفي الحديث ان مطعم ابن
ادم جعل مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر الى ما يصير وقيل الى دركه
ومخرجه وسبب بدايته ونهايته قوله اتباع اشارة الى ان قوله فلينظر عطف
على قوله من اي شيء خلقه كذا قيل قوله للنعم الذاتية اي الواردة في نفسه وذاته
والنعم الخارجية هي التي لا ترد في ذاته ولكن يحتاج اليها في عيشه وحيوته قوله
بدل الاشتمال بالنظر الى جميع ما في حيز ان لان هذه الاشياء مشتملة على
كون الطعام وحدوثه فهو من نحو يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه
وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره لان الذكر كالمشتمل على المذكور
قوله واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب انما جعل الاسناد اليه
مجازا لان الفعل حقيقة لمن قام به لا لمن صدر عنه ايجادا ولهذا تراهم يحتاجون
في قوله تعالى يريكم البرق خوفا وطمعا الى التأويل وهذا جار في كلا الوجهين

المذكورين كما هو سياق كلام المص لا في السابق فقط كما توهم وظهر منه انه ليس
مبنيا على قاعدة الاعتزال كما ظن قوله مع ما ينبت فيها اي في الارض سواء كان الانبات
فيها بلا واسطة او بواسطة حبا هو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما قوله
يعني ان الرطبة في المغرب الرطبة بالفتح الاسفست الرطب والجمع رطاب
وعد العضب من الطعام لانه لو ل الدابة بالآخرة وكذا الحال في النخل
والطعام يعم الفاكهة ولذا عد العنب منه واعلم ان الحدائق هي البساتين
وهي عبارة عن الارض مع الاشجار فعدها من النبات باب يحتاج الى تفسير
ولو صح كما يحتاج الية عدها من الطعام ولعله باعتبار ما يحصل منها قوله
مع حدائق غلبا جمع غلباء تحتمل ان يكون كل حديقة غلباء ومجموع
الحدائق غلبا وذلك لان كل حديقة تشبهت في تكاثفها وكثرة اشجارها وانضمام
اوراقها واندماج بعضها في بعض بالرقبة الغليظة المنتفخة العروق المتصل
بعضها ببعض فاطلقت عليها غلباء وان يكون كل واحدة منها غلبا باعتبار
ان اشجارها غلبت لكونها غلاظا فكل شجرة من اشجارها غلباء
ومجموعها غلب فكل واحدة من الحدائق الحم غلب باعتبارها ولعل
الوجه الاول مما ذكره المص اشاره الى الاول والثاني الى الثاني ما فهم قوله
مستعار من وصف الرقاب لان الاصل في الوصف بالغلب الرقاب
قيل وهو من الاستعارة المعنوية شبه تكاثف الاوراق وعروقها بغلظ الاوداج
وانتفاخ الاعصاب مع اندماج بعضها في بعض في غليظ الرقبة فلا يرد ان
الغلظ في الاشجار اقوى لان الامر بالعكس نظرا الى الاندماج يعوى
البعض بالبعض حتى صارت شيئا واحدا انتهى كلامه وفيه ومنه ان الاستعارة
المعنوية لا بد منها ان يكون وجه الشبه اقوى في المشبه به من المشبه تأمل
نعم فيه ما فيه وكذا علم ضعف ما قيل هو من استعارة المرسن لانف
الانسان وكذا الحال فيما قيل هو على الاول استعارة معنوية شبهت الحديقة

فی تکاثفها وکثرة اشجارها وانضمام اوراقها واندماج بعضها فی بعض بالرقبة
الغلیظة المنتفخة العروق المتصل بعضها ببعض ولاشک ان وجه الشبه
فی المشبه به اقوی وفی الح لی هو من استعارة المرسن لانف الانسان
ولیس باستعارة معنویة لان العظم والغلظ بل مع الاندماج وتقوی
البعض بالبعض حتی صارت شیئا واحدا ولاشک انه اقوی فی الرقبة
الغلیظة المنتفخة العروق کما اعترف به الاول ولا وجه لاعتبار الاندماج فی
الاول دون الثانی قوله ثم وفاکهة هذا من قبیل التعمیم بعد التخصیص بالنسبة
الی العنب وغیره ویدل علی ان الطعام شامل للفواکه الصم کالس بالنه
قوله ومرعی لاشک ان نظم الکلام یدل علی ان الاب بعض ما انبته الله
فی الارض متاعا للانسان او لانعامه عد المرعی منه لا یظهر الا بالتاویل وبالعم
هذا الا یناسب ما مر من تفسیر الشیخ بالکراب لانه لا یکون فی المرعی قوله
لانه لوم ونتحع الاب والام بفتح الهمزة فیهما اخوان ای مثلان فی معنی
القصد قوله توّب للشیء ای تهیأ له قوله ثم ما عاکم حد بعدم الکلام فیه
فذکر قوله ثم فاذا جاءت جوابها وهو محذوف یدل علیه یوم یفر وهو
بدل من اذا جاءت والمعنی فاذا جاءت الصاخة یفر المرء او یقول جوابه
لکل امرء منهم الایة او ما یدل علیه لکل امرء منهم الایة وکذا الحال فی
قوله وجوه یومئذ الایة وهو نظیر قوله فاذا جاءت الطامة الکبری یوم
یتذکر الانسان الایة فالکلام ثمه الصاخة الصیحة التی تصم لشدتها
یقول صخ الصوت الاذن یصخها صخا ومنه سمیت النفخة صاخة وقیل
الصاخة هی الصیحة التی یکون عندها القیمة تصخ الاسماع ای تصمها قوله
وصفت بها مجازا لان الناس یصخون لها ای لاجلها یعنی ان
الصاخة صفة للناس حقیقة والنفخة سبب لها فوصفت النفخة بها مجازا
مرسلا قوله او للتحذر وقیل لئلا یروا عذابه او لعصیانهم قوله وباخیر الاجنب

فلا احب منه الشيء ان يكون الاب احب من الام والصاحبة احب منهما وانه محل تامل وقد يقال ان الام احب من الاب ووجه تاخيره عنها رعاية رؤس الاى اعنى اخيه وابنيه وظاهر قوله بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه يدل على ان الابوين معا احب مما سبق وان الصاحبة والابن معا احب منهما وان النسبة بين الابوين للبيت معتبرة وكذا بين الصاحبة والابن ولان عدة النظم هذا وعلم ان قوله يوم يفر المراد الاية وصف احوال المومنين والكافرين وقوله انه قيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح فعلى هذا المراد يعم المومن والكافر ويندرج فيه الانبياء والاولياء مع انه نزل في حقهم الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم انه اذا كان حال المرء كذلك فحال المراة الصالحة كذلك بطريق الاولى لعجزها وضعفها وقصورها وقد يحمل المرء على معنى الشخص فيعم المراة ايضا قوله لكل امرئ منهم يمكن ان يكون استينافا بعلل للفرار وفيه وجه آخر قد سبق ذكره قوله وجوه يومئذ هذا نحو قوله قلوب يومئذ واجفة الاية وقد يعدم الكلام فيه فتذكر ولا خفاء في انه وصف حال المومنين قوله مضيئة من قيام الليل او من آثار الوضوء او من طول ما اغبرت في سبيل الله قوله ضاحكة مستبشرة اي اصحاب هذه الوجوه فالضمير للغبرة كما قيل او للوجوه ولا نرى اولى وهم المومنون فهم ضاحكون مسرورون قوله ترهقها تعلو الغبرة او الوجوه فالضمير للغبرة كما قيل او للوجوه ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وقيل الغبرة للفجور والسواد للكفر قوله اولئك هم الكفرة الفجرة يحتمل ان يكون لقصر المسند اليه على المسند وان يكون بالعكس وقيل في تفسيره اولئك اهل هذه

الحال

الحال هم الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد ثم ان الكفرة ان كانت ماخوذة من الكفر لا يندرج فيها مومن اصلا وان كانت ماخوذة من الكفران يندرج فيه بعض المومنين وهم الفساق وارباب المعاصي تمت والحمد لله والصلوة على رسوله محمد وآله سورة التكوير بسم الله الرحمن الرحيم قوله بمعنى رفعت يعني ان كورت ان كان ماخوذا من كورت العمامة اذا لففتها كان بمعنى لفت وفيه وجهان الاول ان التكوير مجاز عن الرفع والثاني انه مجاز عن ازالة ضوئها وذهاب انبساطه وزوال اثره ومنه طوان قوله او لف ضوءها عطف على قوله رفعت وعلى كلا التقديرين فهو مجاز عن المجاز قوله او القيت عطف على قوله لفت يعني ان كورت اما ماخوذ من كورت العمامة اذا لففتها وقد مر تفصيله او ماخوذ من طعنه فكوره اي القاه مجتمعا ومعناه القيت من فلكها وعلى هذا التقدير ايضا مجاز لكنه ليس مجازا عن المجاز فافهم قوله والتركيب للادارة الراغب كون الشيء ادارته وضم بعضه الى بعض ككور العمامة وطعنه فكوره اذا القاه مجتمعا قوله اولى من ارتفاعه على الابتداء لان الشرطية تطلب الفعل على ما هو المختار لمناسبة الفعل للشرط وجوز الاسم ايضا على الوجه الغير المختار لعدم تاصلها في الشرط مثل ان ولو ولهذا قال اولى قوله انقضت خربان فضاء فانكدر فبله تقضي البازي والى جناحه من الطود تمر الصر البيت الخربان جمع خرب بفتح الفاء والعين وهو ذكر الحبارى اي البصر البازي ذكور حباريات صحراء فالقض اي سقط من السماء الراغب الكدر ضد الصفاء يقال عيش اكدر والكدرة في اللون خاصة والكدورة في الماء والعيش والانكدار تغير من انتثار الشيء قوله عن وجه الارض بمعنى سيرت البعد قوله او في الجو اي سيرت في الجو تسير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب كذا في الاصل قوله التي حملن عشرة اشهر كذا في المغرب حيث قال العشراء الناقة التي

اتت عليها من يوم ارسل فيها الفحل عشرة اشهر ثم لا تزال كذلك اسمها حتى
تضع الضم وتعني عطلت اهملت عطلها اهلها عن الحبس والحلب
لاشتغالهم بانفسهم وكانوا يحبسونها هذا وفي الكشاف العشراء هي
التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي
انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مسيّبة مهملة
يعني عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت
هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون ما في بطونها ومنه علم وجه اختصاص
العشار بالذكر الراغب العطل فقدان الزينة والشغل يقال عطلت المراة
فهي عطل وعاطل وعطلته من الحلي ومن العمل فتعطل قوله او السحاب هذا
بطريق اطلاق العشار عليها على الاستعارة بان شبه السحاب بالنوق
المذكورة قوله وقرئ بالتخفيف هذه القراءة مروية عن البزي منتقى واللواح
هي لغة في عطّلت واعطلته كذا قيل ثم ردت ترابا الا ما فيه سرور لبني ادم
كالطاوس ونحوه قوله اذا اجحفت بالجيم والحاء المهملة الاساس اجحف
بهم الدهر استاصلهم واجحفهم فلان كلفهم ما لا يطاق وسنة مجحفة
قوله او ملئت بتفجير بعضها في بعض البحر او ملئت وتفجر بعضها ومآلهما
واحد قوله بالتخفيف السحر مبالغة السجر واعلم ان الكلام على القرائتين يحتمل
وجوها ثلثة الاول ان يبدل البحار بالنار وتكون بدل الماء النار والثاني
ان تكون البحار باقية على حالها لكن احميت وجعلت حارة والثالث
ان تجعل البحار بحرا واحدا هذا حاصل الاقوال المذكورة فيه والعلم عند الله
قوله او كل منها بشكلها اي بما يشاكلها الصالح مع الصالح في النار كذا
قيل ويمكن ان يعلم ان النفس قد يجيء بمعنى ~~عين الشيء وذات~~ الروح والقلب
وقد يجيء بمعنى عين الشيء وذاته وقد يطلق على حقيقة الشيء وجملته وبعض الوجوه
مبني على الاول وبعضها على الثاني وقد يقال ظ النظم يقتضي ان يكون السر وح

من النفوس بعضها ببعض لا ان يكون منها وغيرها ولا شك ان ما هذا الط
انما هو فقط في الوجه الثاني على ما سبق توضيحه لا في الوجوه الاول ومعنى
زوجت جعلت ازواجا وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلثة
اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او تلك بعضها مع بعض
ازواج قوله الموؤدة من واد بنته دفنها حية واد من باب ضرب
قوله او لخوف العار بهم من اجل من يتزوج او خوف الاسترقاق
قوله سئلت سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت او لتدل على
قاتلها او هو توبيخ لقاتلها او هو تعريض الخطاب عنه كقوله أانت
قلت للناس الاية كذا قيل قوله تبكيتا التبكيت كالتقريع والتهذيب
والتعنيف وبكته بالحجة اي غلبه قوله وقرئ سالت اي سألت الله او قاتلها
قوله وقيلتا على الاخبار عنها قيل اي المجموع قوله واذا الموؤدة سئلت
باي ذنب قتلت لا مجرد قوله باي ذنب قتلت لانه الشاهد ولو حكي
ما خوطبت به لقيل قتلت وقرئ بها ولو حكي كلامها لقيل قتلت
وقرئ بها مع فتح السين في سالت ومنه يستفاد تفصيل ما اجمله المص
في هذا المقام قوله على الحكاية اي لكلامها حين سالت وهذه القراءة
على تقدير قراءة سالت بفتح السين كما قال الفاضل ادوية دليل على
ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون الا
بذنب اما الاول فلان تبكيت قاتلها بيان نفي تعذيبها لان استحقاق
التبكيت لبراءتها من الذنب واما الثاني فلدلالة قوله باي ذنب
قتلت على ان القتل انما يصار اليه بذنب وانه لا يستحق ارتكابه
دونه ومعلوم ان في معناه كل تعذيب ورد ذلك بانه مبني على قاعدة
الحسن والقبح العقليين وقد مر ما فيهما في موضعه وقيل الجواب
الكلام يدل على ان تعذيب اولادهم احدا في الدنيا انما يستحق بذنبه علا

الوجه الذي شرع تحسن لم يكن للموؤدة ذنب يجوز ان يحاجم قاتلها فاما
تعذيب الله ايه فليس كذلك فيجوز ان يعذبهم تبعا وقد يقال قد ثبت
خلافه في الحديث لما صح من انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري
المشركين قال الله اعلم بما كانوا عاملين لتغيره ما روى ابو داود عن
عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ذراري المشركين
قال من ابائهم قلت بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا عاملين وفي مسند
الامام احمد عن علي رضي الله عنه قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن
ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار
قال فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت
رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار والوجه
من هذا التطويل دفع الاغترار بما وقع في الكشاف وقد تبعه بعض المفسرين
من علماء اهل السنة والحق حقيق بان يتبع قوله وقيل نشرت فرقت
بين اصحابها سياق كلام المص يدل على ان الصحف في كلا الوجهين هي
صحف الاعمال لكن كلام صاحب الكشاف صريح في انها في الوجه
الثاني غيرها حيث قال ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت
بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت من تحت العرش
فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم
وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال قوله
للمبالغة في النشر فعلى هذا صيغة التفعيل للمبالغة والتكثير في اصل
الفعل وعلى الثاني للتكثير في المفعول وهذان الوجهان جاريان في
الوجهين السابقين قوله او شدة التطاير هذا مختص بالوجه الثاني قوله تدبر
واعقاب والكاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور
القاعد

والاعقاب

والاعقاب كالمعاقبة يقال عاقب الرجل الدار كتب ابي مره ركب
هو مره قوله بالتشديد للمبالغة وقيل سعرتها عقب الله وخطايا بني ادم
وان يعلم ان يفسر سعرت بالتخفيف لقوله او قدت انقاد اشد بدا يدل
على ان المبالغة معتبرة في معنى المزيد فلعل الغرض من التشديد تاكيد
تلك المبالغة بدر قوله قربت من المؤمنين او دنيت من المتقين كقوله
وازلفت الجنة للمتقين ولو حمل على الاتقاء من الكفر لكان مال الوجهين
واحدا قوله جواب اذا هو عامل النصب اذا الشمس كورت وما عطفت
عليه هذا يدل على انه جواب جميع الظروف المذكورة وعامل فيها قال
الزجاج التقدير اذا كانت هذه الاشياء علمت كل نفس ما احضرت
من خير او شر ولا خفاء في ان جعل مفعول علمت موصولا وحذف
مفعول احضرت لافادة التعميم والتاكيد قوله ست منها اي من اول السورة
الى قوله سجرت والست الباقية بعد فناء الدنيا انت خبير بانه لا يظهر
او افسر حشرت لقوله بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او ميتت
لانه القصاص بعد فناء الدنيا والقصاص انما يتم اذا كان كشط السماء وقبلها بعد تكوير
الشمس وبعد انكدار النجوم حتى يكون التكوير والانكدار قبل فناء
الدنيا والكشط بعده لان المراد زمان متسع شامل لما قبل واذا كان
النصب علمت فالوجه اتحاد الزمان بجعل الابتداء من النفخة الاول وهي
زمان التكوير وما تلاه ممتدا الى تمام موقعهم والله اعلم قوله نفس في معنى
العموم والمعنى علمت نفس كانت اي كل كما في قولهم تمرة خير من
جرادة فالتنكير للتعميم والتكثير وقال في الكشاف هو من عكس كلامهم
الذي يقصد به الافراط فيما يعكس عنه وذلك لان العكس لا بد
ذلك الا وقد جعله مقوء فاعنه مسلما لا يحوم حوله ريب فيعلل
كثر ما عنده اظهار البراءة من التزيد وانه عار لعصم حقه رعاية للصدق

حتى يلزم مع دعوى الكثرة الصدق في ذلك مع ما في خصوص كل موقع
من فائدة خاصة ومن الفوائد فيما نحن فيه للويل اليوم بتقليل الانفس
العاملة وان كن جمعا واظهار انه كلام من غاية العظمة والكبرياء وان من
يعتبره هذه الاجرام العظام وتبدلها صفات وذوات يستقل
الانفس الا الله في جنب تلك القدرة انا استقلال فعل هذا
السكر للتحسر والتعلل وقال الامام لعل الكفار كانوا يعتقدون انفسهم في
الدنيا فيما يعتقدونه طاعات ثم بدا لهم يوم القيمة خلاف ذلك فالتنكير
للتنويع اي علمت نفس كافرة ان ما حسبته طاعة كان وبالا عليها ويؤيده
قوله واذا الموؤدة سئلت واما تعلم ان التعميم هو الاولى والمناسب
للايات الاخر كقوله تع يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وكقوله
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والايات
في هذا الباب كثيرة قوله تع فلا اقسم لا زائدة نحو لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بهذا البلد والسر في زيادتها التنبيه على جاه العظمة بحيث يستغني عن القسم
فيبرز لذلك في صورة نفي القسم قوله الرواجع بينا ترى النجم في اخر البرج
اذ كر راجعا الى اوله ولذلك وصفها وقيل هي جميع الكواكب تخنس
بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع اماكنها كالوحش
في كنسها ومنه علم ان وصف الخنس بالجوار الكنس صحيح على هذا التقدير
ايضا وقوله ولذلك وصفها ليس ما ينبغي ويمكن ان يراد بالخنس ما سوى
النير الاعظم من السيارات قوله اي السيارات معنى الجوار وقوله التي
تختفي تحت ضوء الشمس معنى الكنس ولو قال الجوار السيارة الكنس
الغيب لكان اظهر قوله يقال عسعس وسعسع الليل اذا ادبر هذا يدل على
ان عسعس باحد معنييه مرادف لسعسع وقيل هو مقلوب من سعسع
وهذا التركيب اعني سعسع يدل على ذهاب الشيء وهذا قول فارس

وبسعاد

40

وبسعاده ان سعسع ليس من الاضداد بل عسعس ايضا كذلك قوله
اول ظلامه او ادبر ويدل على ان الاختيار بها ادبر قوله والصبح اذا تنفس
اي امتد ضوؤه حتى يصير نهارا وقيل ولمن يقول بالاول ان يقول
ان التقابل لا يحصل الا اذا قيل اقبل قوله اذا اضاء غرته عند اقبال
روح ونسيم هذا اشارة الى انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم
فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح يحتمل ان يكون هذا المجاز
استعارة لانه لما كان التنفس ريحا شبه ذلك النسيم بالنفس واطلق طالبا
للراحة والاستطابة عليه الاسم استعارة وجعل الصبح متنفسا والتجوز
في الاسناد فانه لما شبه الصبح بذي نفس جعل النفس الذي هو صفة ذلك
الشخص وصفا للصبح وقيل تنفس الصبح وعن الامام ويجوز ان يشبه النهار
الذي غشيه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي يحبس واذا تنفس
يجد راحة فالصبح لما يخلص من الظلام كانه يخلص من كربة وهو استعارة
لطيفة دقيقة لكن الاول اظهر قوله ان القرآن المراد به تمام القرآن او المذكور
منه سابقا وهو جواب القسم قوله فانه قاله عن الله تع يعني ان القرآن
انما هو قول الله لكنه اضيف الى جبريل لانه هو الذي نزل به ثم ان الكريم
اما من الكرم او من الكرامة قوله عند الله لما كان الغرض وصف جبريل
بعظم المكانة والجاه ذكر عند ذي العرش ليعلم عظمته ثم ان عند ذي
العرش يجوز ان يكون صفة اخرى لرسول وان يكون ظرفا لكريم
او لذي قوة بمعنى ذي استطاعة وان يكون ظرفا لمكين وكلام المص يشعر
بذلك قوله ثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وكذا يحتمل ان يكون اشارة
الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش اي عند الله يطيعه ملائكة
المقربون يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه ويحتمل ان يكون
اشارة الى السموات اي في السموات يطيعه من فيها والاول اظهر

قوله وروي ثم بالضم على انه حرف عطف تعظيما للامانة مشيرا للتفاوت الرتبة
منزلة تفاوت الازمنة لان ثم للتراخي الرتبة ههنا قوله وما صاحبكم بمجنون
معطوف على جواب القسم وكذلك وما هو على الغيب وما هو بقول شيطان
داخلان في الجواب وقوله فاين تذهبون اعتراض قوله كما تبهته يقال بهته
بهتا وبهتانا اي قال عليه ما لم يفعله قوله وهو مصنف اذ المقصود منه اي من قوله
انه لقول رسول كريم الى قوله وما صاحبكم بمجنون يعني ان الغرض المسوق له
هذه الاقسام ان يثبت ان القرآن وحي ليطمئن النفس السامعين اليه ويرغبوا
فيه اشد رغبة وكونه وحيا انما يأتي به ملك الوحي فوقع الاحتياج الى وصفه
بما يصفه بشد العضد للقبول ولو يد كون الغرض المسوق له هذا الكلام ذلك
كلمة الفاء في قوله فلا اقسم وقد تقرر ان من شان البليغ ان يجرد الكلام لما سيق له
لئلا يعد الزيادة فضولا ولا خفاء في ان الاوصاف الاتية بالقول كافية في نفي قولهم
انما يعلمه بشر واما وصف من انزل عليه فلا مدخل له في البين الا اذا كان الغرض
الحث على اتباعه واما ذكره بقوله وما صاحبكم بمجنون فعلى سبيل الاستطراد نفيا
لما اتهموه والمص لما رأى وقع الخطاب في قوله وما صاحبكم بمجنون للمؤمنين لم يحتج
الى المبالغة فيه واما مع الفرق بين الذكرين فلم يدل على فضيلة احدهما على الاخر
والدليل على ان ذكر رسول استطراد ارتباط قوله وما هو بقول شيطان رجيم بقوله
انه لقول رسول كريم دون وقوع قوله وما صاحبكم بمجنون في البين والحاصل انه ان
بني الاستدلال المذكور على ان المقصود ههنا تعداد فضل جبرئيل ومحمد عليهما
والموازنة بينهما فيرد عليه ان الحال ليست كذلك وان ذلك ظ وان بني على
ان الذكرين وان جاءا لغرض اخر لكنه روعي في احد الذكرين مبالغة
دلت على تعظيم من ذكر كما في قوله عند ذي العرش في شانه وفي شان
النبي صلى الله عليه وسلم وما صاحبكم فنبه على ان ذلك التفاوت من الذكرين
ليعلق الغرض المعتد به بذكر احدهما في هذا المقام دون الاخر فلا يدل على

فضل احدهما على الاخر منه علم ضعف ما قيل لم يبن المستدل كلامه على
الموازنة بين الذكرين والا لكان كفاني التفضيل ولكان المخالف مكابرا
ولكنه يقول ان الذكرين جاءا لغرض اخر لكنه في احد الذكرين مبالغة
دلت على تعظيم من ذكر كما في قوله عند ذي العرش في شانه وفي شان النبي
قوله وما صاحبكم وما ذكره الاصحاب رحمهم الله في جوابه بناء على الموازنة فلا يسمع
وذلك لان كلام المص على ما فصلناه ليس مبنيا على الموازنة بل مآله الترديد
كما علم هذا او قد يجاب عن الاستدلال المذكور بوجه اخر وهو انه قد قيل الرسول
الكريم محمد صلوات الله عليه ولو كان جبرئيل وقيل بتفضيل الملائكة مثلا لجاز
الص لانهم اجمعوا على انه لا يجوز تفضيل احدهم بعض بعض من يفضل عليه بعينه و
في معناه لا تفضلوني على يونس بن متى وبعده الصفات اذا سلمت في جبرئيل
فقد جاءت في حق نبينا في اخر الحاقة انه لقول رسول كريم وان قيل انه
جبرئيل رد بقوله وما هو بقول شاعر والمستدل وافق هناك وقوله ذي
قوة لا نزاع في ان جبرئيل اقوى وقوله مطاع الملائكة لنبينا طاهرة فقال له
ملك الجبال ان الله امرني ان اطيعك فان امرتني ان اطبق عليهم الاخشبين
فعلت وله الشفاعة العامة والخاصة واما انه امين فقوله صلوات الله عليه وسلم
اني امين في السماء امين في الارض وعن الامام ما معناه كان الله سبحانه وتعالى اجرى
على جبرئيل هذه الصفات ههنا اجرى على نبينا صلوات الله عليه وسلم
في قوله تع يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا فاما افراد احد الشخصين بالذكر واجراء صفاته عليه
لا يدل على انتفاء تلك الصفات عن الاخر ثم قيل انك ان امعنت على
النظر وقفت على ان في اجراء تلك الصفات على جبرئيل في هذا المقام ادماج
لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانه بلغ من المكانة وعلو المنزلة
ان جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الامين فالقول

في هذه الصفات بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه رفعة منزلته كالقول
في قوله ذي العرش بالنسبة الى رفعة منزلة جبرئيل عليه م كما سبق والله
اعلم قوله ولقد رآه رسول الله صلى م جبرئيل على صورته التي خلق عليها
دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية
وذلك ان رسول الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها
فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه
احد من الانبياء في صورته الحقيقية سوى محمد عليه السلام مرتين مرة في
السماء ومرة في الارض قوله تع بالافق المبين اي المظهر للاشياء او الظاهر
في ذاته او الفارق بين الليل والنهار وهو حال من الضمير المنصوب في
قوله ولقد رآه قوله بمطلع الشمس الاعلى يعني ان المراد بالافق افق الشمس
وهو مطلعها وانما وصفه بالمبين لكونه اعلى بهذا الاشارة الى قوله تع وهو
بالافق الاعلى وهو مطلع الشمس قوله وما محمد اشارة الى ان الضمير لمحمد عليه السلام
لا لجبرئيل لان السياق يدل عليه ومع ذلك لو كان الضمير لجبرئيل للزم اللغو
في الكلام لان قوله ثم امين يدل على انه ليس على الغيب بظنين قوله بمتهم من
الظنة وهي التهمة لا خفاء في ان الكفار كانوا يقولون بانه مجنون والقوي
انه كاهن واقوى انه ساحر او شاعر فعلى ذلك الحكم مبني على انه جعل
نفيهم تهمتهم كلا تهمة لهوانها على ما يزيلها او على ان المعنى انه ليس محلا
لوقوع التهمة فيه لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي
لاحد ان يتهم فيه فكانه قيل هو حال لا ينبغي ان يتهم فيه وهذا الحكم صحيح لكن
ينكره من الاشقياء فينبغي ان يؤكد لكن ترك تاكيده لانهم جعلوا غير
المنكر لما معهم من الدلائل المزيلة لهذا الانكار ونظيره قوله تع لا ريب
فيه وذكرنا ما وبقي مثل الى وبقي الذي ذكرنا فيما تقدم ثم اعلم ان
الظنين فعيل بمعنى مفعول والضنين بمعنى فاعل قوله والضاد من اصل حافة

اللسان

اللسان الحافة الجانب وينبغي ان يعلم ان ليس المراد باصل حافة اللسان
وما يليها ما هو اقصى اللسان وما يليه لانه مخرج القاف والكاف قوله بقول بعض
المسترقة للسمع المسترقة للسمع طائفة من الجن يعرجون قريبا من السماء ويسمعون
ما يقول الملائكة من الامور التي تحدث في الارض واذا سمعوها اخبروا بها
اولياءهم من الكهنة وانما فسر الشيطان بالمسترقة للسمع بقرينة قوله رجيم اي
مطرود ومردود قوله وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر يعلم منه ان كلا من الكهانة
والسحر بتخلية الشيطان اي المسترقة للسمع قوله في امر الرسول والقرآن
او النعت او امر الدين والوجه الثاني هو المناسب لسياق الكلام قوله
تع ان هو اي القرآن الا ذكر للعالمين الظاهر انه استئناف لا انه جواب
القسم كما ظن والا لوجب العطف كما في قوله وما صاحبكم بمجنون وما هو بقول
شيطان رجيم قوله بدل لمن يعلم هذا يدل على انه خص العالمين بمن يعلم مع ان العالم
بالفتح اعم من العالم بالكسر ووجهه ان التذكير لا يكون الا لذي العلم لا غير
وقال الزجاج معناه فاي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي بينت
لكم وقال الجنيد قدس سره فاين تذهبون عنا وان من شيء الا عندنا ولكن
ان الاظهر من سياق الكلام ما اختاره المص فهو من قبيل ذكر العام وارادة
الخاص وهذا اولى مما قيل في تفسيره بالقرآن الا عظة للخلق قوله وابداله
من العالمين بدل البعض من الكل لانهم اي الذين شاءوا الاستقامة المنتفعون
بالتذكير فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا قوله الاستقامة يدل
عليه سياق الآية فحذف المفعول للاختصار ودفع توهم الاستدراك
ويجوز ان يكون حذفه هنا للتعميم ولذهب الذهن اي كل مذهب قوله
فامن يشاء ويهتدي يعني ان الخطاب في تشاءون ليس للمخاطبين في قوله
فاين تذهبون لان الظاهر انه خطاب للكفار لكونه استفصالا لانهم وفصل
المقام ان الخطاب في وما صاحبكم للمؤمنين كما مر في قوله فاين تذهبون

للكفار فالرأفة اتى وقوله لمن شاء منكم يدل على ان ههنا من يشاء الاستقامة
ومن لا يشاء فيها فالكون كلمة من منكم للتبعيض كما هو الظاهر فالخطاب حينئذ اما للمؤمنين
او لامة الدعوة او للكفار رعم الخطاب المتفرع في وما تشاءون الا لمن يشاء واما لمن
لا يشاء فعلى الاول المراد من مشية الله لطف التوفيق واللطف وعلى الثاني
القسر والالجاء وكلا الوجهين مذكور في الكشاف واكثرهم اقتصر على الاول
هذا ويمكن ان يكون الخطاب في المواضع الاربعة لجماعة واحدة مؤمنين
او كفارا او امة الدعوة فافهم قوله الا ان يشاء الله مشيتكم جعل مفعول ان
يشاء المشية المستفادة من قوله وما تشاءون ويمكن ان يكون في كلا
الفعلين امرا واحدا وهو الاستقامة اي ما تشاءون الاستقامة الا ان يشاء الله
استقامتكم هذا وعن الامام ان مشية الاستقامة موقوفة على مشية الله لان
لان مشية العبد محدثة فلا بد لحدوثها من مشية اخرى فافعال العباد
في طرفي ثبوتها واسقاطها موقوفة على مشية الله وقول المعتزلة ان هذه
المشية القسر والالجاء ضعيف لانا بينا ان المشية الاختيارية حادثة ولا بد من
محدث يحدثها وانت تعلم انه يدل على ما ذكره المص من جعل مفعول ان يشاء الله
هي المشية ويمكن ان يكون هذا منه اشارة الى ما ذكره الامام ولذا ترك بيان
ما في الكشاف قوله والحق اما عطف على الفضل او مبتدأ او خبره عليكم باستقامتكم
قوله مالك الخلق كله جعل العالمين ههنا على ما هو المتعارف لعدم النكتة
المذكورة فيما سبق تمت السورة بعون الله وتوفيقه سورة الانفطار
بسم الله الرحمن الرحيم قوله فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح
وزال البرزخ الذي بينهما وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت
على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله لا
يبغيان لان البغي والفجور اخوان كذا في الكشاف ونظيره اي
في التركيب ويحتمل ان يكون المراد ان نظيره في التركيب على راي

وعدم

45

وعدم التركيب على ما هو الظاهر ولهذا عدل المص عما في الكشاف علمت
نفس اي كل نفس برة وفاجرة قد تقدم الكلام فيه مفصلا فلا نغفل
قوله من عمل صالح بقرينة قوله من سيئة ولا خفاء في ان ما قدمت اذا حمل
على العمل الصالح يحمل ما اخرت على السيئة واذا حملت على ما قدمت على الصدقة
يحمل ما اخرت على التركة قوله ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع يرادف بالتقديم
علامة بقرينة المقابلة قوله يا ايها الانسان عن الامام في الانسان قولان احدهما
انه الكافر لقوله كلا بل تكذبون بالدين والثاني انه متناول لجميع العصاة
وهو الاقرب لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وايده لوقوعه
بين المجمل ومفصله اعني قوله علمت نفس ان الابرار وان الفجار واما قوله
بل تكذبون بالدين فاما ان يكون سببا لاغترارهم كما ذكر في شان المطففين
الا يظن اولئك انهم مبعوثون من ايهام انهم اتخذوا لامر الكفار
تغليبا واما لصحة خطاب الكل بما وجد فيما بينهم قوله وجراك اي جعلك جسورا
اي صاحب الجراءة قوله وذكر الكريم هذا اشارة الى دفع ما يتوهم من ان قوله
ما غرك انكار للغرور ومنع عنه فلا يظهر ترتبه على وصف الكرم لانه يناسبه
فكيف انكره ويدل على المناسبة ما روي عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له
كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك
وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء
ادب غلمانه وذكر في دفعه وجوها الاول المبالغة في المنع عن الاغترار فان
الكريم لا ينبغي الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام فيعني لا ينبغي
الاغترار بمن هو موصوف بالكرم والاجتناب عن الاغترار بمن هو موصوف
بالقهر والانتقام بالطريق الاولى الثاني انه خبر بانه ليس في الكلام ذكر صفة القهر
والانتقام ولا ما يدل عليهما والاولى ان يقال في بيان كون ذكر الكريم
للمبالغة في المنع عن الاغترار ان محض الكرم لما لم يقتض اهمال الظالم

وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي كان ملايا لعدم الاغترار موكدا
المنع عنه ولعينه الثاني الاشعار بانه لاينبغي ان يغتر بالكريم لانه من الشطال
والمناسبة المذكوره لاتنافيه الثالث الدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي
الجد في الطاعة لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه فعدم الاغترار به انسب
من عدم الاغترار به ولايخفى عليك ان كلا من الوجهين يمكن ان يذكر في بيان
كون ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار لكن سياق كلام المص يدل على
ما قررناه الغاتم ان كثرة كرمه مستفادة من صيغة فعيل او من الصفة
المبنية للكرم يعني قوله الذي خلقك الاية وينبغي ان يعلم ان المراد بالكرم
في الاية كرمه الاول حيث خلق الانسان فسواه فعدله فالمعنى ما غرك بربك
الذي يكرم عليك بالخلق والتسوية والتعديل حتى عصيته وكفرت تلك النعمة
اي كان من حقك ان تشكرها ولاتكفرها فذكر الكرم تذكير النعمة التي
هي داعية الى ترك الغرور لانه لايجوز ان لايعاقب المسئ التارك
لشكر النعمة كذا قيل ويجوز ان يراد به كرمه مطلقا تنبيها على ان الكرم
في حد ذاته مما لايناسب الاعراض عن موصوفه بل يستدعي الاقبال عليه
والانقياد بحكمه وبعض الوجوه التي ذكرها المص مناسب له فافهم قوله منبهة على ان
ان من قدر على ذلك قدر عليه ثانيا بناء ان الثاني ليس اشق من الاول
بل هو اهون قوله معتدلة متناسبة الاعضاء من غير تفاوت فيها فلم يجعل
احدى اليدين ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها
اسود ولا بعض الشعر ناجحا وبعضه اشقرا وجعلك معتدل الخلق تمشي قائما
لا كالبهائم قوله اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت اي تناسبت
فعلى هذا يؤول معنى المخفف الى معنى المشدد قوله او فصرفك عن خلقه
غير ذلك تعالى عدله عن الطريق ولم يذكر واحد المعنى في عدل ~~بالتخفيف~~
بالتشديد لعل ذلك لانه لم يرد بهذا المعنى تعالى عدل الشيء تعديلا

بلا سواه

بلا سهو او قوله اي ركبك في اي صورة شاءها فالجار متعلق بركبك وصلته له
بان ضمن ركب معنى وضع وركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه
او بمحذوف وهو حال من المنصوب فيه اي ركبك حاصلا في بعض الصور
وشاء في موضع الجر صفة لصورة وعلى كلا التقديرين المعنى فعدلك وركبك
في اي صورة شاءها فحذف الواو ليكون الجملة الثانية بيانا للاول ولايخفى ان
المتبادر من كلام المص هو الوجه الاول لكن ذكرنا الثاني ايضا لكونه مشهورا بين
ما بينهم ولكل وجهة هو موليها فتدبر قوله وما مزيدة قيل للتوكيد قوله وقيل
شرطيه وشاء في موضع الجزم وركبك جواب الشرط ولايكون الجار على هذا
صلة ركبك لانه تعالى ان تضرب زيدا اضرب عمروا ولا يجوز زيد ان عمروا
على ان ولايكون صلة عدلك لانه استفهام والاستفهام لايعمل فيه ما قبله فوجب
ان يكون في اي صورة صلة مضمر فعلى هذا في كلام المص اشكال لانه جعل صلة
عدلك في هذا الوجه ولاخفاء في ضعف ما قيل في الجواب عنه التقدير فعدلك
فيما تعالى في حقه اي صورة ما شاء ركبك وقد تعالى الكلام محمول على الاضمار اي
فعدلك في اي صورة عدلك ومعنى انه متعلق بعدلك انه متعلق بالتعديل
وانت تعلم ان قوله في اي صورة على هذا التقدير من تتمة فعدلك وقوله ما شاء
ركبك بيان للجملة الاولى وهي عدلك ولذا ترك العطف وظهر مما ذكرناه التفصيل
قوله واعالم تعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك وقيل تعالى ان يقول
ليس في عدلك خفاء يزول بقوله في اي صورة ما شاء ركبك فكيف يكون بيانا له
فالوجه ان يجعل بدلا منه بهذا واعلم انه قال في الكشاف بعد ذكر الوجه الاول
ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة
ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا
قد سمعت الكلام في التعلق بعدلك واشار بقوله ويكون في اي معنى
التعجب في اي معنى التعجب الخ الى نحو مررت برجال اي رجل وكانه قيل

فعدلك في صورة اي صورة ثم حذف الموصوف زيادة للتفخيم والتعجب
والتنكير للتعظيم معلق بعدل الفعل لعدلك بتعيين الصفة بخلاف ما اذا كان متعلق
بركبك او بمحذوف وما مزيدة تكون كلمة اي موصوفة صفة شيء ولا يستقيم ان
تحمل على التعجب وعلى ذلك التقدير ما شاء ركبك بيان ما له لا فعل فعدلك في
صورة على التعجب والتفخيم مثل ما ذكر التقدير المخفي العجيب الشان واجيب
لا تحيط الوصف بذلك ما له تركيب ما شاء ركبك فلا تعلم ذلك الا هو ثم اشار بقوله
اي ركبك ما شاء من التركيب الى ان ما شاء اما موصولة او موصوفة وهي عبارة
عن التراكيب فيكون مفعولا مطلقا واما ما ركبت حسنا انواع التعجب
محله قوله اي صورة واستبان منه وجهان آخران غير ما ذكره المص على تقدير ان تعلق
قوله في اي صورة بعدلك فالقول بان صاحب الكشاف حمل كلمة ما في ما شاء على هذا
التقدير على الشرطية لا على الموصولة او الموصوفة تكلف بل تعسف تام لا يخفى على العالم
باساليب الكلام هذا التحقيق المرام في هذا المقام قوله عن الاغترار بكرم
الله بما هو الملائم لسياق الكلام وقيل ردع عن الغفلة عن الله قوله اضراب
الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم انما حسن هذا الوجه اذا كان
مما سبق ذكر سبب ما تحقيقي او ظاهري لاغترارهم وظاهر انه ليس كذلك
ولو قال اضراب عن انكار سبب اغترارهم الى بيان سببه لكان اولى وعن
الراغب بل ههنا لتصحيح الثاني وابطال الاول كانه قيل ليس ههنا ما
يقتضي غرورهم به ولكن تكذيبهم هو الذي حملهم على ما ارتكبوه ويجوز ان يكون
كلمة بل للترقي من الاغترار بكرم الله والاقدام على المعاصي الى التكذيب
بيوم الدين معه ترق من الاهون الى الاغلظ ولا يختلجن في وهمك ان وقوع
بل بعد كلا مانع عنه لان نسبة كلا الى الترقي كنسبتها الى الاضراب كما لا يخفى
على العاقل وينبغي ان تعلم ان الخطاب للانسان وقع مرادا منه الجنس بالافراد
حيث قال ما غرك بربك الآية ووقع ههنا بالجمع حيث قال تكذبون وان

علكم

عليكم وما تفعلون ولعل ذلك بناء على ان التهويل اشد منه هناك والجمع انسب
بالاشد من المفرد لان الجمع ادخل في التهويل من المفرد لان ذلك بالنسبة الى التفصيل
بالنظر الى الاجمال والله اعلم قوله وان عليكم لحافظين اعمالكم واقعا كلكم وكلكم
هذه الجملة وقعت حالا من فاعل تكذبون ثم ان لكل انسان ملكين احدهما على
يمينه يكتب الخير والآخر على يساره يكتب الشر قوله يعلمون ما تفعلون حال
من فاعل حافظين او صفة اخرى لحافظين وقيل يعلمون بمعنى على ان
الخطاء والسهو وامثالهما لا يكتب وكذا ما استغفر منه ثم لعل يكتبون على
يحقق ما تكذبون من الجزاء والاسلام والتعميم اولى من التخصيص بالجزاء كما
وقع من بعضهم لتعظيم الجزاء يعني انه من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل
بضبط ما يحاسب عليه ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار
وتهويل وتشديد للعصاة ولطف للمؤمنين قوله ان الابرار الذين
صدقوا وبروا في ايمانهم باداء الفرائض واجتناب المحارم والمعاصي
وفي المذنب بروا اباءهم كما بروا ابناءهم وقيل هم المؤمنون مطلقا فعلى
الاول يندرج عصاة المؤمنين في الفجار كما ان الكفار كذلك في النعيم الجنة
والجحيم النار وقيل الثواب والعقاب وقيل القناعة والطمع وقيل التوكل و
الحرص وقيل الرضاء بالقضاء والسخط به وقيل الطاعة والمعصية يقاسون
حرها وقيل يدخلونها للخلود وما هم فيها هذا مبني على ان المراد بالفجار هم الكفار
والا فعصاة المؤمنين لا يخلدون في النار واعلم ان سياق الآية يدل
على ان الضمير المرفوع للفجار والضمير المجرور للجحيم وكلام المص ايضا مبني عليه
والقول بان الاول للكل والثاني للقيامة والمعنى ليس احد من الابرار
والفجار بغائب عن القيامة اي محشورون البتة تكلف بعيد قوله وقيل معناه
وما يغيبون عنها قبل ذلك فعلى هذا التقدير احوال الانسان باسرها
كانت مذكورة في هذه السورة حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال

وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين قبيل الواو
وعلى هذا العطف بمعنى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه اى
انهم الآن ليسوا بغائبين عن الجحيم كما قال تع النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وعلى الاول للحال
وقد يقال ان ايلاء الضمير حرف النفي يدل على ان الكلام في الفاعل لا في الفعل
والمسئلة متفق عليها فيفيد الاختصاص ولا محيد عنه ولا خفاء في انه
تم اذا كان الفجار هم الكفار لا غير لان عصاة المؤمنين يدخلون الجنة لكنهم
لا يخلدون فيها واما اذا كان عاما للكفار والعصاة فلان غير الفجار
لا يدخلون الجحيم اصلا وتؤيده ما قيل ان الحصر هاهنا غير مقبول عند من عمم
لعموم الفجار للكفار والفساق على ان كون المسئلة المذكورة متفق عليها عند ارباب
لان ذلك اذا كان الفعل خبرا على ما نقل عن الشيخ عبد القاهر وصاحب
المفتاح مائل بالحصر فيما اذا كان الخبر من المشتقات ايضا لكن شرائط
بينت في موضعها وتحقق تلك الشرائط هاهنا لم يظهر سنده بالمراجعة اليه
ويؤيده ان صاحب الكشاف قال في تفسير قوله تع وما هم بخارجين منها دلت
على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص قوله تعجيب وتفخيم لكل من
الاستفهامات الاربع والتكرار الواقع فيها دخل في كل منها كلمة ثم الثاني
دخل فيه وعن بعضهم ثم هاهنا للاستبعاد والاستفهام في ما للاستنكار وجعل
ذلك مستبعدا مستنكرا قوله اى كنه امره في الهول والشدة بحيث لا تدركه
دراية دار كيف ما تصور به فهو فوق ذلك وعلى اضعافه فيفيد
على تهويل اليوم ان الخطاب في ما ادراك اما للرسول صلى الله عليه وسلم
او لمطلق الانسان او لما ذكر في قوله يا ايها الانسان ما غرك قوله تع
يوم لا تملك اى لا تستطيع نفس لنفس شيئا نفعا ولا ضرا ولا خفاء في امر
الشفاعة على القول الثاني وعلى الاول انما تملك الشفاعة بالاذن كقوله

لا يتكلمون

لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن قوله تع والامر يومئذ لله اى لا امر الا لله وحده
فهو القاضي فيه دون غيره مثل الامر واحد الامور لا واحد الاوامر قوله
ومثل الظ عكسه لقوله لمن الملك اليوم فان الامر من شأن الملك المطاع
وفيه تحقيق قوله لا تملك نفس لنفس شيئا لدلالته على ان الكل مطيعون مشغولون
بحال انفسهم متقهقرون بعبوديتهم لسطوات الربوبية قوله او الجر لمحذوف او
الابتداء لمحذوف ولم يتعرض لبيان وجه النصب وذلك باضمار يدانون
لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن
وهو في محل الرفع تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة المطففين
بسم الله الرحمن الرحيم قوله مختلف فيها مدنية الا ان الذين اجرموا
الى آخرها او مكية الا اذا تتلى عليه آياتنا الخ او نزلت بين مكة والطائف او بين مكة
والمدينة قوله تع ويل مبتدا خبره للمطففين ثم الذين ينقصون المكيال الخ
الا الشيء الحقير الطفيف واخذ من طف الشيء وهو جانبه كذا قيل قوله لان ما يبخس
طفيف اى حقير اذ لا يمكن ان يسرق في كيل او وزن واحد الا شيء يسير
فهذا اظهار للاشتقاق وتعليل لتسمية البخس في الكيل والوزن
ومثل كان الشديد في فرد البعير قوله اذا اكتالوا من الناس اى اذا
اخذوا ما اكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة قوله واما ابدل
على بمن اى اورد على بدل من فقوله على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فيكون
حاصل الكلام اذا اكتالوا ما لهم على الناس قوله او كيتال يتحامل فيه عليهم
اى للدلالة على ان في الاكتيال تحاملا ويجوز ان يكون للدلالة على ان له
عنه ضررا عليهم هذا او عن الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع
لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك
واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك مثل هذا
ان لو كان الاكتيال مختصا بما هو واجب على الغير وليس كذلك لا يرتاب

ليعلم قدر الطعام ثم يشتري وفيه بحث لانه لا يلزم ان يكون واجب الجواز ان يكون مندوبا على ان كونه كذلك في بعض الصور كاف في النكتة المذكوره والظاهر ان الاكتيال في المادة التي ذكرها انما هو لاداء ما هو حق عليه لكن ما لا احاله فيه فتدبر وههنا وجه آخر الظاهر مشهور في كلامهم وهو انه يجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المعمول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها يخسرون بمعنى يعطون كقال حكيم المسران واخسره قوله بحذف الجار واوصل الفعل فعلى هذا التوجيه يكون هذا الكلام من قبيل الحذف والايصال ولعز ان يصح ان يكون منصوبا بنزع الخافض قوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا العساقل من الكماة الكبار البيض قوله او كالوا اكيلهم او وزنوا امونز فيهم بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كقوله واسئل القرية اي اهل القرية قوله ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل يعني جعل كلمة هم تاكيد الواو التي هي ضمير الجمع وراجع الى المطففين ولو قال ولا يحسن جعل المنفصل للمطففين لكان اولى لانه لو كان الضمير المنفصل للمطففين يجوز ان يكون تاكيد المتصل وان لا يكون تاكيدا له بل يكون مسندا اليه مقدما على مسنده اعني يخسرون وما ذكره لا يشمل الا الاحتمال الاول قوله عن مقابلة ما قبله وهو اذا اكتالوا على الناس يستوفون حيث اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها يعني ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اتولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشرة وبيانه على ما قيل ان الضمير اذا جعل للمطففين افاد التركيب معنى الحصر لما يؤدي

47

تقديم الفاعل المعنوي في قوله هم يخسرون الى معنى الاختصاص فافاد الكلام ان الخسران واقع في فاعله ومباشرة اياهم او غيرهم فقيل هم يخسرون ليفيد انهم على الخصوص اخسروا دون غيرهم ولم يكن الكلام الا في الاخبار عنهم انهم يخسرون فلو اريد ذلك لخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في الاختصاص وقد اورد عليه انه يجوز ان يكون الضمير على تقدير كونه مرفوعا للواو وان لم يكن تاكيدا يحتمل ان يكون التقديم للتقوي واجيب عنه بان التاكيد يرفعه المقام فلعله اراد ان يحقق ان الكيل صدر منهم لا من غيرهم مثلا والتقوي وحده يدفعه ترك الفاء في جواب اذا لان الفصيح اذا كالوهم يخسرون فيتعين الحمل على التخصيص ورد ذلك ايضا بانه يتاتى ان يقال ان التخصيص يدفعه المقام وكذا التاكيد فتعين الحمل على التقوي وان يقال ترك الفاء يدفع التقوي والتخصيص يدفعه المقام فتعين التاكيد قوله ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره قال في الكشاف بعد ذكر الوجه الاول والتعلق ابطاله بخط المصحف ان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا انتهى كلامه ولعل ما ذكره المصنف رد عليه بان اثبات الالف بعد الواو في نظائره في خط المصحف كاف فيه ولا يقدح فيه عدم مراعاة حد المصطلح عليه في علم الخط في كثير من خط المصحف وقيل انما لم يقل واذا اتزنوا كما قيل اذا وزنوهم اكتفاء بالقرينة الآتية الدالة عليها وقيل لانه اتى على ما كانوا عليه ويعودونه من الظلم لانهم كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين وهذا اظهر لما اشتهر فيما بينهم حيث قالوا ان المطففين كانوا ياخذون بالكيل

ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة
لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا تمكنهم
من البخس في النوعين جميعا وذلك لان الوجه الذي ذكره في الاول جار في الثاني
وبالعكس فانهم قوله وهمزة انكار وتعجيب يعني ان الهمزة الداخلة على لا النافية
للانكار والتعجب وعن ابي البقاء الا ليست للتنبيه لان ما بعد حرف التنبيه
مثبت وهاهنا منفي كذا قيل فيه ان الهمزة الداخلة على لا النافية اذا كانت
للانكار يفيد اثبات الظن لان نفي النفي اثبات مع ان المقصود انكار ظنهم
لذلك لا انكار عدمه كما يدل عليه قول المص فان من ظن ذلك لا يتجاسر الخ
وايضا اذا كانت الا للتنبيه فالمذكور بعدها نفي ظن فهو مثبت لا منفي وذلك ظاهر
على ان ما ادعاه ينتقض بقولهم الا تفعل وايضا لا يتم ح ما قيل جعلهم اسوء حالا من
الكفار لانه اثبت للكفار ظنا حيث حكى عنهم وقال ان نظن الا ظنا ولم يثبت
لهم بمعنى نفي لهم مرادا من الظن هذا ولو قيل ادخل الهمزة للاستفهام على النافية توبيخا
لكان اظهر قوله من حالهم في الاجتراء على التطفيف كان لا يخطر ببالهم ولا يخمنون
تخمينا آه او بدل من الجار والمجرور وانما قال من الجار والمجرور ولم يقل من المجرور تنبيها على
ان نصبه تابع فيه وهذا الوجه اظهر من حيث المعنى من الاول والجوز ان يكون منصوبا
بتقدير اعني وقد يقال يجوز ان يكون صفة ليوم عظيم او عطف بيان له فتدبر قوله
وذكر الظن لان كلمة الظن يدل على التجهيل وكذا التعبير عنهم باسم الاشارة لانه
هاهنا للتحقير بجعل ذلك للتحقير او للتبعيد ولا منع جمع بينهما قوله مبالغة في المنع عن
التطفيف فعل ذلك كله لاجل التطفيف من حيث هو التطفيف بل من حيث ان
الميزان قانون العدل والاستقامة وهو الحكم في الخلق والتكليف والخير والشر
ومن تطفيف حاول ابطال حكمة الله في الدارين قوله ردع عن التطفيف قيل تنبيه

على انه مما يحاسبون به ويعذبون عليه قوله ما يكتب من اعمالهم اشارة الى ان
الكتاب اما اسم او مصدر وينبغي ان يعلم ان الفجار عام شامل للمطففين
وغيرهم واما خاص بالمطففين بقرينة سابق الكلام ولعل الاول اولى
قوله لاعمال الفجرة من الكفرة والفسقة من الثقلين اي الانس والجن وكذا
هذا الكتاب جامع لاعمال الشياطين ايضا ولا خفاء في ان هذا منه اشارة
الى بيان وجه الاية الكريمة لان الله تعالى قد اخبر فيها عن كتاب الفجار بانه
في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم وانه
يحتاج الى بيان وتوضيح وحاصل ما ذكره انه نظير قولنا ان كتاب حساب الفلانية
في الدستور الفلاني الذي يشتمل على حسابها وحساب امثالها هذا اذا كان
الكتاب اسما لا مصدرا وان كان منه المراد الكتاب فالمعنى ان كتاب الفجار
اي كتابة اعمالهم في سجين ثم وصف السجين بانه كتاب مرقوم والكتاب
الثاني اسم البتة فلا ارتياب فيه في كلام المص اشارة الى الوجهين فافهم
وقيل كتاب مرقوم ليس هو السجين والتقدير كتاب الفجار لفي سجين وان
كتاب الفجار لكتاب مرقوم وقد وصف كتاب الفجار بوصفين فيكون قوله
وما ادريك ما سجين اعتراضا وهذا اولى من القول بان في الكلام تقديما
وتأخيرا والتقدير ان كتاب الفجار لكتاب مرقوم في سجين وما ادريك
ما سجين قوله كما قال هذا مبني على ما هو ظاهر الكلام والا لا يتم اذا كان
السجين اسم المكان وحذف المضاف اليه قوله من السجن وهو الحبس والتضييق
قوله لقب به الكتاب تنبيه على ان السجين ليس صفة بل هو اسم علم
منقول من وصف كحاتم قوله لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم قوله او لانه
مطروح وجه آخر في تعليل التسمية يعني سمي كتاب الفجار سجينا تسمية للمسبب باسم

المسبب او تسمية للحال باسم المحل قوله وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين
على ان المضاف مقدر اما في سجين او في كتاب ونقل عن ابي علي ان قوله كتاب
اي موضع كتاب ويؤيده ما نقله الواحدي باسناده ان الفلق جب في جهنم
مغطى وسجين جب فيها مفتوح قيل وكذا الكلام في عليين فانه كونه موضعا
لاهل الدرجات العلى اشهر من كونه كتابا وعلى هذا سجين اسم موضع في جهنم
وعليون اسم لخير موضع من الجنة ولا يبعد ان يكون سجين علما للكتاب وعلما للمكان
ايضا وكذا عليون جمعا بين ظاهر الآية وظاهر الاحاديث والله اعلم
بالحق مطلقا او بذلك اي بالبعث او بالحكم آنفا وهو ان كتاب الفجار لفي سجين
والاضح لكن تليها قوله صفة مخصصة هذا اذا حمل قوله للمكذبين على المكذبين بالحق
في الجملة واما اذا اعني المكذبين بالبعث او بما يجري مجراه فكان صفة موضحة هذا
اذا اريد به التخصيص او الايضاح واما اذا اريد به ذمهم وتقبيحهم فكان
صفة ذامة واعلم انه رد على ما في الكشاف حيث قال الذين يكذبون مما
وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث قيل عليه
ليس قوله الذين يكذبون صفة كاشفة للمكذبين لكونهم معلومين ولا هي فارقة
لانه لم يرد تمييزهم عن غيرهم بل هو مرفوع او منصوب على الذم هذا ويجوز ان
يكون بدلا منه وعطف بيان له وفيما سبق التنبيه له ان الوجوه المذكورة
ههنا جارية في قوله الذين اذا اكتالوا اذ ذكر في قوله يوم يقوم الناس فتذكر
قوله متجاوز عن النظر قيل متجاوز عن الحد قوله فاستحال منه الاعادة اي عدها من
المحال قوله منهمك في الشهوات المخدجة انهمك في الامر جد ولج اخدجت الناقة
اذا جاءت بولدها ناقص الخلق وان كانت ايامه تامة فهي مخدج والولد مخدج
وقيل انهم مكتسب للاثم بحيث انغلقه وفي بعض النسخ المتعلقة والمؤدي واحد قوله

تعالى آياتنا

تتلى آياتنا اي القرآن قال اساطير الاولين احاديث المتقدمين وقال الزجاج
اساطير اباطيلهم احدها اسطورة مثل احدوثة واحاديث قوله ردع عن هذا
القول اي قول انها اساطير الاولين او عن التكذيب او عن مجموع ما ذكر من التكذيب
والقول قوله رد لما قالوه وعن الامام بيان لما كانوا فيه من ان ذلك اساطير الاولين
بل افعالهم الماضية صارت سببا لحصول الرين في قلوبهم تأمل اي ان كلمة بل هنا
للاضراب او للترقي ولم يتعرض المص لبيانه والظاهر انه للترقي من القول المذكور
الى الرين الذي من جملة الامور المترتبة عليه القول المذكور ثم ان كلمة ما في ما
يكسبون اما موصولة او موصوفة او مصدرية وفي هذه لا احتياج الى التقدير قوله
وقرأ حفص بل ران باظهار اللام قال الزجاج الادغام اجود لقرب مخرج
اللام من الراء والغلبة للراء من اللام واظهار اللام جائز لان اللام من كلمة
والراء من اخرى قوله لمحجوبون لممنوعون والحجب المنع وهذا الحكم يفيد قصر المسند
على المسند اليه سيما في هذا المقام فيقتضي ان يكون يومئذ فريق آخر غير محجوبين
عنه وهم المؤمنون فلا بد ان يرونه وهذه الآية على حقيقتها عند
القائلين بالرؤية فهي من ادلة الرؤية واما عند المنكرين لها فتاولها
باحد الوجوه التي ذكرها المص والعلم عند الله قوله ليدخلون النار ويصلون بها
لما سوى حرها اذا ذكر ليدخلون النار لان الصلي بها يقتضي الدخول فيها
هذا الذي كنتم به تكذبون اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تكذبون
في الدنيا وينكرون وقوعه قوله بقوله لهم الزبانية المراد بها ملائكة
العذاب وسيجيء تفصيل الكلام فيه قوله للاول يعني قوله كلا ان كتاب
الفجار وعن الحسن البر الذي لا يؤذي الذر قد تقدم الكلام في الابرار

فتذكر قوله للكلام فيه ما مر في المطففين تفسير الكتاب بالوجهين المذكورين فيه جار
فيها بعينه وقيل معنى عليين بحكم نهايته معنى سجين بان يقال عليون
كتاب جامع لاعمال الابرار من الثقلين وكلا معنى المرقوم جار فيها
مع ادنى تغيير فافهمها وقيل هو ايضا اسم المكان والتقدير بعينه
ما مر هذا وفيها كلام احرى الى العجب وهو انه قيل عليون اسم
اشرف الجنان كما ان سجينا اسم من النيران وقيل بل ذلك في مكة
اسم مكانا وهذا اقرب الى العربية اذا كان هذا الجمع مخصوصا بالناطقين
قال والواحد على نحو بطيخ ومعناه ان الابرار في جملة هولاء فيكون
ذلك كقوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين وفيه بحث
وهو ان لفظ الكتاب المضاف الى الابرار مانع عن التوجيه
المذكور وكذا ينبو عنه قوله تعالى كتاب مرقوم فانهم ذلك قوله
يشهدونه فيحفظونه قيل بحضره الملائكة وقيل يشهد عمل الابرار
مقربو كل سماء اذا رفع قوله نوعي نعيم تنعم في الجنان قوله على الارائك
في الحجال الجلة بالتحريك واحد حجال العروس وهو بيت يزين
بالثياب الكرة والستور قوله الى ما يسرهم من النعم والمتوجهات
هذا مجمل فيندرج فيه النظر الى ذات الله تعالى والى اوليائه الله تعالى
من النعم والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وقيل ولا يحجب
الحجال ابصارهم عن الادراك ثم ان الخطاب في تعرف الا للرسول
عليه السلام او عام قوله بهجة التنعم وبريقه طراوته وماءه ورونقه وعن
ابن عطاء على ارائك المعرفة ينظرون الى المعروف وعلى ارائك القربة
ينظرون الى الرؤف ومع عند الله كما ترى في وجوه الاغنياء واهل

الترفه

الترفه وعن جعفر في قوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم سقاء
لذة النظر بلا اثر مثل الشمس في وجوههم قوله اي مختوم اوانيه
قيل لا على ان الاسناد مجازي لان الختم على الشيء اعلى الاستحقاق
منه بالختم طريقة ذلك في هذا الختم دليل غاية الاكرام يفعل ذلك صيانة للكاس
عن الادناس قوله اي مقطع هو رائحة المسك اذا شرب اي يوجد رائحة المسك
عند خاتمه شربه وقيل فسر الختام بالمقطع من الفم لان ختام الشيء وخاتمته
اخره كانه قيل ختم بالمسك على معنى ان الانتهاء الحاصل به هذا وبهذا وجه
اخر وهو انه قيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وفيه بعد لفظا اذ
لا [illegible] اشعار ومعنى اذ لا ترتب بل الظاهر كذا قيل به قوله
يعني الرحيق او النعيم لا منع جمع بينهما والظاهر سياق الكلام الجمع
فليرتغب المرتغبون اي فليرغب الراغبون الارتغاب الرغبة وذلك
انما يكون بالمبادرة الى الخيرات والانتهاء عن السيئات قوله يعني ومزاجه
ما يمزج اي ومزاج الرحيق وهذا يؤيد معنى الوجه الاول في قوله تعالى
وفي ذلك قوله سميت تسنيما لارتفاع اي تفضيله ان العين سميت بالتسنيم
الذي هو مصدر سنمه اي رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها
تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في
اوانيهم قوله فانهم يشربونها صرفا اي غير ممزوج يدل عليه انه لم يعتبر
المزج فيه كما في مزاجه من تسنيم قوله ويمزج لسائر اهل الجنة يدل عليه
تخصيص المقربين بالذكر قوله او على الاعتبار الوصف اي جاريا وذا
المكان تسنيم وهو علم للماء وقيل المعنى لا يساعد عليه بل اللفظ ايضا
الا بتاويل وقد يقال يجوز ان يكون منصوبا باضمار فعل يعني ما بعد عينا

ويجوز ان يكون نصبه على الاختصاص قوله والكلام في الباء كما في يشرب
بها عباد الله يشرب بها اي منها والباء زائدة وتؤيده قراءة ابن ابي عبلة
يشربونها او محمول على المعنى اي يلتذ بها او يروى بها او ممزوجا بها لكنه
مناف لقوله يشربونها صرفا وتؤيده ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه
يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقال الحريري في عينا يشرب بها
المقربون يشربونها صرفا على بساط القرب في مجلس الانس وفي رياض
القدس كاس الرضا على مشاهدة الحق قوله ان الذين اجرموا كفار
قريش هم مشركوا مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم
واعلم ان صدر هذه السورة في وعيد المطففين الذين هم من جملة الفجار
ثم عمم الوعيد والتهويل لمطلق الفجار وعقبه بوعد الابرار لكن تشنيعا وبيانا ان
التطفيف محظور والايفاء بر كما ذكره المصنف او زيادة تحسين الفجار
ثم خص الكفار منهم بالذكر اظهارا لكمال خسرانهم ففيها تعميم بعد
تخصيص ثم تخصيص وينبغي ان يعلم ان من الذين متعلق بيضحكون
لكنه قدم عليه لمحافظة رؤس الآي او لافادة التخصيص للتقوي بيان كلمة
ومنه بمعنى قوله بفقراء المؤمنين من عمار وصهيب وبلال وغيرهم قوله
واذا مروا اي الكفار بهم اي بالمؤمنين يتغامزون اي الكفار يغمز
بعضهم بعضا ويشيرون اليهم باعينهم ويؤيده قوله واذا انقلبوا الى اهلهم
اي اذا رجع الكفار الى منازلهم قوله نسبوهم الى الضلال بان قالوا
خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من
الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا عين الضلال وعن الامام
اي هم على ضلال في جحود النعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل
ترك

ام لا يحفظون عليهم فيه تنبيه على ان عليهم في الآية متعلق بقوله حافظين
كلام الله في حق الذين اجرموا وهل يجوز ان يكون من جملة
الكفار وعلى هذا كان القياس وما ارسلوا علينا حافظين
الا انه قيل عليهم لانهم غيب على نحو قال زيد ليفعلن كذا فيكون
هذا الكلام محكيا بمعناه لا بلفظه وضمير ارسلوا على الوجه الاول
للذين اجرموا وعلى الثاني للذين آمنوا ولعل الوجه الثاني اظهر
من الاول من حيث المعنى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
اي اذا دخلوا الجنة فالذين آمنوا يضحكون من الكفار يوم القيامة
كما ضحكوا منهم هنا مجازاة قوله اغلق دونهم فيقال لهم اخرجوا
فيضحك المؤمنون منهم قوله حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم
والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العز والكبر ومن الوان العذاب
بعد النعم والترفه وهم على الارائك آمنون ويستفاد منه ان كلا
من قوله على الارائك وقوله ينظرون حال على حدة والاولى
في انه لو قدم وهم على الارائك آمنون على ناظرين الى النعيم لكان
ادق لنظم الكلام قوله اي هل اثيبوا اي هل جوزوا ثوابه واثابه
بمعنى اذا جازاه واعلم ان هذا قول الله للمؤمنين يوم القيامة
لزيادة تكريمهم وتشريفهم كانه قال فيه هل جازينا هؤلاء الكفار على
ما فعلوا سيما على ما كانوا يضحكون منكم ويستهزؤن بطريقتكم
كما جازيناكم على اعمالكم الصالحة مزيدا لسرورهم وبهجتهم ثم ان كلمة
ما في ما كانوا يفعلون موصولة او موصوفة او مصدرية وقد
اورد عليه احتياج الى التقدير دون الثالثة تمت السورة والحمد لله على
الاتمام سورة الانشقاق بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت

بالغمام نظير انشقت الارض بالنبات والسماء بالغمام ويكون في ذلك
انغمام للملائكة العذاب وكان ذلك اشد وادخل حيث جاء العذاب
من حيث موضع الخير والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها قوله
ينشق عن المجرة الجوهري المجرة التي في السماء سميت بذلك لانها
كاثر المجر قال ابن قتيبة في كتاب الانواء المجرة شرج السماء
القبة وهي ما يرى في ال[illegible] تنشا اول الليل في ناحية السماء
وفي الصيف في وسط السماء وينتقل في آخر الليل عن موضعها
ويقال ان النجوم تهاونت في المجرة فطمس بعضهم مجارتها كانها سيئة قوله
واستمعت له اشارة الى ان اذنت من الاذن بمعنى الاستماع
والمراد منه هنا هو الانقياد والاتباع ومنه صلى الله عليه وسلم ما اذن
الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن قوله وجعله جمعها بالاستماع والانقياد
قيل فيه ايذان بان القادر الذي عمت قدرته للكائنات تحت تعالى له
كل مقدور ويحق ذلك لان الانشقاق السماء ليس ببعيد عن سائر
المقدورات فاذا كان [illegible] جمعها بالنسبة اليها كان غير ايم كذلك
ولا يخفى ان قوله وحقت عطف على ما سبق من التعليق لا اعتراض كما توهم
قوله اى انقادت لتاثير قدرته الى اشارة الى ان اذن السماء للانشقاق
تمثيل على منوال قوله تعالى اتينا طائعين وعن الاحاح المعنى لم يوجد في
جرم السماء ما يمنع من تاثير قدرة الله في شقها وتفريق اجزائها فكان في قبوله
ذلك التاثير كالعبد الطائع اذا ورد عليه الامر من قبل مالكه اذعن ولم يمتنع
لذلك قوله مدت من مد الشيء فامتد او من مد بمعنى امد قيل المعنى على
الاول هو ان يزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى يمتد وينبسط

ويستوي

ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
وعلى الثاني زيدت سعة وبسطة تامل يظهر لك ما فيه ولعل الاولى ان تعمم
ان يكون على ظهرها من الاحياء والجبال والاكام والبحار والزراع او
يكون في جوفها من الكنوز والاموات والتخصيص ببعض منها دون
بعض ليس بجيد قوله حتى لم يبق شيء في باطنها الاولى ههنا ان يقال حتى
لم يبق شيء مما فيها سواء كان في باطنها او على ظهرها من الامور المذكورة
قوله في الالقاء والتخلي وكذا في المد قوله للاذن والمد والالقاء والتخلي
ما فهم قوله لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة فيه خفاء لانه لا تعدد في
القدرة اصلا فضلا عن التنوع والاولى ان يقال لاستقلال كل من الجملتين
في كونها علامة للبعث وامتياز كل منهما عن الاخرى امتيازا ما ثم
ان تكرار اذا وقع في سورتي التكوير والانفطار ايضا وكان الاولى ان
يذكر انه وجه هناك قوله للتهويل بالابهام ههنا وهو مشهور فيما بينهم
حيث قالوا ليذهب المقدر كل مذهب وقيل ظرف لاذكر اي اذكر وقت
كذا قوله او الاكتفاء بما في سورتي التكوير والانفطار المراد بما
في سورة التكوير قوله تعالى علمت نفس ما احضرت والمراد بما في سورة الانفطار
قوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت ثم ان هذا انما يناسب لو تقدم نزولهما على
نزول هذه السورة وقيل جوابه انك كادح ولا يظهر مع جواز ذلك
القول بحذف الجواب وقيل جوابه اذنت والواو مقحم وقيل ما ده
الانسان فعلى هذا التقدير الجواب محذوف بدلالة قوله يا ايها
الانسان وقيل يرى الانسان الثواب والعقاب والتقدير ثم
مثل ما مر فافهم واعلم ان اللام في الانسان اما للجنس او للاستغراق

صح

وعلى كلا التقديرين فقوله فاما من اوتي كتابه الآيات بيان
وتفصيل لما ابهم واجمل في قوله فملاقيه قوله وتقديره لاقى الانسان
كدحه الضمير في ملاقيه للكدح قيل هذا غير مرضي لان الاخبار عن
المفيا الى غاية يناسبه الاخبار عن بلوغ الغاية لا عن بلوغ المغيا
وقيل الضمير اذا كان للكدح فالكلام على حذف المضاف اي فملاق
جزاء كدحه اي ربك من خير او شر وهذا انما يستقيم ان لو رجع ضمير
كدحها الى الرب وقيل لقاء الكدح كتابه فيه ذلك يدل عليه قوله فاما من
اوتي كتابه الآية والمرضي عند صاحب الكشاف ان الضمير للرب حيث قال فملاقيه
فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح ولا يشك
انه يدل على رجحان الاول قوله او فملاقيه الظاهر انه عطف على قوله المحذوف
اي جوابه محذوف للامور المذكورة او عن محذوف فهو فملاقيه ولا توهم ان
قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا مانع منه دفعه بانه اعتراض
ولعله اشارة الى رد ما قيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت
لاقى الانسان كدحه قال الامام فعلى هذا قوله يا ايها الانسان معترض
هو كقول القائل اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند كما عملت
خيرا او شرا اي اذا كان يوم القيامة لقي الانسان وجه ذلك الرد انه لا حاجة
الى ارتكاب الحذف هذا وقيل فيه بعد لانه لم يبق للخطاب في هذا التقدير
دخل قوله لا ينافي فيه ان المناقشة في الحساب الاستقصاء فيه واصل
المناقشة من نقش الشوكة اذا استخرجها كذا قيل وكلمة الفاء في قوله فاما من
اوتي تفصيله قوله اي عشيرته الخ من الاهل بالعشيرة او بقرينه المؤمنين
على ان يكون معنى الى اهله الى مكانه ويكون اهلا للتعجيب او بالزوجة
هذا يدل على ان العشيرة او المؤمنين يدخلون الجنة قبله كذا قيل تامل
فيه ثم ان مسرورا حال من فاعل ينقلب هذا هو الظاهر لفظا ومعنى قوله

تفصيلا

اي يوتي بشماله من وراء ظهره لاحتمال ان في كلا الآيتين
من وجه واجمالا من وجه دون الاخرى لان الجهة غير مبينة في الاولى
والشمال متروك في الثانية فكل منهما مبينة للاخرى من وجه واعلم ان
الايتاء من وراء ظهره يحتمل وجوها احدها ان يقصد به اهانته
وتحقيره وثانيها ان يستغنى عنه ظهره بحيث يطلع فاوتي من وراء
ظهره وثالثها ان يؤتى من وراء ظهره مجازاة له لما سبق منه
لانه نبذ كتاب الله واوامره ونواهيه وراء ظهره فجوزي ايهم باعطاء
كتابه من وراء ظهره والراجح هو الاول على عكس الثانية كما لا يخفى
قوله ويجعل يسراه وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره
الى النخج في بطنه فيجعل من وراء ظهره كذا في الاحقاف قوله
ويصلى سعيرا اي ويدخل جهنم وفيه ثلث قرآات يصلى على صيغة المعلوم من
الثلاثي المجرد وعلى صيغة المجهول من الثلاثي المزيد من باب الافعال او من
باب التفعيل ولكل منها وجه من الآيات قوله انه كان في اهله مسرورا
ظهر انهم ودهم على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني يجوز ان يكون في معناه
وان يكون بمعنى مع وينبغي ان يعلم ان قوله انه كان في اهله مسرورا استيناف
تعليل وقوله انه ظن ان لن يحور استيناف بعد فانهم قوله بطرا اي متكبرا اذ البطر
الطغيان عند النعمة قوله بلى ايجاب لما بعد لن لانه ايجاب لما بعد النفي اي بلى يحورن
اي ليرجعن الى ربه في الآخرة ابد السعداء
انما قدر الفعل بعد بلى مؤكدا بالنون لانه لايجاب الفعل المنفي المؤكد لان لن
لتاكيد النفي كذا قيل قوله فلا يحمله بل يرجعه ويجازيه بهذا الحكم الحق بلا حكم
الوجوب عليه قوله فلا اقسم بالشفق اقسم بالحمرة الموجودة او بالبياض بعد
سمي به لرقته ماخوذ من الشفقة على الانسان وهي رقة القلب عليه قوله

وغيرها من الاعمال من التهجد وغيره قوله وقيل المراد جمعه من الظلمة والنجم او عمل فيه ما
التهجد وغيره ويمكن جعل جميع ذلك مندرجا في قول المص وغيرهما قوله
وسقه فاتسق واستوسق هذا يدل على ان وزن افتعل واستفعل هنا بمعنى ونظير
اتسع واستوسع لانه يقال وسعه فاتسع واستوسع قوله قال استوسقت لو يجدن
سائقا اوله ان لنا قلائصا حقائقا القلائص جمع القلوص وهي الناقة الشابة
والحقائق جمع حقاق جمع حقة وهي الناقة التي تمت لها ثلث سنين ودخلت
في الرابعة وروي نقانقا عوض حقائقا والنقنق للظليم وهو ذكر النعام
او طرده الى اماكنه وقيل وسق عبارة عن طوارق الليل والكواكب الا انها
المجموعة والاتساق الاجتماع والاطراد قوله وتم بدرا من البدور وهو يسمى
سمي القمر ليلة اربع عشرة لمبادرته غروبه على طلوع الشمس بلا تراخ وقيل لان القمر
يبدر بغيب الشمس بالطلوع اي يسبقها قوله لتركبن بالضم على خطاب الجنس
لان النداء للجنس في يا ايها الانسان هذا يميل الى المعنى ويمكن ان يكون الخطاب للرسول ومن تبعه
من الابرار ومن المومنين مطلق لكنه بعيد وههنا تكثير قراءات
قوله حالا بعد حال هذا اشارة الى ان الكلمة عن بمعنى بعد كقولهم كابرا عن كابر
وكذا وهو اي الطبق اسم لما طابق غيره فقيل اي ما ينبغي ان يحكى المطابق نعم
الطبق قيل هذا يشعر بان الطبق في هذا المعنى منقول او مجاز وهو
لانه يجوز ان يكون في معناه الموضوع له اولا وهو ما طابق غيره الا
ان يقال المراد بما في قوله ما طابق غيره جسم طابق غيره قوله او هي ما قبلها
من الدواهي اي المراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة
واهوالها او هي الموت ومواطن القيمة واهوالها وما قبل تلك الامور
من الدواهي وهذا الوجه على كلا التقديرين مبني على ان الطبق جمع طبقة
وهي المرتبة بخلاف الوجه الاول فانه مبني على انه مفرد هذا ما يدل عليه

سياق

سياق كلامه قوله على خطاب الانسان هذا هو المناسب لقوله انك كادح
الى ربك ويمكن ان يكون من قبيل الخطاب العام والقول بان الخطاب
للرسول عليه السلام ليس مناسبا لسياق الكلام قوله وبالكسر ولو قال
وقرئ بالكسر لكان اظهر لئلا يتوهم ان هذا الضم قراءة ابن كثير
وحمزة والكسائي وكذا الحال في قوله وبالياء على الغيبة اي
ليركبن الانسان ويحتمل ان يكون الضمير للرسول اي ليركبن الرسول قوله
بمعنى مجاوزا للطبق متباعدا عنه هذا على تقدير كونه صفة قوله وقوله مجاوزا
له على تقدير كونه حالا ولو قال او مجاوزين له او مجاوزا او مجاوزة
على حسب القراءات لكان انسب لسياق كلامه كما في الكشاف قوله
بيوم القيامة او بالرسول او بالقرآن وعلى جميع التقادير تنبيها على انه حق
ووجه ظاهر بالنبأ الصادق ثم ان الضمير لهم وعليهم اما للكفار مطلقا
او لكفار قريش بناء على سبب النزول قوله ولا يخضعون تفسير السجود
بالاستكانة والخضوع نظرا الى سياق الاية لانه ذم لمطلق الكفار لا
لقريش وحدهم وان المراد بالقرآن مطلقه لا آية السجدة خصوصا ولا
خفاء في ان تفسيره بالسجود لتلاوته نظرا الى سبب نزوله كما يعلم من الحديث
الذي اورده قوله تعالى بل الذين كفروا اشارة الى الكفرة فيكون وضع
المظهر موضع المضمر للاشعار بانهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة
القرآن عليهم لانهم كافرون مكذبون قوله اي بالقرآن هذا هو المناسب لقوله
واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون وقيل اي البعث ويجوز ان يراد
بالرسول قوله بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة للرسول والمؤمنين
ولو قال بما يجمعون في صدورهم ويضمرونه من الكفر والعداوة لكان اجمل

لسابق

لان الجمع معتبر في منع الايذاء في كلامهم بهذا وجه آخر ايضا حيث قالوا انما
يجوز ان يكون المفتون بهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب قوله
استهزاء بهم يعني اخذ البشارة بالنسبة اليهم استهزاء لهم ويجوز ان يكون
ذلك لزيادة تحسيرهم بان يدل بشارتهم بالاخبار بجوار العذاب بتحسيب
كفرهم وقيل في تفسير فبشرهم بعذاب اليم اخبرهم خبر البطر الذي يغلي
بشرتهم كانه جعل التبشير بها من البشرة لا من البشارة فانهم
قوله او منقطع والمراد من تاب وآمن منهم يعني ان المراد من المستثنى
من تاب وآمن من الذين كفروا وهذا بناء على ان المراد من الذين
كفروا الذين ماتوا على الكفر بل من اتصف بالكفر بالجملة
سواء مات عليه او لا فيكون الاستثناء متصلا لدخول المستثنى
في المستثنى منه والمشهور في كلامهم هو الوجه الاول وهو ان الاستثناء
منقطع بناء على ان الظاهر المتبادر من الذين كفروا هو من مات على الكفر
مقطوع او ممنون به عليهم هذا اشارة الى ان الممنون اما من المن
بمعنى القطع او من المن بمعنى المنة تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة
البروج بسم الله الرحمن الرحيم قوله يعني البروج الاثني عشر البرج في اصطلاح
ارباب الحكمة اسم لجزء معين من اثني عشر جزءا من دائرة على الفلك يسمونها
منطقة البروج وكل برج يعرف بكوكب ينسب البرج اليه قوله شبهت بالقصور
يعني انها انما سميت بروجا والبرج القصر على التشبيه كان لكل برج قصر
ووجه التشبيه انها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت مع عظمتها
كما ان القصور ينزلها الملوك ذو فرجة وصدورهم ويكونون فيها ولا
خفاء في ان تلك المواضع المرتفعة في السماء مشابهة بالقصور في ارتفاع
وانما الكلام في المراد في هذا المقام نعم لو اعتبر هذا مع ما ذكر لكان وجه

التشبيه

55

التشبيه اقوى وبالجملة على هذا التقدير اقسم سبحانه وتعالى بالبروج الاثني
عشر التي يسير الشمس فيها في سنة والقمر في شهر وقد تعلقت بها مصالح
ومنافع اظهارا لقدرته وشرفها قوله او منازل القمر قيل انه راجع الى
الوجه الاول لان البروج الاثني عشر منقسم الى ثمانية وعشرين منزلا فلا وجه
بحث قوله الظهور قيل انه راجع الى الوجه الاول قوله فان النوازل تخرج منها فيكون
معناه معنى الظهور قوله واصل التركيب من برج للظهور اي يتفرع
من الظهور للاساس وعليها ثوب مبرج وهو الذي عليه تصاوير
كبروج السور اراد به البروج القصور وهي بروج النجوم لمنازلها المختصة بها
قال الله تعالى والسماء ذات البروج وثوب مبرج عليه صور كبروج واعتبر حسنه
وقيل تبرجت المرأة اي تشبهت به في اظهار المحاسن وقيل
ظهرت من برجها ويدل عليه قوله تعالى وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى وبالجملة المعاني التي يطلق عليها هذا التركيب ينبئ عن
الظهور ومن يشهد في ذلك اليوم بهذا الوجه مناسب لليوم الموجود
وهذا اختاره صاحب الكشاف كثرة المهم قوله ما احضر فيه فعلى هذا
يكون تقدير الكلام وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه محذوف الجار
في مشهود فيه واوصل الفعل الى الضمير وحذف الجار والمجرور معا
والاولى اولى بهذا ثم اعلم ان الشاهد قد يطلق على من يشهد لكون عن
على المدعي عليه وقد يطلق على الحاضر ضد الغائب كما يقال فلان شاهد
بمجلس فلان وللمشهود ايضا في مقابلته معنيان وكل منهما اما حقيقي او مجازي
وهذا الوجه الذي ذكره مبني على المعنى الثاني بخلاف الوجوه الآتية فان
بعضها مبني على الوجه الاول وبعضها على الثاني كما يظهر بالتامل الصادق
قوله وتنكيرهما للابهام في الوصف اي التنكير اما للتعظيم او للتفخيم او للتكثير

وهو من الكلف بعد الوصول الى نهاية الشيء وقد اضطربت الاقاويل
في اكثر الآيات سيما في هذا المقام وههنا اقوال اخر مشهورة فمنها بعضهم
حيث قيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام
وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل
يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الانبياء ومحمد صلوات الله وسلامه
عليه وعليهم اجمعين وهذه الوجوه كلها مع بعض ما ذكر المصنف مذكورة في الكشاف قوله
او يوم النحر او عرفة والحجيج كان المشهود في هذا الوجه متعين وهو الحجيج لكن الشاهد
غير متعين بل هو مردد بين يوم النحر وعرفة قوله او كل يوم واهله عن الحسن ما من يوم
الا وينادي اي يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي
لم تدركني الى يوم القيمة قوله قيل انه جواب القسم وعن الزجاج والاخفش ان جواب
القسم قتل اصحاب الاخدود واللام مضمرة كما قال والشمس وضحيها قد افلح من زكيها
اي لقد افلح وقيل الجواب ان بطش ربك وقيل ان الذين فتنوا المؤمنين وقيل الجواب
محذوف والتقدير ان الامر حق في الجزاء ثم انه قيل قوله قتل اصحاب الاخدود يعني
دعاء عليهم بل اي كلمة يعجب الناس اي عنادهم وشدة عاقبتهم في تعذيب
المؤمنين ويكون كناية عن كونهم ملعونين كما يقول قاتله الله ما اشجعه وقيل
دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره ويمكن ان يكون اخبارا عن كونهم
ملعونين لا دعاء عليهم ولا تعجبا من حالهم وفائدة هذا الاخبار اعلام كون
كفار مكة ملعونين بطريق الدلالة وهذا هو الظاهر وبذلك يحصل تثبيت المؤمنين
على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم سواء كان الجواب محذوفا ويكون المذكور
دالا عليه او كان مذكورا ويجوز ان يراد باصحاب الاخدود ههنا كفار قريش
على سبيل الاستعارة التحقيقية ويكون قوله هو النار ذات الوقود اذ هم عليها

56

فعود ترشيحا لها لكونه مما يلائم المشبه به فيخرج لا حاجة الى القول بالحذف بل
المذكور اولا هو حال كفار مكة وقرينة المجاز المذكور ان السورة وردت
لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم كما لعن اصحاب
الاخدود فقتل هنا بمعنى لعن وللقتل معان كثيرة والتركيب دال على الاذلال
والاماتة وقرئ قتل بالتشديد قوله ونحوهما بنا او بمعنى الحق و[illegible] الخفوق وجمعها
اخاديد واخافيق ومنه الخد لمجاري الدموع قوله روي مرفوعا الى النبي
صلى الله عليه وسلم هذا حديث طويل اخرجه الامام احمد بن حنبل ومسلم والترمذي
عن صهيب مع زيادات كذا قيل وقد اضطرب ههنا ايضا في الاخاديد وفي
قتل الاخدود وهي حفائر اوقدت فيها النار والقي فيها من امتنع عن
الكفر من مؤمني الحبشة علي رضي الله عنه مجاهد من اهل نجران عكرمة من النبط
ابن عباس بني اسرائيل عطية دانيال واصحابه الحسن قوم من اهل اليمن الضحاك
هم قوم من النصارى قبل مبعثه عليه الصلوة والسلام باربعين سنة اخذهم
يوسف بن شراحيل الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا السدي هم ثلاثة
من الاملاك خدود ثلاثة اخاديد احدها بالشام والثاني بالعراق والثالث
باليمن وروى صهيب مرفوعا ان ملكا بنجران اسمه يوسف بن ذي نواس
عن ابن عباس قبل مولد النبي عليه السلام سبعين سنة يدعو الناس الى الشرك وكان
غلام يقال له عبد الله بن تامر دفعه ابوه الى ساحر يعلمه السحر الى آخره قوله كبر
كبر بالضم في القدر وبالكسر في السن ولم يورد المصنف هذا الحديث بلفظ
الكشاف بل غير في كثير من المواقع ومن اراد [illegible] الادواء
جمع داء قوله فطلعه ذروته اعلاه وراسه رجف تحرك انكفأت انقلبت
تقاعست تاخرت اقتحمت رمت نفسها من غير روية قوله وعن علي رضي الله عنه

قال

ان بعض ملوك المجوس اراد تفصيله ما ذكر روي عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس
هم اهل الكتاب فتمسكوا بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم
فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس
فيقول يا ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم يخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه
فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد
وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود
قوله لما تنصر نجران بفتح النون وسكون الجيم وتخفيف الراء المهملة قبيلة غزاهم
ذو نواس بضم النون وتخفيف الواو وبالسين المهملة اسم رجل من اليهود من حمير
بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء آخر الحروف قبيلة فاوقع الاخاديد
من لم يرتد من التنصر هذا واعلم ان اللام في الاخدود للعهد وكذا اضافة الاصحاب
اليه وهذا هو الظاهر فتامل قوله بدل اشتمال انما ظاهر بناء على ما قيل انه بدل مسبب
غالبا عن اشتمال احد المبدلين على الآخر اما اشتمال المبدل على المبدل منه نحو
سلب زيد ثوبه او بالعكس نحو يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه هذا وقرئ الا
النار ذات بالرفع فيهما اي احرقتهم قوله وكثرة ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير
وابدان الانسان واللام في الوقود للجنس اي العهد الذهني اذ لا يناسب
حملها على ان يكون للحقيقة من حيث هي فيه انها لا تدل على كثرة ما يرتفع
لهب النار الا ان يقال الوقود في النار يوجب ذلك ولو حمل على
الاستغراق فهو غير صحيح لان النار لم يشتمل على جميع افراد ما يرتفع به لهبها الا ان
يجعل ذلك ادعائيا للمبالغة ولو حملت اللام على العهد الخارجي لكان له وجه وكذا
حال اللام في النار وقرئ الوقود بالضم ثم ان كلمة اذ ظرف لقتل اي لعنوا
حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ويجوز ان يكون ظرفا لمقدر وهو اذكروا

وينبغي ان يعلم ان الواو في وهم للعطف على هم عليها قعود ويجوز ان يكون
حالية بان يكون الجملة حالا من اصحاب الاخدود او من فاعل قعود قوله حين
يشهد عليهم السنتهم وايديهم فشهادتهم باعتبار شهادة السنتهم وايديهم
وعلى كلا هذين الوجهين يكون قوله على ما يفعلون ظرفا لشهود ويكون تقديمه
على المحافظة رؤوس الآي كما في قوله عليها قعود وكذا الشهود على هذين الوجهين
من الشهادة ويجوز ان يكون من الشهود بمعنى الحضور يعني انهم حاضرون على
عذاب المؤمنين ويجوز ان يراد انهم بناء على ما يفعلون بالمؤمنين شهود على ضلالة
انفسهم يوم تشهد السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ففي صلة الشهود
محذوفة والمذكور ليس صلته بل هو تعليل الحكم المذكور واورد بمعنى لام للاهتمام
به او للاختصاص او لمحافظة رؤوس الآي كما يحقق ثم ان كلمة ما في ما يفعلون اما
موصولة او موصوفة او مصدرية واللام في المؤمنين للعهد الخارجي ويجوز ان يكون
للعهد الذهني ايضا قوله وما انكروا اي ما عابوا وما انكر اصحاب الاخدود منهم
الا الايمان وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح ثم ان هذه الجملة ايضا اما عطف
على ما سبق او حال من اصحاب الاخدود او من فاعل قعود او من فاعل يفعلون
او من فاعل شهود قوله استثناء على طريقة قوله قيل فيه ان الايمان بالله عيب في
زعمهم وعابوا فالمستثنى داخل في المستثنى منه بزعمهم بخلاف فلول السيف من
قراع الكتائب فانها ليست عيبا بزعم احد فليس المستثنى داخلا في المستثنى منه
اصلا ورد ذلك بانه لا يعيب احد الايمان بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات
والارض وانما يعيبون الايمان لانهم لا يعلمون انه هذا الايمان وايضا الا
المستثنى في كلام الله تعالى لا في كلام اصحاب الاخدود حتى يعتبر زعمهم فافهم قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب قوله الفلول بالضم جمع الفل
بالفتح وهو الانكسار والانقطاع في آلة القطع مثل السيف والقراع بالكسر

قراع باكمى شمشير زدن

الا انقطاع
ضربة والكتائب جمع كتيبة وهي العسكر والمعنى انه لا عيب فيهم الا ان سيوفهم كثيرة
وان انكسارها بسبب ضربها للعساكر ولا شك انه فضيلة لا منقصة لكونه علامة
الجرأة والغلبة على الاعداء وهذا كناية عن كمال تنزههم عن العيب وامثال
هذا الاستثناء متصلة لادعاء دخول المستثنى في المستثنى منه تأمل قوله وصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه الخ النسبة
الى الحميد ولو قال حميدا مستحقا للحمد على نعمته يرجى ثوابه على ما في الكشاف
لكان اولى وينبغي ان يعلم ان الحميد يجوز ان يكون بمعنى حامد وان يكون بمعنى
المحمود ثم انه يجوز ان يكون ايراد لفظ الله وايراد الاوصاف الجليلة عليهما
للاشعار بشرف الايمان وكماله وانهم عدوه عيبا ومنقصة وهذا اظهر مما
ذكره المص وان امكن جعله راجعا اليه قوله وقرر وفي بعض النسخ وقرن
وكلاهما صحيح ثم ان اضافة الملك اما من قبيل اضافة العام الى الخاص
ان كان الملك اسما واما لامية ان كان مصدرا فافهم قوله بما يليق به او نحوه
ونعيد كذا في بعض النسخ وفي بعضها يعيد به على النسخة الاولى ضمير يليق به
وكذا باقي الضمائر ويقدر للموصول ضمير ان بما يليق به ويجوز ان يجعل
ما مصدرية فلا يقدر الضمير وعلى الثانية ضمير به في يعيد به للكلمة ما وايضا
للسبعة وباقي الضمائر لله تعالى او مفعول يؤمر مستترا بالحذف والايصال
ويجعل الضمير في يلفظ به في الموضعين للكلمة ما ثم الظاهر ان الله تعالى لما حكى
حال اصحاب الاخدود وقال والله على كل شيء شهيد اظهارا للخبر انهم والوعيد
لهم بانهم على ما فعلوا مجازيهم عليه وعلم منه ان ما يتعاقب من كلام
المص انه داخل في تعداد الاوصاف ليس على ما ينبغي ثم ان هذه الجملة
اما عطف على ما سبق من الجمل او حال من فاعل وما نقموا قوله بلوهم بالاذى
البلو والبلاء الاختبار ولعل نسبة البلوى والاختبار بالاذى الى الكفار

ثم انه فعل الله تعالى لعلاقة السببية ولو قال معنى فتنوا المؤمنين عذبوهم
واوقعهم في العذاب لكان اظهر وانسب لسابق الاية وهذا الوجه
مبني على ان المراد من الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ما هو اعم من اصحاب
الاخدود وغيرهم من الكافرين لا الكافرين والفاسقين وجعل كلا الجزائين
على هذا في الاخرة لانه رتبه فان مات على فتنته غير معذب بعذاب الدنيا
قوله العذاب الزائد في الاحراق هذا يدل على ان العذاب بفتنتهم
زائد اي الاحراق على العذاب بكفرهم قوله وقيل المراد بالذين فتنوا
اصحاب الاخدود ويؤيده سابق الاية كما لا يخفى فعلى هذا المراد بالذين
آمنوا المطروحين في الاخدود بقرينة المقابلة ولم يتعرض لبيان معنى
فتنوا على هذا التقدير وتبادر منه ان المراد منه هو ما ذكر اولا وفي
الكشاف يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا
المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في
الاخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع
كما تتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب
الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم وتبادر منه
ان المراد بالذين آمنوا هم المطروحين في الاخدود وان معنى فتنوهم
هنا ليس ما ذكر اولا بل معناه عذبوهم بالنار واحرقوهم ولم يتعرض المص
لشيء منهما وايضا يعلم منه ان كلا العذابين يجوز ان يكونا في الاخرة
كما في الوجه السابق وان يكون احدهما في الاخرة والاخر في الدنيا
وقد اقتصر المص على الثاني وايضا عكس ترتيب الكشاف بان جعل
الاول دنيويا والثاني اخرويا وكل ذلك ليس على ما ينبغي قوله ويعذب الحريق
ما روي ان النار الخ قيل فعلى هذا الوجه انما الاخر رعاية للفواصل

وهذا أيضا

أو للتتميم والترديف كأنه قيل ذلك وهو العقوبة العظمى كائن لا محالة
لا يحاد ولكنه والوجه أن عذاب جهنم وعذاب الحريق واحد وصف
بما يدل على أنه للمعذبين عقوبة [illegible] جدا وعلى أنه عذاب محض
الحريق وهو الحريق البالغ وكونه عذابا ذاتيا تعلم أنه لا يظهر العطف
الواقع في الكلام ثم اعلم أن هذا الكلام على الوجه الأول تذييل للكلام السابق
وتوكيد بمعنى قوله قتل أصحاب الأخدود وعلى الوجه الثاني هو أن يراد
بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة يكون تتميما لمعنى قتل أصحاب
الأخدود من باب المظهر الذي أقيم موضع المضمر كذا قيل ووجه ترك
فصله عما قبله وهو تأكيد وتتميم لما قبله ويمكن أن يكون وجهه أنه
استئناف بمعنى جواب السؤال أو استئناف بمعنى أنه كلام مبتدأ غير مطلوب
الارتباط بما قبله وكذا الحال في قوله إن الذين آمنوا الآية أي الذي هو
على تعذيب الأخدود وهو عام قوله فإن البطش أخذ بعنف فإذا وصف
بالشدة فقد تضاعف وإذا اعتبر الماضي والمكثة في التشديد فقد تضاعف
براعة الخطاب إما للرسول أو عام ويؤيده تأكيد الحكم بكلمتي إن واللام
والجملة المقصود منه تكميل تسلية المؤمنين وتأكيدها وزيادة الوعيد
على الكافرين ووجه فصله ظاهر مما ذكرنا قوله يبدئ الخلق ويعيده قدرة
باقتدار على الإبداء والإعادة على شدة بطشه فقوله إنه هو يبدئ ويعيد
استئناف على بيان موجب شدة البطش ولما كان يبدئ ويعيد مطلقين
تركهما في هذا الوجه على إطلاقهما لإفادة أنه يبدأ المخلوقات كلها
ويعيدها بأسرها كقوله تعالى إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده فهو كما كذلك كان قادرا
على الإطلاق وكان بطشه شديدا للاقتدار العظيم وصرح بالمفعول
في الوجه الثاني وهو البطش لدلالة البطش بكماله أنه تأكيد

صح وتفصيل

وهو أنه

وتفصيل لما سبق ووجه فصله عما قبله على كلا الوجهين واضح وأيضا في كلامهم
أو عد الكفرة بأنه يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا
بالإعادة في المفعول المحذوف هو ضمير الكفرة إذا ذكرهم ليؤذن بجزائهم أو الوعيد
كما ذكر وقيل فعلى هذا الوجه أنه استئناف بمعنى كلام مبتدأ غير مطلوب الارتباط بما
قبله هذا وقرئ يبدأ من بدأ ثلاثيا قوله وهو الغفور مثل الغفور كالغفار بلا فرق على قياس
الرحمن الرحيم وهو المريد لإزالة العقوبة عن مستحقها من الغفر بمعنى الستر وقيل الغفور
الساتر للعيوب العافي عن الذنوب وهذا أوفق باللغة ومنه علم أن المقصود المستفاد من
قوله لمن تاب ليس على ما ينبغي إذ الظاهر العموم ثم اعلم أنه معطوف على قوله يبدئ
ويعيد أو على قوله هو يبدئ ويعيد قوله المحب لمن أطاع أو لما أن يغفر المحب مطلقا
سواء كان لمن أطاع أو للمغفرة أو لإكرام المطيع ولعقاب العاصي ولغير ذلك
وقيل الودود الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا
وفيه تنبيه على أنه محمول على المجاز لأن المودة ميل القلب وهو في حقه تعالى
مستحيل وهذا كما حمل المحبة على المجاز في قوله يحبكم ولا خفاء في أن الودود من
الود وهو المحبة وقيل معناه المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب
وقيل معناه الواد كالصبور بمعنى الصابر وما سبق من الوجهين مبني على هذا اعلم أن
الودود خبر بعد خبر أو صفة للغفور أو مرفوع على المدح والظاهر هو الأول وكذا الحال
في قوله ذو العرش المجيد قوله خالقه ومالكه وقيل إن الفلك الأعظم وفلك الثوابت
يسميان كرسيا وعرشا صفة لربك لا يخفى بعده من نظم الكلام العظيم في ذاته وصفاته
وقيل المجيد الجميل أفعاله وقيل الكثير أفضاله وقيل لا يبارك هو المجيد العظيم وأوصاف
المدح أو للعرش هذا هو الظاهر وكذا اقتصر بعضهم عليه قوله ومجده أي مجد العرش
علوه وعظمه ومجد الله تعالى عظمته هذا وفي الكشاف فعال خبر مبتدأ محذوف
قيل إنما جعله خبر مبتدأ محذوف ولم يجعله خبرا لكونه هو أو وهو

الرحيم الحج

لانه

العفور كالاخبار السابقة ليكون مرفوعا على المدح نحو مجده وقيل انها فصله
كالفذلكة للاوصاف السابقة والخاتمة لها ونكر للفرق من التعظيم سيلاتي عنده
الاوهام العقول ويقرب منه ما قيل اتمام الجملة على انه خبر السابق كقوي قوله
هو الغفور الا ان قوله تعالى فعال لما يريد تحقيق للصفتين البطش بالاعداء والعفو
والود للاولياء ولو حمل عليه لفاتت هذه النكتة وفي التنكير من التعجب ما لا يخفى
وهنا بحث وهو انه لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هذا يدل على ان جميع
الافعال سواء كانت لله تعالى ولغيره مندرجة تحت ارادته تعالى وعموم ما يريد
يدل على انه فاعل لكل ما هو مراد له فيكون فاعلا لجميع افعال العباد لكن
ولا يخفى ان صيغة الفعال وكلمة ما الداخلة على العموم يقتضي ان لا فاعل الا هو
وبهذا ينتظم الاية فان اكثر ما اراده الله تعالى عند المعتزلة لم يكن تعالى الله عن ذلك
فانهم يقولون انه تعالى يريد من العباد الايمان والطاعة ولا يريد الكفر والمعصية
ولا شك ان الثاني اكثر وقوعا وايضا ان العباد اذا كانوا فاعلين لافعالهم
مستقلين في خلقهم لكانت الكثرة فيها وعن الامام احتج اصحابنا بهذه الاية
في مسئلة خلق الاعمال قالوا الاخلاق فعل انه يريد الايمان وحب ان يكون
فاعلا للكفر ضرورة انه قايل بالرزق وحق الفعال يفعل ما يشاء على ما يراه
لا اعتراض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل من يشاء الجنة لا يمنعه مانع ويدخل
اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر واعلم ان جميع الاوصاف المذكورة ههنا لله تعالى
في تثبيت المومنين وتسليتهم وفي تحذير الكافرين وتخويفهم كما لا يخفى على المتأمل
ابدلهما من الجنود بدل الكل ويجوز ان يكون عطف بيان لها قوله لان
المراد بفرعون هو وقومه كما في قوله من فرعون وملائهم وكان ثمود
قبيلة اه من جنود وصدر بهم ولذا لم يتعرضوا له بالتوجيه المذكور في فرعون
تدبر قوله والمعنى قد عرفت تكذيبهم فيه اياها الى ان كلمة بل هنا بمعنى قد وفيه

[illegible]

قالوا

قالوا ان بل بمعنى قد في الاصل والمعنى قد اشتمل على التقرير والتوبيخ
وقد صرح به في سورة النساء حاق بهم قوله لا يرعوون عن اي
لا يرجعون ولا يرعوون عن تكذيب بل هم راسخون ومستمرون فيه على
ما كانوا والمراد منه الذين هم كفار قريش قوله ومعنى الاضراب اي في
قوله بل الذين كفروا في تكذيب ان امرهم اعجب من امرهم وكذا تنبيه على
ان بل في الاية شروع في الاهم وان الاستفهام في هل اتاك للتعجب وقوله كذبوا
اشد من تكذيبهم افاده تنكير تكذيب واعلم ان بل في عطف الجملة على ما قبلها
قد يكون لتدارك الغلط سواء اشتركت الجملتان في جزء اولا نحو ضربت زيدا
بل اكرمته ونحو خرج زيد بل دخل خالد وقد يكون للانتقال من كلام
الى آخر اهم من الاول بلا قصد ان الاول في حكم المسكوت عنه كقوله بل هم
في شك منها بل هم منها عمون والاولى ان لا يكون بعد الاهمام اهمال فيحمل
في الاية الكريمة للانتقال من كلام الى آخر اهم من الاول بلا قصد الى جعل الاول
في حكم المسكوت عنه وانه لا بطال الاضراب لان معناه جعل الحكم كالمسكوت عنه
بالنسبة الى ما عطف عليه فيكون من الاخبار عن قيام زيد او عن عدم قيامه في
قولك قام زيد او ما قام زيد بل عمرو ويحتمل ان يكون صحيحا وان لا يكون
وعلم منه ان الحكم في بل بالنسبة للاضراب على الاطلاق ليس بطا على ما ذكره
قوله والله من ورائهم محيط عالم باحوالهم قادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة
بهم من ورائهم مثل بانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومنه
يستفاد ان قوله من ورائهم متعلق بمحيط لكن قدم لمحافظة رؤوس الاي
اولا وآخرا لا يخفى على المتأمل قوله كالقول المتقدم لا يفوتونه كما لا
وينبغي ان تعلم ان كلمة الواو حالية وهذا اولى من ان يجعل عاطفة قاله بل هو

قوله

قران مجيد يعني بل ان الاخبار عن مجد القرآن اهم من الاخبار عن تكذيبهم
وهذا اولى مما قيل ان بل هنا للترقي من التكذيب المذكور الى ما هو اعظم منه وهو
بهذا القرآن المجيد المثبت في اللوح المحفوظ قوله اي قران رب مجيد ولو جعلت الاضافة بيانية
اي قران هو مجيد لرجع المعنى الى ما هو في القراءة الاولى وقيل في وجه الاضافة ان من قرأ
القرآن صار مجيدا قوله صفة للقرآن او خبر بعد خبر للمبتدا المذكور ويجوز ان يتعلق بلوح
محفوظ لكنه قدم لنكتة مشهورة بخلاف القراءة الاولى قوله وهو اي اللوح بالضم الهواء يعني
اللوح وما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح بالفتح ثم ان اللوح عند الحسن شيء يلوح للملائكة
فيقرؤنه وعند ابن عباس هو من درة بيضاء طوله بين السماء والارض وعرضه بين المشرق
والمغرب قلمه نور وكل شيء مسطور فيه مقابل هو على يمين العرش وقيل اعلاه معقود بالعرش
واسفله في حجر ملك كريم قوله بعدد كل جمعة وعرفة وفي الكشاف بعدد كل يوم جمعة وعرفة
ونقل كل يوم عنه ان عرفة منصرف هنا وان كان في الاصل علما غير منصرف لانه اراد
تنكير اليوم ولا طريق اليه الا تنكير المضاف اليه وفيه بحث لان الحصر ممنوع لانه لا يراد بيان
فافهم تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة الطارق بسم الله الرحمن الرحيم قوله
وايها سبع عشرة وقيل ست عشرة قوله البادي بالليل اي الظاهر فيه من البدو وهو الظهور
قوله وهو في الاصل الى ان اخذ الطارق من الطروق بمعنى الاتيان في الليل كان بمعنى الآتي
ليلا وان اخذ من الطرق بمعنى الضرب كان الطارق بمعنى الضارب ومنه سمي الطريق طريقا
لانه يضرب فيه الاقدام وسالكه طارق لانه يضربه باقدامه وكذا منه المطرقة ومنه علم
ان الطارق بمعنى الآتي ليلا ليس اصله الطارق بمعنى سالك الطريق هذا وقال [illegible]
ان الكوكب الطالع ليلا سمي الطارق تشبيها له بالآتي ليلا وهنا وجه آخر وهو انه انما سمي به
لانه يطرق الجني اي يصكه على الوجه الاول منقول وعلى الثاني من الطرد على ما عليه الطرق
في الاصل الضرب الا انه اخص لانه ضرب بوقع كطرق الحديد بالمطرقة ثم توسع فيه توسعهم
في الضرب وسمي [illegible] طرقا لطرقه الدواب بالرجل والطارق السالك الطريق

يصكه اي يضربه

الطروق نسبه اي [illegible]

لكن

61

لكن في التعارف خص بالآتي ليلا وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره
بالليل او عن الحوادث التي تأتي بالليل بالطوارق وهذا مناسب لما ذكره
النجم فيقدر المضيء من الاضاءة كانه اي المضيء يثقب الظلام بضوئه فينفذ
فيه او يثقب الافلاك وقيل او الجني قوله جنس المراد الجنس اي النجوم او جنس
الشهب التي يرجم بها وقيل المراد كل النجوم وقيل الثريا او المعهود بالثاقب
وهو زحل لانه ينفذ الى ما تحتها اذا كان رجل منهم معروفا به عبر عنه اي النجم المقسم به
اولا بوصف عام وهو الطارق قوله قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بما يخصه
وهو النجم الثاقب كل هذا تفخيما لشانه واظهارا للحق فيه ومنه يعلم ان كلام النجم
لا يخلو عن قصور لانه لم يذكر الاستفهام ولا شك انه مما دخل كثيرا في التفخيم المذكور قوله
اي ان الشان كل نفس لما عليها قال اي ان كل نفس لعليها حافظ [illegible]
الى تقدير الشان قوله رقيب وهو الله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل ملك
يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسبه من خير وشر وروي عن النبي عليه السلام وكل بالمؤمن
مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى
نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين كذا في الكشاف وعلم منه ان الوجوه في الحافظ
ثلثة والراجح عنده هو الاول تامل والتنكير للتعظيم وفي الثاني للجنس وفي
الثالث للتنكير قوله على انها بمعنى الا قال الزجاج استعمل لما في موضع الا
في موضعين احدهما هذا والآخر في باب القسم وانت تعلم ان ما نحن فيه
من باب القسم فلا يظهر وجه الفرق بين الموضعين قوله مم خلق استفهام اي من
اي شيء خلق جوابه خلق من ماء دافق كما ذكر قوله لما ذكر ان كل نفس عليها
حاصله ان الاخبار عن ان كل نفس عليها حافظ يحفظ عملها ويحصي عليها ما
يكتسبه وقد علم من ذلك ان الحفظ لاجل الجزاء لانه يشتمل عليها للوعد والوعيد
سيقيمه لينظر في اول امره ليعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه

فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يعلي على حافظه الا ما يسر في عاقبته وليست
الفاء فصيحة لاستقامة المعنى من غير تقدير شرط كما تبين كذا قيل هذا وقد
يقال لما بين كل نفس عليها حافظ فعلم انه ينبغي ان يعمل ما لا ينكر عليه حافظ
فاتى بما هو احسن الاعمال واصلها من تحصيل الاعتقاد بالبعث وقيل
وجهه انه اذا نظر انه خلق من ماء دافق علم ان مادته في غاية الضعف فلولا
ان يكون له حافظ لما امكن له السلامة يخرج من بين الخ صفة ماء بعد صفة ويجوز
ان يكون استينافا قوله بمعنى ذي دفق يعني ان معنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو
مصدر دُفق على صيغة المجهول كاللابن والتامر او الاسناد مجازي والدفق حقيقة
لصاحبه وعن بعض اهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق الماء بنفسه اي
انصب وقيل دافق اي مدفوق نحو سر كاتم اي مكتوم قوله المراد الممتزج من الماءين
يعني انه لم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدائه في خلقه قوله
وترائب المرأة الترائب جمع تريبة وهو موضع القلادة من الصدر والنحر
كذا في الكواشي قوله ولو صح ان النطفة يتولد الخ اشارة الى الفاضل الامام طعن
الملاحدة خذلهم الله وقالوا ان المني انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل
من جميع اجزاء البدن فياخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته مستعدا لان يتولد منه ذلك
الاعضاء فان كان المراد ان معظم اجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف لان معظمه
انما يتولد من الدماغ وان كان ان مستقر المني هناك فضعيف ايضا لان مستقره
اوعية المني وهي عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين واجاب انه لا
شك ان معظم الاعضاء معونة الدماغ وخليفته النخاع في الصلب شعب نازلة
الى مقدم البدن وهي الترائب على ان كلامهم محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله
المجيد لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قوله والضمير يعني ان الخالق
لقادر على رجع الانسان على اعادته خصوصا لقادر لانه القدرة هذا عني

على ان

على ان الضمير في رجعه راجع الى الانسان وان تقدم على رجعه على القادر
للتقوي والاهتمام وان هذا الحكم تصريح بما علم ضمنا كمنفصل عما سبق لكمال
الاتصال ومنهم من جعل الضمير في رجعه للماء وفسر برجعه الى المخرج من الصلب
والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى فيجوز ان يكون بين حالا
من ماء او من الضمير الراجع اليه وان يكون صفة له اي ان قوله يخرج من بين الصلب
والترائب كذلك ان يكون استينافا لكلام الوصفي المشهور بين هذا وقيل في محل
النعت مجهولا او لا كالا في قبل الذكر ثانيا الدلالة على ان الكلام من باب كاء
الغاني اي ما اقول اني المبدئ والمعيد بل اقول ان ذلك الذي تعرف
عندكم واشتهر وتعرفون انه الخالق هو القادر على الاعادة قوله يدل عليه قال
الامام الضمير فانه للخالق مع انه لم يتقدم ذكره لانه قد تقرر في بداية العقول ان القادر
على هذه التصرفات هو الله تعالى فلذلك كان كالمذكور قوله يتوقف وتميز هذا اشارة
الى ان بلاءها كونها وتفحصها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث والسرائر
جمع سريرة وهي ضمائر القلوب من العقائد والنيات وكلام الامام مبني عليه وقيل
السرائر هي الفرائض الاعمال كصيام وصلوة ووضوء وغسل جنابة لانه لو
شاء لقال فعلته وما فعل قوله وهذا الظرف لرجعه لا لقادر لان قدرته لا يختص بزمان
دون زمان اعترض عليه بلزوم الفصل واجيب بتوسعهم في الظروف وقيل ان
هذا الفصل غير مانع لانه في تقدير التاخير لكن قدم مراعاة للفواصل هذا وقيل
انه منصوب بمضمر دل عليه قوله لقادر قوة وعن ابي البقاء انه منع ان يكون
منصوبا برجعه للعلة المذكورة واجاز ان يكون منصوبا بقادر والكلام هنا
وجاء الا في الاخر لا ينبغي نعمه ويجوز ان يكون منصوبا بمضمر نحو اذكر وكان كيت وكيت
فما للانسان كلمة الفاء فصيحة او للتفريع على ما سبق بان يقال ان تعرف السرائر
وانكشفت فما يستلزم ان لا يكون للانسان في ذلك اليوم قوة ولا ناصر

لانه لو كان الرجع منهما على من يولد قوله وقيل الرجع المطر المراد بالرجع وبالارض
المطر وبالصدع الشق بالنبات والمعنى انه تعالى اقسم بالسماء ذات المطر
ذات النبات ايماء الى المنة عليهم واقسم بها والمراد خالقهما وكذا الكلام
في سائر المواضع التي اقسم الله سبحانه وتعالى بالامور الممكنة وقيل السحاب يرجع
بالمطر وقيل الرجع الى ما كان منه اي الدخان وقيل النجوم الراجعة والطالعة
وكأنه سمي اولا تسمية بمصدر رجع وآب ومنه المرجع والمآب لان الله تعالى
يرجعه وقتا فوقتا وقيل للتفاؤل فسموه رجعا ليرجع ويؤوب اولا
قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار قيل لعل هذا الوجه غير مرضي لان هذا
القول باطل ولذا لم يذكره الامام ولا المفسرون ما يتصدع عنه الارض اي
يشق وينفصل وينشق قوله ان القرآن ان حمل القرآن على المعهود المذكور في
هذه السورة كان المعنى ان ما اخبركم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى السرائر
قول حق وكلام فصل فلا يرد عليه ما نقل عن الامام هذا اولى لان عود الضمير الى
المذكور السابق احرى وان حمل على الاستغراق او على الجنس فيتناول ذلك تناولا
اوليا فيثبت بطريق الاستدلال الحكم المذكور وهو ان ما اخبركم به من قدرتي
على احيائكم قول حق وكلام فصل وهو آكد من الاول فهذا اولى عندي لانه ابلغ
منه وانت تعلم ان هذا الكلام له نظائر قوله فصل بين الحق والباطل كما قيل
له فرقان وقد يقال انه اشارة الى انه معجز لان الفصل المبرد يقال للكلام الذي
فصل بمعنى مفصول يقول فصل البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من خوطب به
ولا يلتبس عليه وعلى كلا الوجهين الجملة جواب القسم قوله انهم يعني اهل مكة اي مشركيهم
ولعله استئناف بمعنى انه كلام مبتدأ عن مطلوب الارتباط بما قبله قوله واكيد
يكيدون في اعتدائي اسمي جزاء الكيد كيدا كما سمي جزاء الاعتداء والسيئة
اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة فلا يجوز اطلاق هذا الوصف

على الله تعالى

وهو قاطعهم

على الله تعالى الا على وجه المزاوجة كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم في ذكر الله
الله يستهزئ بهم وهذا الى الخاتمة من قبيل صنعة المشاكلة قوله فمهل الكافرين
هذا متفرع ومترتب على ما سبق لان مقابلة الله تعالى اياهم وانتقامه منهم
يقتضي ان لا يشتغل الرسول عليه السلام بالانتقام منهم بل ينبغي تفويض
الامر الى الله سيما في هذا المقام لتعهده بذلك الامر ثم اعلم ان سياق الكلام
كان يقتضي ان يقال امهلهم بالضمير لا بالمظهر كما في قوله انهم يكيدون وكان
المظهر مناسبا مقامه ووجهه هو التنبيه على اشتهارهم بحيث لا يحتاج الى تصريحهم
او على انهم ليسوا مستحقين بالاظهار وذكر المظهر ثانيا للاشعار بانهم
مع اتصافهم بوصف يلائم الاشتغال بالانتقام منهم والاستعجال باهلاكهم
لا يشتغل بالانتقام منهم ولا يستعجل باهلاكهم فانهم قوله امهلهم يسيرا
جعله صفة مصدر محذوف ونقل عن الامام انه قال واعلم ان رويدا اسم
للامر كقولك رويد زيدا اي خله ودعه وارفق ولا يتصرف فيه لانه غير متمكن
ويكون بمنزلة سائر المصادر يقول رويد زيد كما يقول ضرب زيد ويكون نعتا
منصوبا اي امهالا يسيرا ويكون حالا اي امهلهم غير مستعجل قال ابو عبيدة
تكبيره رود وقيل لا يتكلم بها الا مصغرا وهي من رادت الريح ترود رودا
اي تحركت حركة ضعيفة قوله والتكرير وتغيير البنية اي كرر الامر بالامهال
وخالف بين اللفظين حيث قال اولا مهل وثانيا امهل لزيادة التسكين
منه والتصبير اما تأثير التكرير فظاهر واما الخلاف بين اللفظين فلان المعنى
اذا تصور بصورتين يرى كانه معنيان مختلفان مقصودان ولفظ
رويدا يفيد مزيد فضل في ذلك التسكين والتصبير فانه تمت السورة والحمد لله
على الاتمام سورة الاعلى بسم الله الرحمن الرحيم قوله نزه اسمه وتعالى

سورة الاعلى

الحدث

نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وقيل قل سبحان ربي الاعلى ويدل عليه
الذي اورده المص وعلى هذا ايضا الاسم مقحم لانه لا يقال في الركوع ولا في
السجود وقيل عظم ربك والاسم ايضا صلة وقيل ارفع صوتك بذكره وقيل
صل له بامره وقيل لا تذكره افتتاحا وقيل دم بذكرك في الصلاة بالقلب
وقيل نزه اسمه عن الكذب اذا اقسمت به وقيل في الكلام حذف اي نزه
مسمى ربك ولا يظهر وجهه قوله عن الالحاد فيه وهو الميل عن الصواب والحق
الحد في دين الله اي حاد عنه وعدل والحد الرجل اي ظلم واصله من قوله تعالى
ومن يرد فيه بالحاد بظلم والالحاد فيه بائدة والزائغة هي المائلة عن الحق مثل ان
يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة قيل هذا رد
لمن زعم ان المراد بالاسم هو المسمى بناء على ان الاسم عين المسمى ويجوز ان يكون
الاعلى صفة للرب فيكون مجرورا او الاسم فيكون منصوبا على الاختصاص
وعلى المدح ويجوز ان يكون مرفوعا على المدح قوله وقرئ الذي خلق لعله يعني الاعلى
علي رضي الله عنه على ما في الكشاف قوله فسوى خلقه قيل لما عطف سوى على
الصلة فسره على وجه يدعو الى التنزيه قوله جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
هذا باعتبار الاغلب ولو قال لكل نوع او جنس لكان اظهر قوله اي قدر اجناس
الاشياء وقيل قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به وقيل
قدر الذنوب فهداهم الى التوبة قوله وانواعها وافرادها ولو قال وارزاقها لكان
اولى قوله فوجهه الى افعاله طبعا واختيارا او قسرا اي عرفه وجه الانتفاع به وقيل
او فهدى واضل ولكن حذفه اكتفاء بقوله تضل من تشاء وتهدي من تشاء
واعلم ان قوله تعالى والذي قدر عطف على قوله الذي خلق وهذا هو الظاهر وكذا الحال
في قوله والذي اخرج وانه صفة اخرى للرب ان كان الاعلى صفة له وصفة للمضاف
او المدح او التعظيم او تعليل الامر بالتسبيح ويجوز ان يكون عطف بيان له

التفاوت وتكرار الموصول لافادة كماله والامتياز بين الصفات

او بدلا منه

او بدلا منه ويمكن ان يكون مرفوعا او منصوبا على المدح او الاختصاص قوله انبت
ما يرعاه الدواب فالمرعى بمعنى الكلأ واخراجه انباته ولذا فسر به وقد تقدم
الكلام في قوله اخرج منها ماءها ومرعاها فتذكر قوله يابسا اسود الغثاء
الدرين وهو ما يلي من الحشيش وقيل ما ينقع به الاهل وفسر المص باليابس
لكنه اعم منه قوله الاحوى الاسود فان جعل صفة لغثاء فحوته من قدمه وبلاه
وان جعل حالا من المرعى فحوته من شدة الخضرة والري وقيل اذا
جعل حالا من المرعى لزم الفصل بين الحال وصاحبها بالاجنبي واجيب عنه
بان الفصل بالمعطوف بين الحال وصاحبها لا يعد فصلا بالاجنبي
لا سيما وهو حال تعاقب الاول من غير تراخ وسر التقديم المتابعة
في استعقابه حالة الجفاف حالة الرعي كأنه قيل ان تم رعيه كصير غثاء
مع رعاية الفواصل وقد يقال هنا وان كان بعدا في المعط لكنه قريب
بحسب المعنى اذ ليس كل غثاء اسود بل بعضه ابيض قوله سنقرئك فيه العدة
من العصمة الى المتكلم لمادة التنبيه لان الاقراء يستعقب عدم النسيان
والنسيان المعقد بمشيئة الله تعالى ايضا كذلك قوله الا اراد لفظ الله الا ما شاء
الله وكذا الحال في قوله ونيسرك قوله على لسان جبريل لعله اخذ من الكشاف
حيث قال بشره الله تعالى باعطاء آية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل
ما يقرأ عليه من الوحي والمعنى الثاني احد من حيث اللفظ ويمكن ان
يكون مراد المص ما ذكره الكشاف في بيان حاصل المعنى لا بيان اللفظ قوله من قوة
الحفظ اي لا بطريق التعلم مع انك امي لا تقرأ ولا تكتب والامي بعيد من التلاوة
قريب من النسيان ليكون ذلك اي عدم النسيان المذكور آية اخرى
غير قراءة جبريل عليك او جعلك قاريا بالهلع بالهام الزيادة

قوله مع ان الاخبار به اى بقوله فلا تنسى بما يستقبل توجيه لكونه [illegible] الا ما شاء قوله
وقيل نهى والالف مزيدة للفاصلة فيكون على هذا ينبغي ان تكتب فلا تنس
بالالف واجيب بانهم قالوا خطان لا يقاسان خط العروض وخط القرآن
ويمكن ان يكون هذا لمراعاة الفواصل صورة وكتابة ثم اعلم انه كان خبرا
بان يكون نفيا محمولا على ظاهره فالنسيان اما بانساء الله او بالطبع
الانساني فعلى الاول لا بد من نسخ تلاوته وعلى الثاني لا يجوز ان ينسى النبي
صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن بالكلية مع كونهما ثابتا غير منسوخ فذكروا
لقوله فلا تنسى الا ما شاء الله وجوها احدها ان معناه لم ينسها
لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان والثاني ان نسيانه كان نسيانا
قليلا مع انه لا يبقى منسيا وانت تعلم ان القلة ليس لها مدخل في نفي المحذور
المذكور بل النافع فيه انه لا يبقى منسيا وانه ليس على كونه في الكلام ومع ذلك
فهذا الوجه يرجع الى الاول والثالث ان المراد نفي النسيان راسا وقيل ان
النسيان وقع منه صلى الله عليه وسلم كالقلة لم فلا يقتضيه راسا الكلم الا
ان يقيد بالدوام بمعنى ان لا يذكر بعد النسيان [illegible] وان كان نهيا او في
معناه والنهي عن النسيان لما كان نهيا عن الفعل لا يطيق حمل على
النهي عن الاغفال وترك التذكار لانه النهي في الصورة عن النسيان وفي الحقيقة
عن سببه لان النسيان ليس باختياري وقالوا معناه فلا تغفل في قراءته
وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة قوله
وقيل المراد به القلة والندرة يعني ان الاستثناء بمعنى القلة ولهذا جاز في
العرف كانه قيل الا ما لا تعلمه لان المشية مجهولة وهو بما حاله اقل من الغاية
بعد الاستثناء كذا قيل قوله فان القلة يستعمل للنفي يعني قوله الا ما شاء الله

يراد به

يراد به القلة واستعمل هنا واريد به العدم لكون استعمال القلة بمعنى العدم وفيه
اشكال وهو كون المستثنى من المنفي منفيا ويمكن ان يحمل من قبيل تاكيد
[illegible] البيت فلا تنسى الانسيانا معدوما وهو النسيان
المتعلق بمشية الله انه كان عدم النسيان قطعيا كذا قيل ثم اعلم
ان الظاهر ان الفاء في قوله فلا تنسى للعطف كما في ما سبق ويجوز ان يكون
هنا للتفريع تدبر قوله ما ظهر من احوالكم وما بطن هذا الوجه يبعد الخطاب
في سبح اسم ربك الاعلى [illegible] لكل احد [illegible] ان يكون الخطاب للرسول وللمؤمنين
لكن التفسير [illegible] الرسول يكون [illegible] ثم الاشعار بكمال
الارتباط بينهم كانهم صاروا كالنفس الواحدة ويمكن ان يكون هذا والتعبير
عن جميعهم بصيغة المفرد فيه لا يكون من قبيل الاكتفاء في الكلام بالاصل
ويجوز ان يكون الخطاب عاما وقيل ان هذا الكلام على هذا الوجه تاكيد
لمضمون الكلام السابق لمضمون السورة واللاحق الى ختمها لانها تحتوية
على الامور الدنيوية والاخروية ولو لكم عم المعنى فيكون الخطاب في سبح
اسم ربك لكل احد ويقويه ما روينا من حديث عقبة بن عامر لما نزلت
سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم قوله [illegible] جبرئيل [illegible]
هذا يبعد ان الخطاب مخصوص برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اظهر واوفق
لتاليف النظم وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجل بالقراءة اذا لقنه
جبرئيل عليه السلام فقيل له لا تعجل وسبح اسم ربك الاعلى الذي له ملك القدرة
الكاملة من الخلق والتسوية والتقدير والهداية [illegible] ذلك العلم [illegible]
بالجهر واخفى ثم عقب ذلك بالتيسير ما كان [illegible]
ونيسرك [illegible] الى القادر على كل مقدور والعالم بكل معلوم [illegible]

وقيل

لها

الوصفين اعني العلم بين المعطوفين لكونه اقرب من الآخر الى المقسم ثم
اتبع ذلك ما هو مبعوث به ومرسل الى الخلق لاجله من قوله فذكر الآية اما
وجه آخر وهو ان يحمل الكلام على ظاهره بان يقال ان الله تعالى عالم
السر والخفيات يعلم جميع الاشياء الظاهرة والخفية وامثال ذلك وقعت
في مواضع كثيرة من الكلام وهذا واقع موقع التعليل لما سبق سواء كان الخطاب
مختصا بالرسول او لا ثم اعلم ان قوله انه يعلم الجهر على وجه قوله
الا ما شاء الله من ذكره سبحانه وتعالى على وجه الغيبة وفي امثال التكلم
الى الغيبة بالحكي في قوله ونيسرك ولكل منها نكتة دقيقة يتنبه لها الماهر الحاذق
قوله للطريقة اليسرى في حفظ الوحي لعله اول ما قالوه للطريقة التي هي
اسهل وايسر في حفظ القرآن هذا واعلم ان اليسرى على ما ذكره
المص [illegible] تانيث الايسر بمعنى اليسر ويجوز ان يكون مصدرا كالرجعى والبشرى
بمعنى الرجوع والبشارة ثم انه حذف في الكلام صلة اليسرى للتعميم
ولتذهب الذهن كل مذهب صالح للمقام مع رعاية الفاصلة وهذا اولى
من تقدير الامور الخاصة على ما ذكره ولهذه النكتة اي التضمين التيسير هنا
بمعنى الاعداد والتوفيق قال نيسرك لا نيسر لك ويستفاد منه ان التيسير
باعتبار اصل معناه لا يتعدى بنفسه بل في الكلام باعتبار تضمينه معنى الاعداد
والتوفيق عدي بنفسه تأمل فيه واما يعلم اعتراض ما جعله اعتراضا
وان كان في المعنى تعليلا نظرا الى الظاهر لانه كلام مستقل كذا قيل
وانت تعلم ان كونه كذلك لا ينافي استئناف تعليل وقيل ان قوله انه يعلم
الجهر على الوجه الاول تعليل للاستثناء وعلى الوجه الثاني تعليل لقوله فلا تنسى
اي للنهي عن التعجيل قوله فذكر عظ بالقرآن او مطلق والاول ملائم

مطلب لهذه النكتة اي التضمين

لسياق

66

لسياق الكلام قوله بعد ما استقبل المقام ونبه الكلام الى الامر الذي هو الاعتبار
بان النفع في فذكر للعطف قوله ان نفعت الذكرى جوابه من مدلول قوله
فذكر لان الجزاء لا يتقدم على الشرط وفي الحواشي لا دفع هنا لان جواب
الشرط سيذكر من يخشى وانت تعلم ان الوجوه التي ذكرها الشيخ انما هي على
الوجه الاول ولا يخفى ان جعل جواب الشرط سيذكر من يخشى يعين لان قوله
يتجنبها عطف على سيذكر ولا يصح ان يكون هذا في حيز الشرط المذكور
وجعل ويتجنبها معطوفا على الجملة الشرطية تعسف لا يقبله الطبع السليم
وقيل النظم يساعد قول الواحدي وجمع السنة قالا عظ يا محمد اهل مكة
ان نفع التذكير او لم ينفع تاكيدا للحجة والكتاب للمنوه ولم يذكر الحالة
الثانية كقوله تقيكم الحر اي والبرد فقوله سيذكر من يخشى ويتجنبها
الاشقى الذي يصلى النار الكبرى قوله سيذكر يعني سيتعظ بالتذكير ومنهم الاقبال
والقبول او الاجتناب والاباء وللاول الفلاح والنجاح قد افلح من تزكى
وللآخر الصلي بالنار الكبرى فعلى هذا فذكر امر بالتذكير على الاطلاق كقوله
فذكر انما انت مذكر غير مشروط بالنفع قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير
التذكير اي حاصل الوجه الثاني انه في الظاهر اشتراط وفي المعنى ذم للمكذبين
وحاصل الوجه الثالث ان الاشتراط المذكور للاعتبار بان وجوب التذكير
انما هو اذا امكن نفعه لقوله واعرض عمن تولى وكذا قيل المراد بالامر اعم من
ان يكون على سبيل الوجوب او الندب او الاستحباب فلا ينافي التقييد
المذكور هنا لان الوجوب مقيد به لا غير فافهم قوله وهو يتناول العارف
والمتردد واعلم ان الناس في امر المعاد على ثلثة اقسام منهم من قطع بحصوله ومنهم
من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالاثبات ومنهم من [illegible]

اي التذكر واقع الا [illegible] مقام [illegible]

والقسمان الاولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث ولذلك قال سيذكر
ويتجنبها الاشقى ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنيا على حصول الخشية في
القلب وصفات القلوب مما لا اطلاع لاحد عليها وجب على الرسول
تعميم الدعوة تحصيلا للمقصود لان المقصود تذكر من ينتفع بالتذكر ولا سبيل اليه
الا بتعميم التذكير هذا ملخص كلام الامام كذا قيل وهذا موافق لقول
الواحدي كون مجيء السين في تعميم التذكير ثم اعلم ان قوله سيذكر من يخشى الاية للتفصيل
والبيان لقوله فذكر ولذا فصله عنه ويمكن ان يكون استينافا لحال الفريقين
المشهورين قوله ويتجنبها الاشقى ويتباعد عنها ولا يسمعها قوله الاشقى
الكافر يعني ان اللام في الاشقى لجنس الاشقى وهو الكافر اذ هو ادخل في
الكفر وعلى الاول المفضل عليه جنس العاصي وعلى الثاني المفضل عليه
سائر الكفرة ويؤيد الثاني ما قيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن
ربيعة والحكم المذكور وهو التجنب وما يترتب عليه عام لمطلق الكفر لكن خص فرد
معين منهم لزيادة زجره وتهويله لجراءته وهو توغله في الكفر
وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير وصفه بقوله الذي
يصلى النار الكبرى للبيان والكشف او للذم والاول للتخصيص قوله
نار جهنم هذا ملائم للوجه الاول في الاشقى والثاني للثاني والمعنى على
الاول الكبرى من النيران مطلقا وعلى الثاني الكبرى لان جهنم والسفلى
من اطباق النار قوله ثم لا يموت قيل يمكن ان يكون كناية عن سوء حال
الاشقى في جهنم الكشاف وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت
افظع من الصلى فهو متراخ عنه في مراتب الشدة قوله يطهر من الكفر والمعصية
قال الامام هذا التفسير متعين لان مراتب اعمال المكلف ثلث اولها

ازالة

67

ازالة العقائد الفاسدة عن القلب والية الاشارة بقوله قد افلح من تزكى
وثانيها استحضار معرفة الله وصفاته بقلبه وذاته واسمائه وهو
المراد من قوله وذكر اسم ربه وثالثها الاشتغال بخدمة الله عز وجل واليه
الاشارة بقوله فصلى لان من تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل
لا بد ان يظهر في جوارحه نور ذلك كالخضوع والخشوع وانت خبير بما فيه
من الضعف لان كل واحدة من الجمل ليست بكافية في افادة ذلك وكونه ملائما
فلا يدل على تعين هذا التفسير قوله او يكثر من التقوى من الزكاء وهو
النماء قال الزجاج ومعنى تزكى تكثر بتقوى الله ومعنى الزاكي النامي
الكثير قوله وادى الزكوة يعني هذا تزكى تفعل من الزكوة كتصدق
من الصدقة وقال الامام فيه اشكال لان عادة الله تقديم الصلوة
على الزكوة فالاول تزكى من الشرك والمعاصي ثم صلى وتطهر للصلوة
ثم صلى وقيل هذا الاشكال هين لان تغيير العادة ليس بمحال ولعل
العادة انما استمرت بتقديمها اذا صرح باسمها وههنا لم يصرح به
تأمل فيه قوله ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة الافتتاح التحريم
وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة
لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم
من اسمائه عز وجل وانت تعلم ان الذكر لا يتعين حمله على تكبيرة الافتتاح
بل هي احد الوجوه المحتملة فيه ولا يتمشى الاستدلال بالاحتمال ومع ذلك
انه غير ظاهر في افادته الوجوب وايضا ان العطف يقتضي مطلق
المغايرة وهي متحققة بين الجزء والكل قوله وقيل تزكى تصدق للفطر
وذكر اسم ربه قال الامام وفيه ايضا اشكال لان السورة مكية بالاجماع

ازالة العقائد

ولم يكن حينئذ عيد ولا فطر واجيب عنه بانه لا يمتنع ان يكون الله تعالى
قد اخبر عما سيكون ويؤيد هذا الوجه ما روي عن علي رضي الله عنه
انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها
لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة
العيد وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد وعن
قوله على الالتفات من الغيبة وبجنبها الاشقى لزيادة ترغيبهم وترهيبهم وكذا
الحال في الانتقال من الواحد الى الجمع لانه كالانتقال من الاجمال الى التفصيل
وعلى هذا الوجه بل تؤثرون معطوف على ما سبق من الجمل وبل للانتقال
الى ما هو اهم منها قوله او على اضمار قل في لا التفات لان الغيبة كما انه
والخطاب في كلام الرسول عليه السلام جميعه فعلى هذا المعطوف عليه لعلكم
بل تؤثرون مقدر مثل ان يقال قل لا تفعلون بل تؤثرون قوله او للكل فان
السعي للدنيا اكثر في الجملة اي في جملة الناس اي في المجموع من حيث المجموع
اذ كل يميل الى الدنيا اما رغبة فيها او ادخار الثواب الآخرة فاعلم
واعلم ان الحال هنا في الالتفات او اضمار قل كما سبق في الاولى كما ذكر
بعد الوجهين قوله وقرأ ابو عمرو بالياء اي بالتحتانية والباقون بالتاء الفوقانية
وعلى الغيبة الضمير لاهل مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتذكير نفع او لم ينفع ثم اخبر عنه
بل تؤثرون الحيوة الدنيا لانه من جبلتكم كما قال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة فلا تعلمون ما تعلمون به كذا قيل قوله عن الغوائل اي المهلكات قوله الى ما سبق
من قد افلح او الى ما في السورة كلها او الى ما سبق من قوله سيذكر من يخشى الى
هنا قوله فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة اي لا يظهر الاحتياج
اليه لو كان الكلام هكذا ان هذا لفي الصحف الاولى لانه يفيد ان هذا بعض
تمام ما في الصحف الاولى فيفيد الاحتياج الى ما ذكر واما الآية

[illegible]

الكريم

68

الكريم فلا يفيد الا انه واقع ثابت في الصحف الاولى لا انحصاره
فيه الى حصره في الصحف الاولى فمعنى الكتب وقيل هو دليل على جواز قراءة
القرآن بالفارسية في الصلوة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف
لم يكن فيها هذا النظم وهذه اللغة وفيه ان الآية دلت على ان معنى هذا الكلام
وارد في تلك الصحف وذلك لانه ليس فيها هذا النظم وهذه اللغة واما ان
المعتبر في الصلوة هو هذا النظم وهذه اللغة ام هو المعنى سواء كان بهذا اللفظ
وهذه اللغة او لا فلا وانه ظاهر قوله بدل من الصحف الاولى وعطف بيان له
تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة الغاشية بسم الله الرحمن الرحيم هل اي
الكشاف هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل
رأونا بسفح القاع ذي الاكم وفي المفصل وعند سيبويه ان هل بمعنى قد الا انهم تركوا
الالف قبلها لانها لا تقع الا في الاستفهام وفي الاقليد هل صيغة في
الاستفهام الا ترى انها في معنى قد لقوله هل زادنا فلو كان للاستفهام لزم
الجمع بين حرفي معنى واما اهل فهو هل وهو ممتنع وقال ابن الحاجب اصلها ان
يكون بمعنى قد فاقتضت نوع تعبير فكان لا يقال اعد زيدا ضربت لا يقال هل زيدا ضربت
وان بني الكلام على الاول كان هنا كرر استفهام البتة وهو معنى الالف المتروكة
لكن قصد به التقرير والتحقيق وان بني على القول الثاني
والثالث يمكن ان يكون هنا استفهام تقرير وان يكون بمعنى قد بلا استفهام اصلا
كما في البيت المذكور وهو الاصل على ما هو القول الثالث وكلاهما محتمل بعد
ولا جزم بواحد من هذين الوجهين ومنه يعلم حقيقة الحال في كلمة هل الواقعة في مواضع اخر
من الكلام قوله حديث الغاشية لعل حديث الغاشية هو ما سيأتي في هذه السورة
اذا الغاشية القيامة ادخل في التهديد وسبك واعلم ان الخطاب
في اتيك للرسول صلى الله عليه وسلم او عام قوله وجوه اي وجوه الكفار واما

سورة الغاشية

[illegible]

وجوه

خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما في المرء اثرا في الوجه كما في قوله
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وكذا في قوله وجوه يومئذ مسفرة قوله يومئذ يوم
اذ غشيت وقد تقدم الكلام في توجيه اعرابه فتذكر قوله وخوضها في النار خوض
خوض الابل في الوحل وهو بالتحريك الطين الرقيق وبالسكون لغة رديئة
وكالصعود والهبوط في تلال النار ووهادها فعلى هذا الوجه يكون الاوصاف
الثلثة كلها في الآخرة كما هو الظاهر من الكلام قوله او عملت ونصبت في اعمال
لا تنفعها يومئذ فعلى هذا الوجه العمل والنصب كلاهما في الدنيا واما الخشوع اى
الذلة ففي الآخرة وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي
في نصب منها في الآخرة وعلى هذا الوجه الخشوع في الآخرة وكذا النصب واما العمل
في الدنيا وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناها انها خشعت لله وعملت ونصبت
في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وعلى هذا يكون الكل في الدنيا
فان قيل اذا كان الكل في الدنيا او البعض فكيف يصح قوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة
ناصبة وهو يقتضي ان يكون الكل في الآخرة والقول بان يومئذ ظرف لبعض
تلك الاوصاف دون بعض منها ليس مما يقبله الطبع السليم ومع ذلك
لا يجري نفعا اذا كان الكل في الدنيا قيل هو من قبيل قوله اذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة اى ظهر يومئذ ذلك هذا او قيل في قوله عاملة ناصبة وجوها
ثلثة الاول مبني على العمل والنصب كلاهما في الآخرة والثاني ان العمل في الدنيا
والنصب في الآخرة والثالث ان العمل والنصب كلاهما في الدنيا وفي ان يكون
العمل والنصب في الدنيا اشكال لان خاشعة عاملة ناصبة اخبار لوجوه
وقد قيدت بقوله يومئذ فالوجه ان يجعل خبرا لمبتدأ محذوف فحكاية عن الحال

اى ضيقه

الماضي كقوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد كانه ذكر عن احوالهم في القيمة
على سبيل الحكاية عن الحال الماضية وقد يحتمل اما اولا فلان الوجوه المذكورة
فيه اربعة كما فصلناها واما ثانيا فلان الاشكال الذي اورد على ان يكون
العمل والنصب في الدنيا كذلك يتجه على ان يكون العمل في الدنيا والنصب في
الآخرة فلا وجه للتخصيص واما ثالثا فلان كون خاشعة عاملة ناصبة اخبارا
لوجوه ليس بمتعين بل هو احد الوجوه المذكورة فيه واما رابعا فلان جعلها
خبرا لمبتدأ المحذوف ليس مما يقتضيه السياق فافهم قوله وقرئ عاملة ناصبة
بالنصب على الشتم ويجوز ان يكون على الحالية قوله تصلى على صيغة المعلوم
من الثلاثي المجرد ويصلى على صيغة المجهول من باب الافعال والتفعيل قيل
القراءة الاخيرة شاذة قوله حامية من احمى بالشيء بمعنى الحرارة وهي كناية عن
المبالغة فاذكر المص معنا بعضه الى حمي مستعار من التمام اى هم وهي النار
بها او من تنكيرهما وكذا الى قوله فيما قيل نارا حامية نار قد حميت مدة طويلة
فلا يبرد يعدل حرها قوله بلغت اناها في الحر تعال ان الحميم انتهى حرها وتنتهي قوله
وبين حميم آن وانا يونيه اينا اى اخره وحبسه وابطأه والاسم منه الاناء
على وزن فعال بالفتح واعلم ان صار المصنف في هذه الصفات والاحوال راجعة
الى الوجوه والمراد اصحابها ليصح اسنادها اليها وتوكيد قوله ليس لهم فالاول بالنظر
الى جانب اللفظ والثاني الى جانب المعنى وكلاهما متعارف فيما بينهم قوله يبيس
الشبرق بكسر الشين المعجمة وسكون الباء الموحدة وبكسر الراء المهملة وبالقاف
هو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل
هو نبت يسمى اخضره شبرقا فاذا يبس سمي ضريعا لا تقربه دابة لخبثه وبين القولين
تفاوت فلا تغفل قوله وقيل شجرة نارية تشبه الضريع بانه يبيس الشبرق

اي

كالتعريف الدوري وكالتعريف بالمجهول قوله ولا طعام مجهولا هذا اشارة الى
دفع ما يتوهم من التدافع بين هذه الآية وبين قوله في الحاقة ليس لهم طعام الا من
غسلين وذلك بان هذا الاختلاف باعتبار الاقوام والاحوال اي انه لا طعام
في دفع ذلك الى ذكر القوم ولعله اشارة الى قوله في الواقعة ثم انكم ايها الضالون
المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ولا اشكال انه بحسب الظاهر لا يلائم شيئا من
المذكورين فيحتاج هذا ايضا الى الاعتبار المذكور وفي بعض الحواشي لو كان ليس لهم طعام
الا من غسلين وليس لهم طعام الا من ضريع تشبيها واشارة الى رداءة طعامهم
وكدورته وشناعته فلا احتياج الى ان يعتبر بالنسبة الى الاقوام قوله او المراد طعامهم
مما يتحاماه الابل ويتحاماه وهو اعم مما سبق ويتناول الزقوم والغسلين ايضا
ولا تدافع فافهم ثم اعلم ان قوله ليس لهم طعام صفة اخرى لوجوه ويمكن ان يكون
استئنافا وكذا الى ان قوله تصلى وتسقى هذا وينبغي ان تعلم ان قوله لا يسمن لا يتوهم
من جوع مجرور المحل على انه وصف ضريع اما لكونه وتخصيصه لو كان كلمة من في من
ضريع صلة كان ضريع مرفوع المحل فيجوز ان يكون لا يسمن ولا يغني من جوع مرفوع
المحل مع كونه صفة ضريع او مرفوعا على انه وصف طعام المقدر اذ التقدير ليس لهم طعام
الا طعام من ضريع اذ لو كان المذكور لم يدل على ان طعامهم منحصر في الضريع بل على
ان ما لا يسمن ولا يغني من طعامهم منحصر فيه فيفسد المعنى ويمكن ان يكون منصوبا على انه حال
من طعام او من ضريع ويمكن ان يكون استئنافا ايضا فتدبر قوله ذات بهجة يوشك ان
اي وصف وجوه المؤمنين ولم يعطف وجوه لان الكلام الاول عن حال وانعطف
ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم ومتنعمة بعيني يجوز ان يكون المراد النعمة
لازمها حتى يصير منه الآية مثل قوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم المعلى ويجوز
ان يراد حقيقتها فيكون بمعنى ناعمة متنعمة قال نعم عيشه اي طاب نعم كذا فعيل
قوله رضيت بعملها هذا الظاهر يدل على ان اللام بمعنى الباء وان الظرف

الظرف قدم على راسه للاهتمام او رعاية الفاصلة وقيل السعي
هو المفعول به واللام فيه لتقوية العمل اي وجوه يومئذ رضي سعيها
في الدنيا لما ترى ما ادى اليه من الكرامة والثواب قوله يا مخاطب او
صفة العاليه فالصفة تسمع اما انت او هي وانت تعلم ان اسناد
السماع الى الوجوه بناء على ان المراد بها اصحابها كما سبق قوله
وقرأ على بناء المفعول الخ من قرأ على بناء المفعول سواء كان بالياء
التحتانية او بالتاء رفع لاغية ومن قرأ على بناء المعلوم نصبها
وفي الكواشي القراءة لا تسمع فيها بالتاء والياء مجهولا فلهذا لاغية
~~ومن قرأ على بناء المعلوم نصبها وفي الكواشي~~ وبالتاء مفتوحة معلوما
خطابا للنبي عليه السلام او لارباب الوجوه انتهى كلامه قوله
لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فكل يريد ان لاغية يجوز ان يكون
مصدرا او صفة فاذا كان صفة فاما صفة كلمة اي كلمة ذات لغو واما
صفة لنفس وهو ظاهر قوله اعلم ان لا تسمع فيها صفة اخرى لجنة وكذا الحال
في الجملة الآتية وجعلها استئنافا لا يخلو عن بعد وكذا جعلها احوالا فافهم
فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم قال الامام وهو قول الزجاج وقال
لتعالى اهل الجنة منزه عن اللغو لانها منزل جيران الله وهكذا كل مجلس في
الدنيا شريف مكرم يكون منزها عن اللغو وقيل ومن ثم وصف علي بن ابي
طالب مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لا تنثى فلتاته اي لا افلات ولا
اثنان قوله والتنكير للتعظيم او للتكثير من قبيل العلة التي يراد بها الكثرة كما في
قوله علمت نفس وكذا في سائر التنكيرات الواقعة هنا فلا يظهر وجه التخصيص

لا يسمع فيها الا [illegible] ان
[illegible] اللغو [illegible]
[illegible] الا [illegible]
لا [illegible] النعيم [illegible]

بهذه النكتة من بلهها قوله رفعة السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه
جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل تجنو لهم من رفع التي اذا
جاءت ثم آن السرر جمع سرير قوله جمع كوب هو اناء لا عروة له وقيل هو
القدح قوله موضوعة بين ايديهم ليلتذوا بالنظر اليها ولا يحتاجوا الى ان
يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب او موضوعة عن
حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر قوله وسائد جمع وسادة قال الواحدي
نمارق وسائد على قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون وفتح الراء ونمرقة
بكسر النون قوله بعضها الى بعض يعني ان مصفوفة معناها بعضها الى جنب
بعض قوله وبسط فاخرة جمع زربية بفتح الزاء وكسرها قوله وقيل هي الطنافس
التي لها خمل رقيق وجماعة من اهل اللغة قالوا الزرابي النمارق والوسائد
كذا في الكواشي قوله مبسوطة او مفرقة في المجالس كلاهما في مشهور فيما بينهم قوله
ثم افلا ينظرون في ارتباط هذه الآية بما قبلها قولان آخران سوى ما ذكر الشيخ
الاول انهم قالوا لما نعت ارتفاع سرر الجنة قال الكفار كيف نصعد
عليها فنزل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت فانها مع عظم خلقها
طيعة منقادة لكل ما يراد منها وتحمل حملها وتنهض به ولم يذكر الفيل لانه لم
يكن بارض العرب فلم تعرفه ولم تحمل عليه عادة ولا تحلب دره ولا يؤمن
ضره والثاني انه لما انزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسرها النبي
عليه السلام بان ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل
في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابي كذا انكر الكفار
وكذا قالوا كيف نصعد على هذا السرير وكيف يكثر الاكواب هذه الكثرة

والطول

٧١

والطول النمارق هذا الطول ونبسط الزرابي ولم نشاهد ذلك [illegible]
فقال الله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت طويلة ثم تبرك حتى تركب وتحمل
عليها ثم تقوم فكذا يتطاطا للمؤمن كما يتطاطا الابل والى السماء كيف
رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها بكثرة هذه الكثرة فلا
يدخل في حساب الخلق فكذا الاكواب والى الجبال كيف نصبت نصبا
ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها وكذا النمارق والى الارض كيف سطحت
سطحا بتمهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تبسط من الافق الى الافق
وكذا الزرابي فعلى هذا الوجه هذه الجمل الاربع لرد انكارهم للامور الاربعة
المذكورة وهي السرر والاكواب والنمارق والزرابي على اللف والنشر
مع الترتيب قوله الى العشر فصاعدا هو بكسر العين الظماء في العشر ما بين
الوردين وهو ثمانية ايام لان الاول واليوم العاشر البراري جمع البرية
والمفاوز جمع المفازة كلاهما بمعنى والبدو هو البادية قوله
ولذلك ولاجل ان خلقها يتضمن امورا غريبة ومنافع كثيرة خصت
بالذكر لبيان الآيات ان وقع بيان الآيات المنبثة في الحيوان
التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا يعني ان المقصود منه
الاشارة الى الاستدلال من المركبات مطلقا لكن خص من بينها
الحيوانات لكونها اشرف واظهرها صنعا وخص من بينها
الابل لكونها اكثرها نفعا ولتضمنها امورا غريبة والمقصود من ذكر
السماء والجبال والارض هو الاشارة الى الاستدلال

من البسايط ويظهر به حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض
ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع اى نوع الحيوانات
والمركبات هذا وجه آخر لتخصيص الابل بالذكر من بين الحيوانات
والمركبات ولعله اشارة الى ما ذكره قد انتظم هذه الاشياء
نظر العرب فى اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها
نظرهم يعنى ان التخصيص بذكر هذه الاشياء لانها فى نظرهم والا جميع
الموجودات الممكنة كذلك ور وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة
يعنى ان من زعم ان الابل السحاب على الاستعارة لم يرد ان الابل
من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير
ذلك بل اراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز فعلى هذا المناسبة
ظاهرة ومن ثم قيل لم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا
الاطلبه المناسبه ويؤيده انه قرئ افلا ينظرون الى الابل اى
السحاب على افعل من بله بلا فوكه عد هو جمع العمود ور وقرئ الى الابل
هذه قراءة على رضى الله عنه على ما فى الكشاف والمعنى على الارتباط بهذه
الآية بما قبلها وحاصله ان قوله هل اتيك حديث الغاشية
تعريض لمن انكر البعث من العرب وانهم كانوا لم يسمعوا الحديث العاقبة
ولم يأتهم فكانه قيل انكروا الدليل النقلى اينكرون العقلى اليهم فلا
ينظرون الى الابل الآية وحته علم ان الفاء عاطفة والمعطوف
عليه مقدر والاستفهام فى الجميع كتوجه عليه ثم ان الخطاب بقوله

مطلب المراد بها السحاب

هل

72

هل اتيك حديث ان كان معه صلى الله عليه وسلم تكريما له وتسلية
له واخراجا لهم عن استحقاق الخطاب استهانة فلا التفات او ان
كان مع العرب ويؤيده حديث الصلى والضريع المناسب لذكر الابل
كما هو شوكة يرعاه الابل ما دام رطبا وان هذه الاشياء المذكورة منتظمة
على حسب عرفهم ورؤيتهم فى متخيلاتهم فى اوديتهم وبواديهم
اولا بقوله هل اتيك وفخم المستفهم عنه وعظم اذ المعنى تنبيه العذاب
الامر الخطير والخطب الجسيم واورد الخطاب لعله للتنبيه على
كمال اتفاقهم وشدة توافقهم فى الكفر والانكار كانهم صاروا كنفس
واحدة وخوفهم بالصلى فى النار وبالطعام الضريع ثم عدل عن الخطاب
الى الغيبة توبيخا لهم وتنبيها على غفلتهم الانكار فقال افلا ينظرون
الى الابل الآية ولعل ايراد الجمع فى تنبيه على تفرق احوالهم وعلى انهم فى مقام
التفرقة والاختلاط فهنا التفات والكلام صالح للالتفات وللاختيار
الجزم بواحد منها فانهم هذا قال الامام لعل الحكمة فى ذكر هذه الاشياء
المتباينة التنبيه على ان هذا الوجه والاستدلال غير مختص بنوع دون نوع
بل هو عام فى الكل لقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولو ذكر نوعا او نوعين
وراعى بينهما المناسبة لم يكن كذلك بل ذكر امورا متباعدة جدا ليشهدون
بان الاجرام العلوية والسفلية عظيمها وحقيرها صغيرها وكبيرها متساوية فى
الدلالة على الصانع القديم الحكيم وهذا وجه حسن مقبول وعليه الاعتماد
والعلم عند الله افلا ينظرون فالاستفهام للتعجب والمقصود التوبيخ
على عدم النظر والترغيب له ولذلك اى لكون المعنى هذا عقب

به امر المعاد اي اورده عقيب امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير
اي بتذكيرهم بالادلة ليتفكروا فيها يريد ان الفاء في فذكرهم للسببية
وقيل امره بالاكتفاء بالتذكير وترك الالحاح بسبب انهم غير ناظرين
في دلايل البعث قوله او لم يذكروا المناسب للسياق الاقتصار على
بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار ثم ان كلا من قوله انما انت مذكر
وقوله لست عليهم بمصيطر استيناف فافهم قوله وعن الكسائي بالسين على
الاصل الجوهري المصيطر المسيطر المتسلط على الشيء ليشرف عليه
ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب
مسيطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا قوله
وحمزة بالاشمام بين الصاد والزاي وفي الكواشي القراء
مصيطر بالسين والصاد وبين الصاد والزاي قوله لكن من
تولى وكفر فالاستثناء منقطع فسلط عليهم اي على المؤمنين فلا
يكون منسوخا ولا يكون الاستثناء الا منقطعا وقيل منسوخ
باية السيف وانت تعلم ان رجع ضمير عليهم الى المؤمنين
خلاف سياق الاية الكريمة لانه يدل على ان هذا الضمير راجع
الى ما يرجع اليه ضمير افلا ينظرون ولا شك انه لمنكري البعث
كما دل عليه كلام المصنف هناك ولا بعد ان يقال انه حذف
المفعول في فذكر للتعميم من منكري البعث وغيرهم والضمير في
عليهم راجع الى هذا المحذوف الاعم منهما المفهوم من المقام

فعلى

فعلى هذا الاستثناء متصل البتة بل اتصال الاستثناء مبني عليه
لانه لو كان الضمير في عليهم للمومنين فهو منقطع البتة كما سبق وان كان
لمنكري البعث فلا وجه للاستثناء من تولى وكفر منهم لانهم جميعا
تولى وكفر الا ان منهم من تولى وكفر بجماعة معينة من منكري البعث ومنه
ظهر وجه القول بان الاستثناء متصل ثم اعلم ان قول المص فان
جهاد الكفار وقتلهم تسلط لا يدل على دخول المستثنى في المستثنى منه
حتى يظهر وجه الاتصال بل يدل على تحقق تسلط على من تولى وكفر
فكلامه ليس بواف بما هو المط قوله اي العذاب الاكبر مفعول مطلق
وقع بغير لفظ فعله والمعارف ان يكون نكرة قوله يعني عذاب الاخرة
ولا اصغرها عذبوا به ههنا من الجوع والقتل والاسر قوله اي فذكر
الجميع وفي بعض النسخ جميع الخلق الا من تولى واصر فانقطع طمعك
من ايمانه ويويد الاول وهو ان يكون الا بمعنى لكن انه قرى
الا على التنبيه وجه التايد انتفاء الاستثناء ومعنى في
الاول هذا قال ابن جني قراءة ابن عباس وزيد بن اسلم
وقتادة وزيد بن علي الا بالتخفيف هو افتتاح كلام
ومن شرط وجوابه فيعذبه الله كقولك من قام فيضربه زيد
اي فهو يضربه زيد اي من يتولى ويكفر به فهو يعذبه الله
فيه بحث لانه لا يلزم ان يكون من شرطا على هذه القراءة
بل يجوز ان يكون موصولا او موصوفا ايضا ومع ذلك
لا حاجة الى التاويل الذي ذكره وان كان يويده

قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فانه يعذبه ولو قيل ان الجزاء
لا بد من يكون مقارنا للشرط في الزمان فيقال ان
الجزاء في الحقيقة هو الاخبار بالتعذيب في الآخرة
ولا شك انه لا فرق في ذلك بين فيعذبه الله
وبين فهو يعذبه الله ومنه يعلم حال ما قيل ان الا استثناء
اذا كان منقطعا فمن مبتدأ متضمن معنى الشرط وان الجزاء
هو الاخبار بالتعذيب في الآخرة ليكون مقارنا
للشرط واذا كان متصلا فمن موصولة او موصوفة
والآية نعم اذا كان متصلا فالحال كما ذكر ثم اعلم
ان من اذا كان شرطا فالفاء جواب الشرط وكذا
اذا كان موصولة او موصوفة وكان مبتدأ فالفاء
داخلة خبره لتضمنه معنى الشرط واما اذا لم يكن كذلك
فالفاء يجوز ان يكون للعطف للتعقيب وان يكون
للتعليل بل هذا انسب بالاستثناء من الشرط
تامل في تحقيق هذا المقام مستعينا من الله الملك
العلام قوله ثم ان الينا ايابهم فيه من تفخيم شأنه تعالى
وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وتهويل الكفار
ما لا يخفى ان الينا ايابهم ولذا وقع فيه التفات من

الغيبة الى التكلم وكذا في قوله ثم ان علينا حسابهم وينبغي
ان يعلم انه استئناف في تعليل لقوله فيعذبه الله العذاب
الاكبر وان افراد ضمير من تولى وكفر اولا وجمعه ثانيا للحمل على
اللفظ والمعنى قوله على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب
ومن بعض النسخ على انه فعال مصدر ايب من الاياب وايب
على وزن فيعل قال المحشي واحد ولو قال على انه
فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب كما هو في الكشاف
لكان اولى وقيل فيه نظر لان قياس فيعل ان يكون مصدره
فعللة ولهذا ورد في المصدر بيطرة ونحوه في باب فعلل
وايضا قوله من الاياب الظاهر انه جعله يائيا والاصل
ايوابا وقد جعل ايابا في المقدمة واويا فالوجه ان يقول
الا ان مكان قوله من الاياب ويمكن ان يجعل ايابا مصدر
فاعل من الاوب فعدا جاء فيه فيعال كقيتال جمع قال بعضهم
ان فعالا مخفف منه ومعنى المفاعلة اما المبالغة واما مسابقة
بعضهم بعضا في الاوب وهذا الظهر لان فيعل لا يثبت الا
بلبسه والاول كالقياس قوله او فعال من الاوب قلبت الواو
الاولى قلبها في ديوان قيل هذا ابعد لان ما فعل بديوان
ليس بقياس ثم اذا فعل فالقلب ثم الادغام ممتنع
للبس كما في سوير قوله ثم الثانية للادغام هذا اشارة

اى اقالوا ثم فعل به ما فعل باصل سيد اى سيود جعل الواو
ياء لكسرة ما قبله وادغم فى الياء وكذا جعل الواو فى ثواب
ياء وادغم قال الزجاج ادغمت الياء فى الواو واقلبت
الواو ياء لانها سبقت بسكون قوله وتقديم الخبر للتخصيص
فالمعنى ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام
وان حسابهم ليس الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير
والقطمير ومنه يظهر وجه المبالغة فى الوعيد وتحقيق الكلام
فى هذا المقام انه تعالى علل قوله فيعذبه الله العذاب الاكبر
بقوله ان الينا ايابهم والتفت فيه من الغيبة الى الحكاية وعن
الاسم الجامع الى صيغة الكبرياء والجبروت وقدم الظرفين
على عاملهما واختار كلمة على واورد كلمة ثم للدلالة على ان
الحساب اشد من الاياب لانه موجب العذاب وبدونه
ولا شك ان ذلك كله للوعيد ولتاكيده ثم اعلم ان بعضهم اعتبر
ههنا معنى الوجوب وقال معناه ان حسابهم ليس بواجب الا عليه
وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى
الحكمة واورد عليه انه مبنى على عادته فى قاعدته ولا يجب على الله شئ
وقال الامام محاسبة الكفار انما يكون لايصال العقاب اليهم وذلك
حق الله تعالى ولا يجب على المالك ان يستوفى حق نفسه ومعنى الوجوب
امتناع وقوع الخلف فيه لانه تعالى حكم بالوعد ويستفاد منه انه يمكن
ان يعتبر الوجوب ههنا من غير بناء على قاعدة اهل الاعتزال تمت
السورة والحمد لله على الاتمام سورة الفجر

سورة الفجر بسم الله الرحمن الرحيم قوله او فلقه جعله مقابلا
للصبح يدل على انه امر آخر وراء الصبح مع انهم فسروه به حيث
قالوا الفلق والفرق الصبح لان الليل ينفلق عنه وينفرق فعل بمعنى
مفعول وسيجىء فى كلام المصنف انه ما يفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق
فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات وانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور
الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات
والاولاد وخص عرفا بالصبح هذا كلامه كانه اراد به ههنا ضوء الصبح
وايضا يتجه عليه ان قوله كقوله والصبح اذا تنفس يدل على ان
المقسم به فى القول المذكور ايضا اما الصبح او فلقه والاول ان
يقول اقسم بالفجر وهو الصبح كما اقسم بالصبح فى قوله والصبح اذا
تنفس ثم ان الوجوه التى ذكرها مع صحته ههنا اقوال آخر الاول
انه اول يوم من محرم منه تنفجر السنة الثانى انه فجر ايام ذى الحجة
لاقترانها بلياليها الثالث انه غداة كل جمعة الرابع انه العيون تنفجر
بالمياه ويمكن ان يفسر بما قال ذلك كما لا يخفى قوله عشر ذى الحجة
وقد يقال يحتمل ان يكون المراد عشر ليالى غير معينة كانه من اى
كان ويكون فى ذكرها والقسم بها اشعار بان العادة فى عشر
ليال متصلة من اى شهر كان مثمرة لنيل مرتبة عظيمة كما قال ارباب
السلوك فى الخلوة ويؤيده ما وقع فى الكشاف فى بيان وجه التنكير
حيث قال انها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بعض منها

قوله او النحر فمن هذا النسب لانه بعد الليالي العشر قوله او عشر
رمضان الاخيرة ثم يمكن ان يراد بالنحر عيد رمضان او فجر
اليوم الاخير منه او نحر تلك الليالي او نحر رمضان مطلقا فعلى هذا
يجوز ان يراد بالوتر وتره وهو ليلة القدر وما يحتملها ولما
اقسم بوتره اقسم بشفعه ايضا لئلا يتوهم انه ليس مما يقسم به وقدم
الشفع لرعاية الفاصلة قوله ونكرها للتعظيم وقيل للتقليل و
البعضية قوله بالاضافة الطرح وليال عشر بالياء فكانه حذف الياء
على عرف الناس للتخفيف ثم ان هذه الاضافة يمكن ان يكون بيانية
اى ليال هي عشر فالمعنى على الوصفية قال القراء تين واحد قوله
كقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين اى من كل شيء من الحيوان خلقنا
زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل و
النهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحيوة فعدد
اشياء وقال كل اثنين منها زوجين والله تعالى فرد قوله بالعناصر
وهي اربعة والافلاك وهي تسعة والبروج وهي اثنى عشر و
السيارات وهي السبع قوله او يومي النحر وعرفة اى الشفع يوم
النحر والوتر يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد
روى هذا التفسير الاخير مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فعلى
هذا كان اطلاق الشفع على العاشر باعتبار انه سبب حصول العدد
الشفع وعلى هذا القياس اطلاق الوتر على التاسع وان ليس

احتياج

احتياج الى هذا التكلف قوله او بغيرها بان يفسر الشفع بهذه الليالي
ووترها وقيل الشفع الله تعالى لقوله ما يكون من نجوى ثلثة الا
هو رابعهم والوتر هو ايضا وقيل في الشفع والوتر غير ذلك
تلخيصه انه اقسم بكل شيء لان كل شيء لا بد ان يكون شفعا او
وترا قوله فلعله اى لعل من فسرها بتلك الامور افردها بالذكر
من انواع مدلول الآية الكريمة ما رآه اظهر دلالة على التوحيد
قيل هذا اشارة الى التفسيرين الاولين وفيه بحث او اظهر
مدخلا في الدين هذا اشارة الى التفسير بشفع الصلوة ووترها
او اظهر مناسبة لما قبلها هذا على تفسيرها بيومي النحر وعرفة
اذا اريد بليال عشر ذي الحجة واما اذا اريد بها عشر رمضان
فالتفسير بهما لكونهما اكثر منفعة موجبة للشكر لعله العبادة
وكثرة الثواب او اكثر منفعة كانه اشارة الى قوله او بغيرها هذا
والاولى ان لا يعلن في حل كلام المص على الوجه المذكور وحاصل
كلام المص انهم اكثروا في تفسير الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبوا
اجناس ما يقعان فيه وجعلها مندرجة في مدلول الكلام وكل من
فسره بواحد منها كانه افرد بالذكر واحدا من انواع المدلول
المذكور لمناسبة داعية اليه الراغب الشفع ضم الشيء الى مثله
ويقال للمشفوع شفع والشفاعة الانضمام الى آخر ناصرا له
وسائلا عنه واكثر ما يستعمل في انضمام من هو اعلى مرتبة الى من

هوادنى مرتبة هذا واعلم ان اللامات كلها للجنس ولا منافية
ان يراد بالشفع والوتر شفع الليالى ووترها لانه من باب اطلاق
الجنس على البعض بدليل كما ذكروه فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا
طلقتم النساء لا لان اللام للعهد وهذا على تقدير بعض الوجوه
المذكورة تامل وحمل بعضها على الجنس وبعضها على العهد وبعضها
على الاستغراق ليس بجيد لان الاحسن ان يكون اللامات على
نسق واحد ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية قوله وهما لغتان
اى الكسر والفتح لغتان فى الوتر المقابل للشفع واما الوتر
بمعنى الترة اى الحقد فبالكسر لا غير قوله تعالى والليل بعدما اقسم
بالليالى المخصوصة اقسم بالليل على العموم وقيل اريد به ليلة القدر
وقيل ليلة المزدلفة ويجوز ان يراد ليلة المعراج وان يراد
ليلة فتح مكة او ليلة عرفة وامثال ذلك كما لا يخفى على المتامل الفطن
قوله اذا يمضى يريد ان يسرى مجاز من اطلاق المقيد على المطلق
لانه حقيقة والاسناد مجاز بقرينة قوله والليل اذا ادبر
والليل اذا عسعس وقيل اذا يظلم وقيل اذا يقبل قوله
والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الخ قيل خلاصته انه
يعم ليلة القدر انتهى والنعمة اعلم انه قد وقع امر واحد فى الكلام
متشابه تارة مطلقا وتارة مقيدا بقيد واخرى مقيدا بقيد
اخر ولعل هذا الاختلاف لان مقامات الكلام اوللتنبيه

على

على شرفه فى ذاته وفى اوصافه قوله او يسرى فيه من قولهم صلى المقام
اى صلى فى المقام فيه يريد ان يسر على معناه واسناده الى ضمير الليل مجاز
وهذا فى مقابلة قوله اذا يمضى فعلى هذا فى الكلام حذف وايصال وانت
خبير بان ما ذكره فى فائدة التقييد مختص بالوجه الاول ولذا قدم على
الوجه الثانى والا فالاولى وهو التاخر قوله وحذف الياء للاكتفاء بالكسر
تخفيفا قيل هذه القراءة اكثر والفواصل تحذف معها الياءات ويدل عليها
الكسرات وقيل سال واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لا حتى
تخدمنى سنة فساله بعد سنة فقال الليل لا يسرى وانما يسرى فيه فلما
عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة قوله وقد خصه نافع وابو عمرو
بالوقف يعنى ان نافعا خص حذف الياء مع الكسرة بالوقف كما فى الكشاف
لان المراعاة للفواصل انما تحصل اذا حذف الكسرة ايضا وقال
ابو على ان الفواصل والقوافى من مظنة الوقف والوقف موضع
تغير بغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والاسكان والاشمام والروم
فتغير هذه الحروف المشابهة للزيادة اولى بالحذف قوله ولم يحذفها
ابن كثير ويعقوب اصلا لا فى الوصل ولا فى الوقف لانها لام الفعل
والفعل لا يحذف منه فى الوقف نحو هو يقضى وانا اقضى قوله وقرئ
يسر بالتنوين الاولى ان يقول كما فى الكشاف وقرئ والفجر والوتر
ويسر بالتنوين لئلا يتوهم ان هذه القراءة فى يسر وحده ثم ان حرف
الاطلاق هو الالف والواو والياء الساكنة التى تكون بعد الروى

المتحرك والروی هو الحرف الاخر الاصلی من القافیة اما هو عنزلتها او
مد معوض عن حرف الاطلاق التنوین للترنم وحسن الانشاد وکقوله
اقلی اللوم عاذل والعتابن ۰ وقولی ان اصبت لقد اصابن ۰ فان
الاصل هو العتاب واصاب فحصل من اشباع فتحة الباء الف وصار
العتابا واصابا ثم عوض التنوین عنها فصار العتابن واصابن
قوله ذلک القسم او المقسم به لاحجار ای ان کلمة ذلک فی الوجه
الاول اشارة الی القسم المفهوم من الکلام وهو بمعنی الاقسام
الحلف وفی الثانی الی المقسم به والقسم بمعنی المحلوف به والمقسم
والقصد فی الاول تعظیم للاقسام وفی الثانی للمقسم به هنا بالنظر الی
ظاهر الکلام والا فالمقصد الاصلی واحد وهو تعظیم المقسم والتحریج
ثم ان الکلام فی کلا الوجهین للتجرید من قبیل ما یکون بدخول
فی فی المنتزع منه نحو قوله تعالی لهم فیها دار الخلد ای فی جهنم وهی دار
الخلد لکنه انتزع منها دارا اخری وجعلها معدة فی جهنم لاجل الکفار
تهویلا لامرها ومبالغة فی اتصافها بالشدة والاستفهام فیهما للتحقیق
والتثبیت والتقریر والمعنی قسم عظیم مکف مقنع لذی حجر قال الامام
دل الاستفهام علی التاکید کمن ذکر حجة باهرة ثم قال هل فیما ذکرته حجة والمعنی
من کان ذا لب علم ان ما اقسم الله به من هذه الاشیاء فیه عجائب ودلائل
علی التوحید والربوبیة وحقیق بان یقسم به لدلالته علی خالقه قوله
ولذلک ای ولانه یحجر علی ما لا ینبغی سمی عقلا ونهیة وحصاة من الاحصاء

وهو

وهو الضبط والسکران الحجر والمنع معتبر فی معنی کل من الاسماء الاربعة
وهو متحقق فیه ولذلک سمی بکل منها وفی التسمیة کما سمی عقلا وهذا ایضا
مستفهم عنه بقوله وهو لیعذبن ای الکفار او لیعذبن الله الکفار
ان مقال المحذوف هو لیعذبن علی عذابهم لکمال القدرة کما یرشد الیه العاطف
فی قوله الم تر کیف فعل ربک بعاد الآیة لان فیها اوصافا دالة علی کمال
قوة المعذبین وفی الکواشی محلا وقف بها وان زعم بعضهم لان جواب
القسم ان ربک لبالمرصاد او محذوف ای لیعذبن یدل علیه فصب علیهم
ربک سوط عذاب بعد وما بین القسم وجوابه اعتراض وهو الم تر کیف
الآیة ثم اعلم ان الخطاب بالرسول علیه السلام ای الم تعلم یا محمد
بما یوازی العیان فی الایقان وامام لکل من یصلح ان یخاطب به والاستفهام
علی کلا الوجهین لانکار النفی لیثبت نقیضه وهو الایجاب قوله قوم
هود بدل او عطف بیان لاولاد عاد قوله کما سمی بنو هاشم باسم قبیل
هذا غیر مشهور قوله عطف بیان لعاد او بدل منه قوله علی تقدیر مضاف
هذا مبنی علی ان ارم علم لجدهم او لبلدتهم وان عادا اسم لاولاد عاد بن عوص
والمشهور فیما بینهم ان ارم هنا هی عاد الاولی او بلدتهم ولا خفاء فی
انه لا قرینة علی تقدیر السبط ولو اعتبرها سالمعنی فلو حمل عاد ایضا علی
انه اسم لابن عوص وقدر المضاف وهو الاولاد لکان ایضا صحیحا
والمقدر فی الاول الاولاد وفی الثانی السبط قوله ان صح انه اسم لبلدهم
مثل ویدل علیه قراءة ابن الزبیر بعاد ارم علی الاضافة وقیل القائل

ان معنوله لما كان ارم اخص من عاد يجوز ان يكون هذه الاضافة
للبيان وانت خبير بان عاد ليس مشتركا معنويا بين عاد الاول والثانية
بل الظاهر انه مشترك لفظي بينهما ولو سلم فالظ من الاضافة لبيان ما هي بها
وانه كاف في هذا المقام ومجرد جواز كونها بيانية لا يقدح فيه ومنه
يعلم حال القول بانه يجوز ان يكون من قبيل سعيد كرز هذا وفي الكواشي
ارم اسم مدينتهم وهو دمشق او الاسكندرية او مدينة بناها عاد قوله
سمي او ابلهم وهم عاد الاولى ح ذكر ارم بعد عاد لبيانه وللايذان
بانهم عاد الاولى قوله ومنع صرفه للعلمية والتانيث هذا ظ اذا كان
ارم اسم بلدتهم او اسم قبيلة اما اذا كان اسم جدهم كما هو مدار
الوجه الاول الذي ذكره فلا بل منع صرفه ح للعلمية والعجمة هذا وقيل
فعاد بعيان لا ينصرف واجيب بانه يجوز في اسماء القبائل الصرف
وعدمه قوله ذات البناء الرفيع هذا على تقدير ان يكون ذات العماد
صفة للقبيلة وكذا قوله او القدود الطوال هذا على تشبيه قدودهم
بالاعمدة والعمد جمع العمد والعمود عمود البيت وجمع القلة اعمدة
وجمع الكثرة عمد وعمد والعماد الابنية الرفيعة يذكر ويونث و
الواحدة عمادة وههنا معنى آخر ذكروه هو انهم كانوا بدويين اهل
عمد وبالجملة اذا كان ذات العماد صفة للقبيلة فله معان ثلثة
الاول انهم ذات البناء الرفيع والثاني انهم طوال الاجسام على
تشبيه قدودهم بالاعمدة والثالث انهم بدويون صفة للبلدة

والعماد

والعماد ح بمعنى الاساطين فالمعنى انها ذات الاساطين وبعضهم منه الرفعة
والثبات واعلم ان ارم اذا كان اسم قبيلة او بلدة كان ذات العماد
صفة له وعلى تفصيلها من الوجوه المذكورة واما اذا كان اسم جدهم
كما ذكره اولا فلا يصح ان يكون صفة له الا ان يقال ان ذلك باعتبار
المضاف المذكور فيه كما ان كون ارم عطف بيان لعاد باعتباره فيرجح
المال ان يكون ارم اسم قبيلة قوله وكانت له ملوكا خضعت واعاد
فبنى على مثالها في ثلثمائة سنة وكان عمره تسع مائة سنة وسماها
ارم وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة
وانما ارادوا بهذه القصة الارتباط فافهم قوله باهله اي اهل مكة
قوله صفة اخرى يعني ان كلا من ذات العماد والتي لم يخلق صفة لارم
ويجوز ان يكون التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة للعماد فافهم
سواء جعلت اسم قبيلة او البلدة لا يخفى انه الظاهر لا يتم اذا جعلت اسم
جدهم كما ذكره اولا ومن ذلك كله تعلم ان الاولى ترك هذا الوجه مما
لا اورده في هذا المقام كما اشرنا اليه قوله قطعوه لو قال قطعوا
صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا لكان
اولى قيل اول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا الفا وسبعمائة
مدينة كلها من الحجارة قوله مضاربهم جمع مضرب بفتح الميم وكسر الراء
وهو الخيمة قوله او لتعذيبه بالاوتاد لانه كان يشد اربعة اوتاد ويشد
اليها

من يعذبه بانواع العذاب كما فعل بما شطة بنته وبآسية صبه للكد
عاد وثمود وفرعون العول بان المراد بالذين طغوا فرعون واتباعه
مما لا يساعده الكلام ولا سابقه ولا لاحقه على انهم او مقصوسا لم
فى الكشاف فانه احسن الوجوه محمل لانه ادى عليهم لافادة شهرتهم بذلك
وان النصب على الذم اشيع من الرفع عليه وفيه بحث لانه لو سلم
انه يفيد شهرتهم بذلك فلا ان النصب لا يفيد ذلك وايضا كون النصب
على الذم اشيع من الرفع عليه محل تامل لا يظهر الا لمن سعى تام ولعل
المعنى لاجل ذلك لم يتعرض به قوله ما خلط لهم من انواع العذاب لو
اعتبر الخلط من انواع العذاب بعضها ببعض كما فى الجلد المضفور
الذى يضرب به لكان اولى ليكون مجموع انواع العذاب المخلوطة بعضها
ببعض كالسوط اى الجلد المضفور فكانه شبه نزول هذا الخلط من
انواع العذاب بعضها ببعض بصب السوط الذى هو اضرب على المفرد
فيهلكه فهو مجاز عن ايقاع العذاب لهم على ابلغ الوجوه اذ الصب
يشعر بالكثرة والدوام وكلمة على بالاحاطة والعز والسوط بزيادة
الايلام ويؤيده تنكير عذاب لانه للتفخيم ح ويجوز ان يكون افراده
لهذه الفائدة او الاجتماع كمال تاثير فى الايلام والتعذيب والا
ان يحمل الكلام ح على ان العذاب على الوجه المذكور صب على كل واحد
واحد من المذكورين عاد وثمود وفرعون لانه ادخل فى التهويل و
الترغيب وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم واهله المؤمنين ثم

ان الاضافة بمعنى من او اللام سواء حمل العذاب على المعذب به او على
التعذيب وهذا على اسلوب قوله تعالى اذاقهم الله لباس الجوع قوله وقيل
شبه بالسوط ما احل الخ فعلى هذا اضافة السوط الى العذاب من قبيل
اضافة المشبه به الى المشبه كلجين الماء وتنكير العذاب للتنويع مع التعظيم
وهو ما احله لهم فى الدنيا من العذاب العظيم واضافة السوط الى
العذاب تعليل لما احله لهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى
ما اعد لهم فى الآخرة يعنى انه مع عظمه فى ذاته وكثرته ودوامه واحاطته
وضرره بالقياس الى ما اعد لهم فى الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر
ما يعذب به التى من جملتها السيف وعبارة المصنف قاصرة عن المرام
المذكور كما لا يخفى على المتأمل المنصف نعم كلام الكشاف واف فيه
حيث قال وفى ذكر السوط اشارة الى ما احله بهم فى الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس الى ما اعد لهم فى الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما
يعذب به المكان الذى الخ قد سبق ان هذا الوزن قد يجيء منه اسم
مكان كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل وقد يجيء منه اسم فاعل
طلبا للمبالغة ويكثر للفعل كالمطعان وجوز كلا المعنيين فى قوله ان
جهنم كانت مرصادا والمانع هنا من المعنى الثانى هو كلمة الباء فان كونها
زائدة فى غير الخبر الواقع فى الاستفهام والنفى ليس بقياسى بل هو سماعى
يترقب الخ الرصد قوم يرصدون يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث
قوله رصده الاساس رصدته وارتصدته وترصدته كورقبته و

وارتقبته وترقبته فقعدت له على طريقه انوهم   وقته اى من وقته
وهو تمثيل اى قوله ان ربك لبالمرصاد وتمثيل لارصاده العصاة
بالعقاب الظاهر ان الباء فى بالعقاب للتعدية اى تمثيل لجعل العقاب مرصدا
للعصاة وارد فى المعدية ارصده له فعداه باللام وههنا عداه بنفسه
حيث قال لارصاده العصاة بنصب العصاة كذا قيل والظاهر ان الباء بمعنى
وقعت موقع اللام ما هم ثم اعلم ان هذا الكلام اشارة الى ان قوله ان
ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حالة كونه تعالى حفيظا لاعمال العباد
مترقبا لها ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولا مخلص للعباد عنه عن ان لا يكون
مصيرهم الا اليه بحالة من قعد على طريق السابلين يترصد ولا غنى لهم
من العبور اليه ثم استعمل هنا ما كان مستعملا هناك والمعنى انه عالم بما
يصدر منهم فيجازيهم عليه ونزل فى كل كافر بل فى كل فاجر بل فى كل مكلف
بمعنى انه عالم بما يصدر منه وحافظ له فيجازيه عليه ان خيرا فخير وان شرا
فشر قوله فلا يريد الا السعى لها اى لا يأمر الا بالسعى لها وبعدما فسر الارادة
بالامر لا معنى ان يقع نزاع فى التفسير واما النزاع فى ان الارادة بالمعنى المتعارف
هل تتعلق بجميع افعال المكلف سواء كانت طاعة او معصية ولا تتعلق
الا بالطاعة والاول مذهب الاشاعرة ومن يحذو حذوهم والثانى
مذهب المعتزلة ولو قال فلا يأمر ولا يطلب الا السعى لها لكان اولى
فكانه قد غفل هنا عن المذهب فوقع فيه   فلا يهم الا الدنيا يقال
اهمنى الامر اقلقنى وحزننى فانا مهم فالشئ مهم واهمنى الشئ اذا بغى

وقد

وقد بحثت الشيخ ابحاثا اذيته اذا بهذا واعلم ان المراد بالانسان
اذا كان هو الكافر كما يؤيده لاحق الكلام فلا خفاء فى الحصر المذكور بل
ثم ان ما ذكره المص اشارة الى دفع ما يتوهم هنا وهو ان لفظ اما مصدرة
بالفاء انما يقع بين المتغايرين نفيا واثباتا وههنا لا مغايرة بين الواقع
بعدها وبين قوله ان ربك لبالمرصاد ظاهرا فجاء الاشتباه ولم يظهر وجه
الانفصال وخلاصة الجواب انهما بحسب المآل متغايران نفيا واثباتا كانه
قيل ان الله لا يطلب من الانسان الا الطاعة والسعى للعاقبة وهو مرصد
بالعقوبة للعاصى فاما الانسان فلا يطلب ذلك ولا يهمه الا العاجلة
اختبره اشارة الى ان الابتلاء هنا ليس بمعنى الايقاع فى البلية بل
بمعنى الاختبار ولذا سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء
لانه يجمعهما   وهو خبر المبتدا اى اما لم يجعله جواب اذا والشرطية
خبر المبتدا لانه ح يبقى الجواب بلا فاء قوله والفاء فى فيقول بخلاف
الفاء فى فاكرمه فانه للعطف قوله ثم قدر عليه القراء مخففا ومشددا
كما سنذكره المص اى ضيق عليه   ليتوازن قسيمه يكفى ان يقال ان المبتدا
مقدر بعد اما الثانية ليتوازى القرينتان ولا حاجة الى فى حصول التوازى
بينهما الى المقدمات السابقة فافهم   لقصور نظره على الكلا قول
الانسان كما يدل عليه لاحق كلام المص   ردعه بقوله كلا اى لم يكن
كلا ههنا ردعا بل كان بمعنى حقا فلا اشكال ولا احتياج الى التوجيه الذى
ذكره   مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه صورة لان قوله اكرمنى بناء

على قصور نظره وسوء فكره وعدم التامل في عاقبة الامر ومآله ويلك
الكرامة والهوان عنده حظوظ الدنيا وعلمها لا غير وقوله تعالى فاكرمه
بناء على ان التوسعة في حد ذاتها تفضل ولطف وحينئذ واما انكر قوله
ربي اكرمن مع انه اثبته بقوله فاكرمه لانه قاله على قصد خلاف ما
صححه الله تعالى واثبته وهو قصده الى ان الله تعالى اعطاه ما اعطاه اكراما
له لاستحقاقه كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله تعالى ابتلاء
من غير استحقاق منه والقول بان كلا ردع عن قوله ربي اهانني لا غير
ضعيف سيما اذا لاحظت ما ذكر في امثال فاما الانسان بما قبله فانه
يقتضي ان يكون كلا القسمين مقصورا ولا يعضده ذكر الاكرام في
قوله فاكرمه لان المعنى ان الله تعالى اذا اكرمه ليقول ربي اكرمن لاستحقاقي
فلا بد من ذكره وردعه وقد يقال ههنا وجه آخر وهو ان المذمة
للاقتصار على مجرد القول والاعتراف بالاكرام على التقدير الاول
وعلى مجرد الاعتراف بالاهانة على التقدير الثاني وكيف لا مذمة والانعام
يقتضي الشكر له وعبادته وتقليل الرزق يوجب التوبة والرجوع عما فيه
وقوله تعالى كلا ردع عن ترك موجب المقامين وقوله تعالى بل لا
تكرمون وان كان داخلا في المتروك لا انه خصه بالذكر لمزيد امتيازه
عن اخواته كانه غير داخل فيها قوله لان التوسعة تفضل والاخلال به
اي بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وبين الاكرام و
الاهانة واسطة فان المولى قد يكون مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم

ولا

ولا مهين هذا والامر عند العارفين المحققين بالعكس ويعضده ما روي
حكاية عن سيد العالم صلى الله عليه وسلم انه قال عرض علي ربي بطحاء مكة
ذهبا فقلت لا يا رب اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا
شبعت حمدتك وشكرتك اخرجه الترمذي عن ابي امامة قال اهل الاسلام
بلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا
ما لنا والدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف ~~سلك بهم سبيل الرخاء~~
واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا قالوا الآن تعاهدنا
ربنا وعن ابي عمرو مثله هذا ظاهره يعد انه رواية عن ابي
عمرو ولم يثبت بخلاف قراءة ابن عامر والكوفيين قوله اي بل فعلهم
اسوء من قولهم هذا يدل على انه للترقي من السوء الى الاسوء وقيل انه
اضراب الى ذم ما اورثه غناهم وسببهم من محبة المال والحرص بالوان
المشتهيات من الاطعمة والاشربة ومنع الحقوق عن المستحقين
والمبرة من البر وهو الاحسان وفي بعض النسخ والميرة اي
الطعام قوله ولا يحثون اهلهم اشارة الى ان المفعول في الكلام
محذوف ولا تحاضون بفتح التاء اصله تتحاضون حذفت احدى
التائين تخفيفا وقرئ تحاضون بضم التاء الحض الحث التحاض
التحاث والمحاضة ان يحث كل واحد منهما صاحبه او بالكلية جمع ما
يمكن ان يكون كلا الامرين مخاطرا في الآية الكريمة وههنا وجه
اخرى كلامهم وهو انه يجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا

مثلا من عران يعرف فيه صعصه فيسرق في العاقه و ياكله اكلا وا
جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما
تفعل الوراث البطالون   تعالى وتحبون تعالى حبه واجبه بمعنى
ولذا ورد المفعول المطلق هنا من المجرد   والباقون بالياء
ففي الكلام ح التفات وانتقال من الغيبة الى الخطاب لشدة
الغضب عليهم و يؤيده الانتقال من صيغة الواحد الى الجمع كلا
ردع يمكن ان يكون بمعنى حقا لتاكيد الحكم السابق او اللاحق
دكا بعد دك والتكرير للاستيعاب والعرب تكرر الشيء
مرتين فيستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذي دل عليه
لفظ المكرر فاذا قلت بينت الكتاب بابا بابا فمعناه بينت له مفصلا
باعتبار ابوابه   مثل ذلك يعني ان الاستعارة في هيئة التركيب
يعني ان حقيقة هيئة هذا المركب ان يستعمل في ملك جاء مع اعوانه
و وزرائه فاستعملت في غير موضعها الاصلي استعارة   وفي الحديث
فلا يجعل هذا الكلام محمولا على حقيقته   بدل من اذا دكت او
تاكيد له او عطف بيان له   والعامل فيهما تذكر قيل لم لا يجوز
ان يكون العامل في يومئذ جيء واجيب بانه يصير المعنى ح اذا
جيء بجهنم في زمان دك الارض و هو غير مابرى وهذا يدل على
ان العامل في يومئذ الواقع في جيء يومئذ بجهنم ايضا ليس
جيء لان المعنى على هذا التقدير ايضا هو ما ذكر فتامل   للانبيا

ما قبله

ما قبله هو تذكر الانسان وهذا دليل على تقدير المضاف
وهو المنفعة وما لحذف حذو يا هذا اذا لم يجعل اختصاص اللام
مقصورا على النافع ولا استقام من غير تقدير ويكون انكارا ان
يكون الذي له لا عليه كذا في الكشف وقيل المعنى يومئذ يتطهر الانسان
التوبة ومن اين له التوبة وقيل لا حاجة الى تقدير المضاف بل
نفي التذكري لتنزيل وجود تذكره اليوم منزلة العدم ولكن ان يقول
المراد واني له الان الذكرى   فان هذا التذكر توبة غير مقبولة لها مع
كونه غير تام على التقدير الاول مدخول بان يوم القيمة ليس يوم التوبة
والاستدلال انما يصح لو كان ذلك اليوم يوم التوبة   اي لحيوتي
هذه وهي حيوة الاخرة فاللام في لحيوتي ح بمعنى الاجل اي لاجل حيوتي
وعلى الوجه الثاني للوقت اي وقت حيوتي ويمكن ان يكون اللام زائدة
كقوله تعالى ردف لكم والمعنى قدمت منفعة حيوتي وهي الاعمال الصالحة
واعلم ان قوله يقول يا ليتني الاية يمكن ان يكون حالا من فاعل يتذكر
وان يكون استينافا فقوله فان المجبور على الشيء مذموم ان كان مكلفا
اي كونه قادرا عليه وحاصله ان المذكور تمني وهو قد يكون على
المستحيل وقال الامام التحسر على فعلهم الذي كان في ايديهم ظاهرا وحجة
الله وتعين على فعل الطاعة   اي لا يتولى عذاب الله العذاب
ح هنا بمعنى التعذيب لانه بمعناه في الاصل كالسلام بمعنى التسليم
ثم نقل الى ما يعذب به او لانه وضع موضعه كما يوضع العطاء موضع الاعطاء

موضعه

بكذلك الوثاق لكنه مفعول به بان يكون معنى لا يعذب لا يفعل ولا يباشر
وذلك لان مطلق الفعل في ضمن كل فعل خاص مجازا ان يراد به مطلق
الفعل وكانه قيل لا يفعل تعذيبه ولا يباشره احد سواه وقال
ابن الحاجب في الامالي العامل في الظرف يعذب وقد جاز تقديم
النفي عاملا في الظرف في مواضع والضمير في عذابه في قراءة الكسر
للانسان المتقدم ذكره ولا يحسن ان يكون لله لان معنى لا يعذب
عذاب الله يوم القيمة احد فلا يؤول المعنى الى ما سبق وهو تعظيم عذاب
الله لهذا الانسان وانه اعظم من عذابه لغيره واجيب عما قاله بانه
يفهم منه ذلك بطريق الكناية لانه اذا كان هو المتولي بنفسه
وهو يعلم مقدار جنايته واستحقاقه جزاءها فاذا كان جنايته اعظم
كان عذابه اعظم او للانسان الموصوف وقيل هو ابي بن
خلف اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه اي الكافر
والمفعول محذوف تقديره لا يعذب احد من الزبانية شخصا مثل تعذيبهم
الانسان المذكور فالعذاب على هذا التوجيه انه بمعنى التعذيب لكنه
مضاف الى مفعوله ومنصوب على انه مفعول مطلق وقرأ الكسائي
ويعقوب وفي الكشاف وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره وفي شرح الكشاف يعذب
ويوثق بالفتح والباقون بالكسر فيهما ومنه علم اضطراب اقوالهم في
هذا المقام واعلم ان الضمير في عذابه في هذه القراءة للانسان لا غير

والمعنى

والمعنى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق مثل وثاقه لتناهيه في كفره
وعناده فالعذاب ح بمعنى التعذيب وكذا الوثاق بمعنى الايثاق والاضافة
الى المفعول والنصب على المصدرية كما في الوجه الثاني على قراءة صيغة
المعلوم فيهما والمعنى لا يحمل عذابه احد فالعذاب جار على المتعارف
وهو ما يعذب به ونصبه على انه مفعول به بتضمين التعذيب معنى التحميل
على ارادة القول اي يقول الله تعالى للمؤمن يا ايتها النفس اما بتوسط ملك
او بلا واسطة وهذا القول اما عند الموت واما عند البعث واما عند
دخول الجنة ولو هي التي اطمانت بذكر الله لقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب قوله او الى الحق بحيث لا يريبها شك اي الاطمئنان اما
سكون اليقين في مقابلة الريبة والشك وقيل كشف هذا اولى لانها
المتعظ المذاكرة فان التذكر على قدر قوة اليقين الا ترى قوله انما يتذكر
اولو الالباب قوله او الآمنة من الامن ضد الخوف التي لا يستفزها
خوف اي لا يجعلها مضطربة قوله وقد قوى لها العلامة اشارة الى
قول الكشاف ويشهد لهذا التفسير قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس
الآمنة المطمئنة وقيل عليه بل الامر بالعكس لئلا يلزم التكرار بالموت
متعلق بارجعي فعلى هذا يكون الرجوع الى امر الرب وكذا الرجوع الى
موعده كلاهما بالموت وكلام المصنف في التفاوت بين هذين الوجهين
وانه غير ظاهر ومنه يعلم حقيقة الحال في قوله او بالبعث ومجموع الوجوه التي
اوردها اربعة فتامل ويشعر ذلك انما قال يشعر لان الرجوع الى الامر

او الموعد بالموت يدل على انها كانت قبل الابدان متصفة باحوال
وكمالات كانت زايلة بسبب تعلقها بالابدان ثم اذا فارقت
الابدان عادت الى ما كانت عليه من دخول الاحوال والكمالات
في جملة عبادي الصالحين قال الامام هذه حالة شريفة لان
الارواح القدسية تكون كالمرايا المصقولة فاذا انضم بعضها
الى بعض تنعكس الاشعة فيظهر في كل منها ما لكلها فتكون سببا
لتكامل السعادات وتعاظم الدرجات وذلك هو السعادة
الروحانية قيل ومن ثم جيء على وجه التعميم بالسعادة الجسمانية وقيل
وادخلي جنتي وحده او زمرة المقربين من الملائكة فتستضيء بنورهم ويجوز
ان يكون هذا بيان القول وادخلي جنتي وان يكون من تتمة
بيان معنى قوله فادخلي في عبادي ويكون بيان قوله وادخلي
جنتي غير مذكور وقوله او ادخلي في اجساد عبادي قبل التفسير ان
الاولان ما لنظر الى قوله ارجعي الى ربك بالموت وهذا
التفسير الى قوله بالبعث واعلم ان قوله يا ايتها النفس المطمئنة
لانه على هذه الوجوه المذكورة بيان حال نفس المؤمنين وقيل
المراد يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى الله بتركها
فعلى هذا هذه الآية ايضا لبيان حال الانسان المذكور سابقا
وههنا قراءات اخر لم يذكرها المصنف حيث قالوا قرأ ابن عباس
فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ ابي

ربك

85

ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وفي الكواشي وقرئ
ملكي في عبادي ولجي جنتي تمت سورة حامدا لله ومصليا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سورة البلد بسم الله الرحمن الرحيم
قوله اقسم سبحانه بالبلد الحرام او لا نافية تقديره لا اقسم بهذا البلد
وانت فيه بل اقسم بك كذا في الكواشي وانت خبير بان الاول
وهو الظاهر من الكلام والمناسب بما وقع في سائر المواقع وان
الثاني على خلاف ذلك في كلا الامرين وقيده بحلول الرسول
صلى الله عليه وسلم فعلى هذا الحل من الحلول بمعنى الحال وهذه
الجملة اما معترضة او حالية واثار في السبب بقوله وقيده
اظهارا لمزيد فضله اي فضل البلد وفضل الرسول عم والاول
اظهر واتى بلفظ هذا دلالة على كمال تميزه وجلالة قدره كقوله هذا
ابو الصقر فردا في محاسنه وفيه علم وجه وضع المظهر موضع المضمر في
قوله انت حل بهذا البلد وقيل حل مستحل تعرضك فيه هذا
مبني على ان الحل صفة للمحل يقال حل له كذا فهو حل وحلال والمعنى انهم
يستحلون تعرضك فيه باخراجك وقتلك وانهم يحرمون ان
يقتلوا به صيدا ويقطعوا به شجرة ولا شك ان القسم لمجرد تاكيد المقسم عليه
وهو قوله لقد خلقنا الانسان في كبد ولما كان الغرض من هذا
الاخبار تصبير رسول الله عم بما كان يكابده من اهل مكة اعترض بما هو
مدد في التصبير وهو قوله او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة هذا

على ان الحل صفة للرجل يقال حل المحرم واحل فهو حل فعلى هذا يفي
الاقسام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان اقسم ببلده
ووالده وما ولد ثم تسليته بان وعده فتح مكة بالاعتراض بقوله
وانت حل بهذا البلد اي تصير حلالا فالابهام في الاول من
هذين الوجهين المنقولين مجرد عن التسلية وفي الثاني مصحوب بالسبب
والمص لم يتعرض منهما لفائدة الاعتراض ولم يشر الشارح انه لابد
منه وكذا لم يشر الى انه يجب ان يوجد معنى الاستقبال كما اشرنا
اليه وبالجملة كلامه هنا في غاية ايجاز بل هو اختصار مخل
ذريته او محمد عم ان كان الوالد ادم كان ما ولد ذريته وان كان
الوالد ابراهيم كان ما ولد محمدا او اسمعيل وان كان الوالد اسمعيل
كان ما ولد محمدا ويمكن ان يكون ما محمدا او ذريته وقيل كل والد وولد
التنكير للتكثير ويجوز ان يكون هنا وجوه اخر لا تخفى على من تامل
واعلم انه قيل ان الله تعالى اقسم بهذه الامور والمراد بها وكذا
الحال في سائر الامور التي وقعت مقسما بها في كلام الله تعالى وسيجي
ان يعلم ان اللام في الانسان للجنس وقيل للعهد وهو ام ويمكن
ان يكون للاستغراق وتعدده قول المص والانسان لا يزال في
شدائد الخ وكذا قوله والضمير في يحسب لبعضهم الذي كان الخ
وهو مذكور حكما لانه ما منه سوق الكلام في التسلية على جميع
تلك التقادير وجه تسليته بهذا الكلام لا يخفى على من له فطرة سليمة

والعكاظي منسوب الى عكاظ وهو سوق للعرب قريب من
الطائف او لكل احد منهم اي او الضمير لكل احد من الذين
كابد الرسول منهم ولا يخفى ان الضمير على هذين الوجهين
ليس للانسان بل لبعضه اما مطلقا او لا يهتم بتسليته صلى
الله عليه وسلم ووعد لم يوديه او للانسان ان كان
الضمير في ايحسب ان لن يقدر عليه احد من مستتبعات المقسم عليه
فوجه ان يعتبر الكبد شيء داع للانسان الى هذا الحسبان
وهو مرض القلب وفساد الباطن كما في الكشاف وليس كل
انسان كذلك فوجب تخصيص الانسان بمن علم الله انه كذلك
ووجب انه تحكم المناسبة ان يقال الاعتراض معناه وانت
ترى مما يعتريه اهل الايام مما هو موصوف بمرض القلب وان
تحمل هذا من شرف المقسم به فتصير المعنى اقسم بهذا البلد
الشريف ومن شرفه انك حل به اي ترى مما يعتريه اهل
الايام وهو حقيق بان اعظمه بعضهم لقد خلقنا الانسان اي
بعضه في كبد اي في مرض وهو مرض القلب الحسب ذلك الانسان
بسبب مرض قلبه ان لن يقدر عليه احد كذا قيل في تقرير هذا المقام
ولا شك ان كلام المص ليس منطبقا عليه اذ المتبادر ان
هنا محمول على ما ذكره اولا والضمير في ايحسب راجع الى الانسان على
ما ذكره من الوجوه والا فلا بد من بيانه فتامل يظهر لك

حسنة الحال ای فی ذلک الوقت ای وقت الاقتحام منه وهو يوم
العقبة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لُبدة ولِبدة وهو ما تلبّد
يريد الكثيرة وقرئ لُبُدًا بضمتين لَبود ولُبَّدًا بالتشديد جمع لابد
كذا فی الكشاف اللبد بضم اللام وفتح الباء جمع لبدة بضم
اللام وسكون الباء واللِبَد بكسر اللام وفتح الباء جمع لبدة بكسر
اللام وسكون الباء هذا ما استفاده منه اذا حمل الكلام على اللف
والنشر مع الترتيب وفی الكواشی لُبدًا كثيرا وقرئ بكسر اللام
جمع لِبدة هذا واعلم ان قوله يقول جملة حالية او استئنافية
قوله ثم بين ذلک ای ان انفاق الاموال الكثيرة سمعة ومفاخرة
او معاداة للرسول غير معتدّ به ووجه التبيين انه تع يعد ما انعم
عليه بقوله الم نجعل له عينين الى ما قال فلا اقتحم العقبة الاية يعنی
فلم يشكر تلک النعم بفک رقبة مؤمنة او اطعام فی يوم ذی مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة فعلم منه ان ما فعله من اهلاک
الاموال الكثيرة ليس شكرا لما انعم الله عليه فيكون عبثا غير
معتد به قوله واصله المكان المرتفع فاطلاق النجد على الطريقين
ظاهرا واما على طريق الخير والشر فلان المعنى جعلنا له طريق الخير والشر
واضحا بالادلة كوضوح النجد فكل من هذين الطريقين كالنجد فی
الوضوح والظهور قوله ای فلم يشكر تلک الايادی والنعم باقتحام
العقبة فعلى هذا الكلام اقامة السبب وهو اقتحام العقبة

87

مقام المسبب وهو شكر تلک النعم وفی الكواشی فلا اقتحم ای ما جاوز
العقبة هی الصراط يضرب على جهنم كحد السيف او نار دون الحشر
فلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة وهو فک الرقبة واطعام المساكين واليتامى
فعلى هذا المراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها وهو ای الاقتحام الدخول
فی امر شديد الاول ای يقال الاقتحام الدخول بشدة ومشقة والعجلة
الشدة قوله استعارها لما فسرها به من الفک والاطعام هذا مبنی
على ان يكون ما العقبة محمولا على ظاهره ولو حمل على ان معناه ما ذكرنا
انفا كما يدل عليه كلامهم فی هذا المقام فلان اقتحام العقبة ح بمعنى الفک
والاطعام لا العقبة هی الاعمال الصالحة فاقتحامها الشروع فيها والاقدام
عليها وان كانت صراطا يضرب على جهنم او نارا دون الحشر فاقتحامها
جوازها وتفسير الاقتحام او العقبة بالفک والاطعام من قبيل المبالغة
والتاكيد لافادة اهتمام شان الاعمال لانهما من مجاهدة النفس
ولعل على قوله استعارها لما فسرها به واشارة الى وجه الشبه بين
المعنى الحسی وبين المعنى المستعار له ولتعدد المراد بها ای بالعقبة
حسن وقوع لا اقتحم موقع لم يقتحم والدليل على ان هذا الموقع لا اصل موقع — ليس موقعه
لم ان لا الداخلة على الماضی لا تكاد تقع الا مكررة نحو فلا صدق ولا صلى
فلو علم العقبة لم يفسر بشيئين حتى يكون متعددة بل باحد الشيئين
لانه قال فک رقبة او اطعام بلفظ او وايضا لو سلم ذلک لم يلزم من
تعددها ان يكون لا الى التعدد مكررا لانه لو ان يكون المعنى فلا فک رقبة

او اطعم مسكينا وفيه بحث لان كلمة او في امثال ذلك من المقام
للتنويع لا للتشكيك واحد الامرين وانه لا شك ان المقصود
نفي الاقتحام المتعلق بالعقبة بكلا نوعيها على وجه عموم النفي لا نفي
العموم وانه يقتضي ان يكون لا في التقدير متعددا على ان جواز تعددها في
التقدير كاف في توجيه المقام ويمكن دفعه بوجه آخر فيما سبق وهو انه قال
الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على ان المعنى فلا اقتحم العقبة
ولا آمن ولا يلزم كون الايمان جزءا داخلا في مفهوم العقبة لانه يكفي
في صحة العطف والتكرير كونه من اشرف خص بالذكر تعظيما لحاله
صورة التكرار ويمكن الحمل على غير ذلك بان يكون العقبة عبارة
عن الاعمال الصالحة من الفروع ويؤيده تفسيرها بقوله فك رقبة او اطعام
وكذا عطف ثم كان من الذين آمنوا عليه ولا ينافيه دفعه بل يؤيده اولى
هذا ونقل عن ابي علي الفارسي انه رد قول الزجاج وقال اذ كان
انه رد قول الزجاج وقال اذا كانت لا بمعنى لم كان التكرير غير
واجب وان تكررت في موضع نحو فلا صدق ولا صلى فهو كتكرير
لم في نحو قوله لم يسرفوا ولم يقتروا وقوله اذ المعنى فلا فك رقبة
ولا اطعم يتيما او مسكينا هذا يدل على ان قوله فك رقبة او اطعام
تفسير للعقبة حيث قال استغنى بها لما فسرها من الفك والاطعام فليس
كلا فيه مدافع نوع مدافع هذا قال ابو البقاء العقبة ما اقتحام العقبة
لانه فسره بقوله فك رقبة وهو فعل سواء كان بلفظ الفعل او بلفظ

المصدر

المصدر والعقبة عين فلا تفسر بالفعل نحو قراءة فك او اطعم فسر المصدر
بالجملة الفعلية لدلالتها عليه ومن قرأ فك رقبة او اطعام كان
التقدير هو فك رقبة والمصدر مضاف الى المفعول ولا ضمير فيه
لان المصدر لا يتحمل بالضمير وذهب بعض البصريين الى ان المصدر
اذا عمل في المفعول كان فيه ضمير كالضمير في اسم الفاعل وينتصب يتيما
مفعول اطعاما والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من
اوزان المصدر كالمرحمة والمحمدة والمشأمة فالمسغبة التي معناها الجوع
والمقربة القرابة والمتربة الفقر والالتصاق بالتراب ووصف
اليوم بذي مسغبة معناه يوم محروص فيه الطعام او ما قالوا في
قولهم ليل نائم ونهاره صائم اي ذو نوم وذو صوم ولعل فائدة
هذا الوصف على كلا الوجهين التنبيه على ان الاطعام في يوم
القحط والعسرة اشد واصعب منه في ايام الرخاء واليسر ولذا
الحسن واجمعه فعلى هذا المقصود عموم النفي يعني لم يتحقق منه اطعام
اصلا في وقت من الاوقات واجمعه اي مع ما له وجوع ولا
يكن يوم مسغبة وكل من يتيما ومسكينا اما بدل من ذا مسغبة او
عطف بيان له او صفة وخصهما بالذكر من افراد ذي مسغبة لان
اطعامهما ابعد من الاغراض الفاسدة كالسمعة والمفاخرة ومعاداة
الرسول ويعني ان يعلم ان وصف مسغبة بذا مقربة للتخصيص لانه اذا
لم يطعم هذا اليتيم فكيف يطعم من من عداه اولان اطعام الاقارب

اشق واشد بناء على انهم كالعقارب ويجوز ان يكون للترجي ولكن
ما كسب في وصف مسكينا بذا متربة فافهم   على الابدال من اقتحم
ويجوز ان يكون من قبيل وضع الفعل موضع المصدر فيكون بيانا
للعقبة ويؤيده ما نقلناه عن ابي البقاء فلا نفعل وهذا اظهر من الكلام
وانسب للقراءة المشهورة وهي القراءة على المصدر اعني
الفك والاطعام واعلم ان رقبة على قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي
منصوبة انه فك وهو فعل ولذا قال المصنف فك رقبة واما ذي مسغبة
فاما مجرور على انه صفة يوم كما هو المشهور واما منصوب على انه
مفعول اطعم كما روي عن الحسن في القراءة على المصدر اعني الاطعام
معناه انك لم تدر الخ هذا اشارة الى فائدة الاعتراض
بين المبدل منه والبدل على القراءة الاخيرة وهي تعظيم العقبة فافتتاح
كمال صعوبتها وكثرة ثوابها   او فك هذا على قراءة الفعل ظاهر
واما على قراءة المصدر فيجوز ان يكون ذلك بناء على وضع الفعل
او الجملة موضع المصدر وهذا انسب من حيث المعنى من العطف على
اقتحم ليكون للايمان داخلا في تفسير العقبة وقد ذكرنا ما يجدي بذلك
تعالى في هذا المقام فتذكر   لتباعد الايمان عن العتق والاطعام
في الرتبة والفضل ويجوز ان يجري على حقيقتها قال صاحب الكشف
يجوز ان يكون لترتيب خبر على خبر كقوله خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون والله يجوز ان يكون كان المعنى صار ويكون هذا الكلام

اشاره

89

اشارة الى ان من لم تعده القراءة تقربا الى الله تعالى فيصل اعانة بمحمد صلى
الله عليه وسلم امن به ثواب عليه فعل ويؤيده ما رواه صاحب البخاري
عن حكيم بن حزام انه قال يا رسول الله ارايت امورا كنت اتحنث
بها في الجاهلية من صلة وعتاقة وصدقة هل لي فيها اجر قال حكيم
قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما سلف من
خير   بالصبر على الايمان والثبات عليه وهذا انسب
الكلام او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي تبتلى
بها المؤمن وهذا اشمل من حيث المعنى من الاول وكلا المعنيين
مذكور في الكشاف واولى مما ذكره المصنف قال الامام هذا يدل
على المؤمن ان يدل الناس على طريق الحق ويمنعهم من سلوك
طريق الباطل وان اصل التصوف امران صدق مع الحق وخلق
مع الخلق   او بموجبات رحمة الله وهي العقائد الصادقة
والاعمال الصالحة واب يعلم ان يكرم تواصوا الكمال الاهتمام
بشان الصبر والمرحمة قوله اليمين المناسب ههنا ان يحمل اصحاب
اليمين على ما يتناول المؤمن اله بخلاف ما سبق في سورة
الواقعة فافهم وهذه الجملة استيناف وقوله والذين كفروا
مبتدا او قوله هم اصحاب المشامة خبره والمجموع عطف
على تلك الجملة السابقة   بيان لا كل وهو ان اسم اشارة
بعض غيره الحضور وضمير الغايب بعض دل الغيبة عن رب

الغرة ثم انه اخبر من اسم الاشارة بما هو للبعيد لافادة تعظيم المؤمنين
مع علمهم بانه موضوعه لحوران يكون خبرا وان يكون اشارة ولكل وجهة
هو موليها ولنترك ما يتعلق بهذه الجملة في حق المؤمنين شان لا يكن
مطيعه اي مطيعه لا تسعد ولا تحرج لها   فالغرة فعل وجمرا او صف
ابدلها واوا والمانون بغير همزة   من اصدقه فعل من غمره من
الصدف الباب الطبعه ومن لم يهمز تخفيف اصدقها ابدل الهمزة واوا
للضمة قبلها او من اوصدت بمعنى اصدفت قفاء الفعل واو فالهمزة اسم
المفعول اذ لا اصل له في الهمزة ومنه علم ان قول المصنف او صدفت الباب
ليس لحيد لانه احد الاحتمالين لما السورة سورة الشمس بسم الله
الرحمن الرحيم   وآيها خمس عشرة كذا في الكواشي   اذا
اشرقت وارتفعت والاشراق بعد الشروق لان الشروق الطلوع
ثم الضحوة كذا قيل وانت خبير بانه سيجي به ويع احسم مما يكل من الشمس
والضحى ولم يعد شيئا منهما بالراصلا ولعله لظهور كمال القدرة فيهما وانهما
بحيث لا يحتاجان في دلالتهما عليه الى تنبيه   او غرة لها ليلة بعد
لاساس ما قيل ليلة البدر ليلة اربع عشرة سمحت لها لان بعد غروب
الشمس بالطلوع الى سمتها تعالى بادرة قدرة اواسه فعلى هذا
طلوع القمر قبيل غروب الشمس فكيف يكون تاليا وما نعاله واعلم
ان القمر تال للشمس دائما طلوعه طلوع الشمس اول الشهر وغروبه
غروبها آخره فلا يظهر وجه تقييد الغرة ولذا اخص المصنف في الوجه الاول

الليل

90

الليل طلوعه لطلوعها وفي الثاني يلي طلوعه لغروبها والثالث يليه
اياها في الاستدارة وكمال النور فيكون القسم به القمر اول الشهر
او ليلة البدر او الليالي البيض ووجه التخصيص ظاهر لما في ذلك
اول الاستدارة او او بلا بها في الاستدارة وكمال النور
لعله اشارة قول الامام تلاها في الضياء اي صار كالعالم مقام الشمس في
الانارة وذلك في الليالي البيض وما ذكرناه في تحرير كلامه انما مبني عليه
ما فهم الراغب فلا يعبه مبالغه ليس فيهما ما ليس فيهما وذلك تارة
يكون بالجسم وتارة بالاقتدار في الحكم ومصدره تلو وتلو وتارة بالقرآءة
او تدبر المعنى ومصدره تلاوة وحاله والقمر اذا تلاها فانما يراد به
هنا الاقتداء والمرتبة وذلك انه فيما يقال ان القمر يقتبس النور من الشمس
وهو لها بمنزلة الخليفة   جلاها الشمس اي اظهرها فانها تنجلي تمام الانجلاء
اذا انبسط النهار رفعه اشارة الى ان اسناد تجلية الشمس الى النهار
مجازي من قبيل اسناد الفعل الى زمانه   او الظلمة الاول هو
الاول لتوافق الضمائر ولان الليل اذا كان غاشيا للشمس فلكن النهار
مجليا لها ولا بد من بيان التفاوت بينهما وما ذكره من تحقق العلم بها لكم
في الاول من هذه الجملة وانه الجملة من الاظهار لا يصح تعليلها بالظلمة
بان يكون النهار مجليا لها   ولما كانت واوات العطف نواب
للواو الاولى القسمية اعلم ان الواو الاولى في نحو هذا القسم بالاتفاق
وفي الباقية خلاف فانها الة للقسم عند البعض وعند الخليل وسيبويه

للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز الا ترى انك
لو جعلت موضعها كلمة القسم لم يكن المعنى على حاله ويحتاج ما عطف
هكذا الواو فان بني الكلام هنا وفي امثاله على المذهب الاول فلا اشكال
وان بني على الثاني وهو الراجح فان اعتبر لكل قسم جواب على حدة
فان كان لكل بعد جواب بعد القسم ان لم يكن الجواب مذكورا اصلا وان
بعد جواب الا واحدا ان كان المذكور فلا يلزم ادخال القسم على القسم
قبل تمام الاول لانه قد تم بجوابه والقاعدة في ذلك من المبالغة في وضع
الجواب المذكور للقسمات فلا يلزم العطف على عاملين ولا ما يشكل الخليل
وسيبويه على استكراهه وعلى المذهب الاول لا يحتاج الى تقدير
الجواب لكل قسم لانهم لا يستكرهون ادخال القسم على القسم قبل تمام
الاول وان اعتبر المجموع تلك القسمات جواب واحد تعين ان الواو في
والشمس قسمية فقط وما عداها عاطفة والا يلزم ما اشكل الخليل وسيبويه
على استكراهه ومع ذلك انه خلاف المفروض والمذهب المختار
ان المعطوفات الاول وكون كل منها معطوفة على ما عطف
عليه المعطوف الاول وكون كل منها معطوفا على ما قبله مذهب
مرجوح وبنا الكلام على المذهب المرجوح لا يناسب لشان صاحب
الكشاف ومن تبعه كالمحقق وغيره مع انه ارتكب هذا التوجيه للفرار عن
الوقوع في المرجوح واذا بني الكلام على المختار يتجه عليه انه لا يتوهم العطف
على معمول عاملين مختلفين لانه ليس في والشمس ظرف وما قبل كانه

بعد المعطوف في والشمس وضحاها اي والشمس اذا اشرقت كانه
انه قد يتوهم فان اذا اشرقت مفسر معنى ضحاها لانه ضوؤها فلا مطلعا
في وقت الاشراق لانه قيد للمقسم به واية ذلك انه وضحاها قسم
اخر والواو فيه عاطفة البتة بناء على ما قررنا واذا اشرقت اجنبي بيانه
ولا تعلق له بالمقسم به الاول وانه هذا التوجيه مبني على ان اذا ظرف
لفعل القسم او ما ينوب منابه وانه ليس بجيد لانه يلزم ان لا يكون
القسم مطلقا بل مقيدا او انه مطلق ليس بمقيد بوقت من الاوقات
بصحة الكلام واستقامته وان كان نهارا او ما كمل السعيد ضد المعنى
لان القسم حاصل وقت التكلم بهذا الكلام وان عطف كان نهارا وكل
او حالا لا يدفع الفساد بل يزيده لانه يلزم منه فساد اخر وهو وقوع
على ظرف الزمان حالا من غير الحدث او في معناه وايضا ما ذكره من

ان ادوات العطف يبطل المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين
لا يصح بناء على ما سبق من انه ليس في المعطوف عليه ظرف اصلا
وههنا سؤال مشهور فيما بينهم اورده في هذا المقام وهو انه منقوض
بمثل قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس لان الواو هناك
عاطفة وقد تقدم صريح فعل القسم كما صرح به الشيخ ابن الحاجب وصاحب
اللباب وغيرهما من شراح الكشاف وغيرهم وقيل يمكن ان يكون
الواو في قوله والليل اذا عسعس واو قسم وفي والصبح عاطفة فيطرد
ما ذكره ولا يرد عليه النقض المذكور جوابا وفيه بحث لان ما استكرهه

الملل وبسره من ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول باق على
على هذا التوجيه وقد سمعت ان الشمس معمول لفعل القسم لفساد معنى
او الفساد بالزمان عن مراد حالا كان او استقبالا بل الحق انه معمول
مضاف المقدر من نحو العظمة لان الاقسام بالشيء اعظام له كما في
جوابه في قوله تع لا اقسم بيوم القيمة كأنه اقسم بعظمة يوم كذا على نحو
قولهم عجبا من الليل او اسطاس المعنى على تعدد التعجب من قوله
وعظمته وذلك الزمان سواء وقيل ان اداتها قد انسلخ للظرفية
بدل من الشمس بدل الاشتمال فهو ليس مقصودا بالحكم وابدلا
منه كانه قيل والليل وقت غشيانه فعلى هذين الوجهين لا يكون
الواو الا عاطفا مقام العامل وحده من غير عطف على عاملين العطف
بحرف واحد على عاملين مختلفين لا يصح مطلقا عند سيبويه ويصح عند
الفراء وان اتحد المجرور ما في المرفوع والمنصوب فهما صح عند
الاكثرين نحو في الدار زيد والحجرة عمرو وهذه كلمات العوام في هذا
المقام فعليك الاعتبار ثم الاختيار لا رادة الوصفية ما لها
فيها دون من كما قال او اعلم انه يلزم ح تقديم الاقسام بغير الله
على اقسام بنفسه عز وجل لعله من قبيل الاهتمام بالمراد لان هذه
الامور داله على وجوده وكمال قدرته وهذا اولى من جواب الامام
عنه بان اعظم المحسوسات الشمس فذكرها الله تع مع اوصافها
الاربعة الداله على عظمها ثم ذكر ذاته المقدسة ووصفها بصفات

بلث لتحطي العقل بادراك جلال الله وعظمته على ما يليق به والحس
لاما رعه فكان ذلك طريقا الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات
الى مدارج كبرياته وذلك لانه لو سلم ان اعظم المحسوسات
الشمس فلا نم انها مقسم بها في المواضع الاربعة كما لا يخفى وانه كلامه
يدل على ان السماء لم يقع مقسما بها وكذا الارض والنفس وذلك
خلاف الواقع وانه غرضه لم يكن موقوفا على الدعاوي المذكوره
ولذلك اورده وكره لو يشير فيه بان الدلالة على وجود الصانع وكمال
قدرته لا توجب ايراد ذكر السماء اذ لو ذكر مع البدنة وحمل النجوم
مركوزه فيها لكان ادل على ما ذكر الا ان يقال ان الاكار حط
قوله الا ان يضمر فيها اي في الافعال المذكورة اسم الله للعلم
به لا اختار في انه يندفع ح المحذور الاول وهو تجرد الفعل عن الفاعل
وسياق كلامه يدل على ان اختلاف النظم اندفع به ولا
فلا وجه لما جزم به بل لا بد من عدم ... على قوله ونخل بنظم قوله فالهمها
الخ وذلك اذ كان اخلاله بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها
بقوله وما سويها لانتفاء الضمير في احدهما دون الاخر لكن الاخلال
ح لا وجه له لان سبق الذكر ان كان شرطا فليس في الهمها
ايضا فاعل والا ففي الجميع فاعل لان المرجع معلوم فان قيل
فساد النظم لا يلزم من عطف الفعل على الاسم فنقول انه لا
يندفع بما ذكره المحشي بل بانه عطف على ما بعد ما كانه قيل ونفس

ونفس وما سواها فألهمها فجورها فان قلت الفاء يدل على الترتيب
من غير مهلة والتسوية قبل نفخ الروح والالهام بعد البلوغ
قلت التسوية تعديل الاعضاء والقوى ومنها المفكرة
والالهام عن بيان كيفية استعمالها في التحدس بهذا
المحل وهو غير مفارق عنه منذ سوى ثم يزداد بحسب ازدياد
القوى كيفية لا وجودا على ان المهلة نحوها عرفية وقد يعد متعقبا وان
تراخ ثم انه مشترك الالزام ولا معنى لقول من قال النظم الكريم
يوجب موافقة القرآن لانها حاصلة واما ذلك بناء على
توهم ان قوله فالهمها جملة وبالجملة لا يلوح فساد هذا الوجه
وهو منقول من الفراء والزجاج للتكثير كما في قوله علمت
فالمراد كل نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم لان الله
سواها عقيب انقضاء بناء السماء وطحو الارض ويمكن ان
يراد نفس الرسول صلى الله عليه وسلم لان تسويتها بعد
بناء السماء وطحو الارض ويدل عليه حديث لولاك لما
خلقت الافلاك قال الامام لو قيل انها حاصلة من بين النفوس
وهي النفس القدسية النبوية وذلك ان كل كثرة لا بد لها
من وحدة هي الرئيس فالمركبات جنس تحته انواع ورئيسها
الحيوان ورئيسها والحيوان جنس تحته الانواع ورئيسها
الانسان اصناف ورئيسهم النبي صلى الله عليه وسلم

والاشياء

والانبياء كثيرون ورئيسهم المصطفى صلوات الله عليه والهام
الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما اي ليس المراد من الفجور
والتقوى الهام ان يفجر ويتقي اي اعانه في فعله ذلك [illegible] اد
افهامهما وان احدهما طاعة والاخر معصية ويمكنه من [illegible] ما شاء
منهما في الكواشي بين لها طريق الخير والشر وعلمها المعصية والطاعة
اولهم اهل سعادة التقوى واهل الشقاوة الفجور زعموا انه عدم الفجور
على التقوى لبيان رؤس الآي وفجورا انه عدم شدة الاهتمام بنفيه
لانه اذا اسمى الفجور وحدث التقوى بعدم ماتم بسابه اعني قوله
تع قد افلح من زكاها الضمير المستتر يمكن عوده الى الله تع والى الموصول
وهو من ومنهم من رجح الاول ومنهم من رجح الثاني فنقول يؤيد
الاول امور الاول ان الكل سبعة بنائه واحد من قوله والسماء وما
بناها والضمائر المستترة في تلك الافعال كلها لله تع بالاتفاق والثاني
قوله تع قد افلح من تزكى مطاوع زكى فدل على ان المعنى قد افلح من زكاه
الله تع فتزكى والثالث قول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم آت
نفسي تقويها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها والرابع
ما رواها الواحدي عن ابن عباس انه قال قد افلحت نفس زكاها الله تع
واصلحها وطهرها ووفقها للطاعة وخابت وخسرت نفس اضلها
الله واغواها والمعنى على هذا الوجه قد افلح من زكاها الله تع فالضمير
المنصوب راجع الى من وانما هو لانه في معنى النفس ويؤيد الثاني ان

وجوه الاول الضمير المستتر في قوله ونفس وما سواها كلها للنفس
فلا سبك والثاني انه لا حاجة الى العدول بان ما بمعنى الذي الى
الى من لانه في معنى النفس والثالث ان الضمير المستتر في قوله
وما بناها كلها بعد دسالى موصولاتها والرابع ما روى انه قيل
ابن عباس من فاعل زكى ودسى فاجاب ان فاعل قد افلح من زكيها
وفاعل وقد خاب من عمل ظلما وفاعل قد خاب من دسيها سوى الضمير
المستتر في زكيها عايد الى من والبارز الى النفس وكذا في دسيها
في سعد من اصلح نفسه ورتبها بالعلوم النافعة والاعمال الصالحة وكلا
ان التزكية والتدسية من جملة الافعال التي يصح نسبتها الى الله تعالى
والى العباد فيصح كلا الوجهين ولا يلزم اسنادها الى العبد ان
يكون خالقا لها لان الاسناد يقتضى القيام لا الصدور وانه ظ فالاستدلال
بالشان ذلك على ان العبد خالق لافعاله ليس بتام ثم ان اختيار الموصول
الدال على الابهام في الذات للتنبيه على ان المعتبر هو الوصف الماخوذ في
الصلة والنكرة في الموضعين للتعميم او للتفخيم والتعظيم فالمراد هو آدم او الرسول
صلى الله عليه وسلم قوله جواب القسم وحذف اللام للطول هذا هو قول
الزجاج وقد يقال ان طول الكلام يوجب ذكرها لاحتمال الغفلة
قوله وكانه لما اراد به الحث بدل على الضمير المستتر يعود الى من ومعنى قد افلح
كمل نفسه بالعلم والعمل والمنصف هو التعميم ويجوز ان يراد به التعظيم ويكون
المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم لانه في غاية التكميل باعتبار

القوتين

94

القوتين النظرية والعملية فهو افضل من كمل نفسه لهاتين القوتين ويمكن
ان يراد قد افلح من زكى النفس فيكون اشارة الى مرتبة التبليغ
كقوله تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فعلى هذا ايضا المراد به الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا اختار ان انه تكميل بقوله وقد خاب من دسيها
على ما يقابل قوله قد افلح من زكيها على جميع الوجوه المذكورة فافهم قوله
الذي سمى كمالات القوة العملية على انه الكمال باعتبار هذه القوة
انه هو التحلي بالامور الحسنة والادراكات الحسنة على ما بينوه في
مباحث مراتب النفس مدنسه وقيل استطراد يعني قد افلح من
زكاها كلام واقع على سبيل التبعية لقوله فالهمها فجورها وتقويها
وليس في جواب القسم في شيء هذا قول الفراء وقد اختاره صاحب
الكشاف وقيل انما اختاره لان قوله كذبت ثمود بطغويها انما يرتبط
بما قبله ان لو قدر جواب القسم وجعل هذا دالا عليه بخلاف جعل
قوله قد افلح جوابا فانه حينئذ غير مرتبط به وفيه بحث لانه على هذا
يكون قوله كذبت ثمود بطغويها كلاما موردا على سبيل الاستطراد
والتبعية لقوله وقد خاب من دسيها فان الطغيان اعظم انواع
التدسية والغرض منه هو التنبيه على ضرر التدسية هذا والقول بانه
يلزم ح حذف اللام معارض بحذف المقسم عليه وهو ان كان كثيرا
في الكتاب العزيز لكن الاول ايضا مما جوزه في اول المؤمنين ولا شك
ان التزكية على وجه قراءة المصنف لا اختصاص لها بالقوة العملية وانها تعم

الكمال باعتبار القوتين فلما تم ما قبل لا يليق بالنظم المعجز ان يجعل ادنى
الكمالين اعني التزكية لاختصاصها بالقوة العملية المقصد بالاقسام
ويعرض عن اعلاهما اعني التحلية بالعقايد اليقينية الى لب الالباب
ولم يسلم فمن مقدمة التخلية في البابين والا انصاف اي تعالى
ان ثبت ان سورة وردت في تثبيت المؤمنين ونصيرهم
على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم كما قيل في سورة
البروج فالاظهر هو القول بالحذف والا فلا فتامل قوله ليدمدم
حي يقال دمدم عليهم اي اهلكهم قوله او بما اوعدت به
فالباء في بطغويها صلة لكذبت وقوله بطغويها من قبيل
ذكر اللازم وارادة الملزوم والطاغية هي البلية العظيمة وقيل
انها صيحة السب والظاهر هو الوجه الاول والباء
للسببية قوله تفرقة بين الاسم والصفة في فعلى من بنات
الواو فانهم قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في
الصفة فقالوا امراة خزيا وصديا كذا في الكشاف قوله ظرف
لكذبت او طغوى او لهما على سبيل التنازع وقد يعالى
يجوز ان يكون ظرفا لما قال وعلى كل تقدير معنى قوله فكذبوه فكذ
بعث فكذب قوله او هو ومن مالاه اي الاشقى هو قدار بن
سالف ومن مالاه اي عاونه على قتل الناقة قوله اذا اضيف
صلح للواحد والجمع تقول هذان افضل الناس وهؤلاء افضلهم

كما

كما تقول هذا افضلهم قوله تع فقال لهم هذه الفاء وما بعدها للعطف
والضمير في لهم لثمود وتانيث ضميرها وتذكيره باعتبارين اعتبار
الجماعة واعتبار انهم ذوو العقول ويمكن ان يكون لاشقاها
اذا اريد به جمع وكذا في سائر الضماير التي بعده قوله فلا
تذودوها عنها من الذود وهو السوق وفي الكشاف فلا تزووها
عنها من الدل وهو القبض الحصر لسقيها قال سقيته والاسم
السقيا قوله فعقروها اي الناقة اسند الفعل اليهم وان كان العاقر
واحدا لقول قتادة واصحابهم تعاطى لرضاهم به كذا قيل قوله
وهو كون دمدم بمعنى اطبق ناشئ من تكرير قولهم ناقة مدمومة
المثل شحما وفي التاج الدمدمة هلاك كردن وخشم كرفتن وقد حكا
على وتكلمها في تفسير فدمدم عليهم ربهم وقال الزجاج والازهري
اطبق عليهم العذاب يقال دممت على الشيء وغيره اذا اطبقت
عليه ما واكررت الاطباق قلت ودمدمت عليه قوله بسببه
وهو تكذيبهم الرسول او عقرهم الناقة وفي التعبير عنه بالذنب ايذا
بعظم تباعة الذنب على كل مذنب ان يعتبر ويحذر قوله اي ثمودا
وفي بعض النسخ اي ثمود وهو اوفق لما وقع في الكلام والاقرب
هي والمقصود منه ان الضمير المنصوب في فسويها اما للدمدمة او
لثمود وكذا الحال في ضمير عقباها وشك ان المضاف
محذوف اذا كان ضمير عقباها لثمود واليه اشار بقوله او عاقبتها

هلاك ثمود قوله والواو للحال او للعطف ويؤيده قراءة فلا
العطف وفي الكشاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم تمت
السورة والحمد لله على الاتمام سورة والليل بسم الله الرحمن الرحيم
اي تغشى الشمس من قوله والليل اذا يغشاها او النهار من قوله
يغشى الليل النهار او كل ما يواريه الليل بظلامه من قوله اذا وقب
وتقديم النهار في السورة المتقدمة باعتبار الشرف وتقديم الليل
هنا باعتبار الاصل قوله ظهر الخ لا اخفاء في ان الظهور والتجلي
اوان والتفاوت باعتبار السببين وقد سبق ان الواو الاولى
في نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند
الخليل وسيبويه الثانية للعطف لان ادخال القسم قبل تمام الاول
لا يجوز ومن قال انها للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على
عاملين لان قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب
بالفعل المقدر الذي هو اقسم فلو جعلت الواو في والنهار اذا
تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على
اذا يغشى كقولك ان في الدار زيدا والحجرة عمرا واجيب بان واو
القسم نزلت منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت
كانها الناصب نصا وجرا وصارت كعامل واحد فلان كل
عامل له علان يجوز ان يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق
نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فيرتفع بالواو وينصب ثانيهما

مقام ضرب الذي هو عاملها نكتة ههنا واورد عليه قوله تعالى فلا
اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا
تنفس حيث صرح بالعامل وليس مما كسر من باب منهما وعمل
عليها وجوز الشيخ ابن الحاجب العطف على عاملين وجعل منه
الا انه جعله في مقابلة سيبويه ورد جواب الزمخشري في والشمس
وضحاها بانه لم يسمع في الكلام وكان يستحسن في هذا الا بالاستعمال
ثم اعلم ان هذه الاقوال كلها تدل على ان اذا معمول لفعل
القسم او ما هو في معناه والحق ان القسم مطلق وليس بمقيد
بوقت من الاوقات او المقيد القسم بل من مقوله وقطعه
مجرور المحل بدلا من الليل ووقت غشيانه معمول مضاف
المقدر والتعظيم لان اقسام بالشيء اعظام له وقد صرح بانه
كانه اقسم بعظمة الليل وقت غشيانه وكل منها جواب
مقدر وليس فيه عطف على عاملين لا زمه الشيخ ابن الحاجب
والله در الذكر الى اشارة هذه الى وجه اسرار ما على
من هو اراده الوصف وهذه الوجه مبني على ان كلمة ما موصوفة
او موصولة ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذكر
على الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى
بالجر على انه بدل من محل ما خلق يعني وما خلقه الله اي مخلوق
الله الذكر والانثى فعلى هذا انه كلمة ما موصوفة او موصولة

لكن المقسم به هو المخلوق لا الخالق والامر بالعكس في الاول قوله خلق
الذكر والانثى من ماء واحد من كل نوع له توالد او من نوع الانسان
لكمال شرفه قوله او آدم وحوا او الرسول صلى الله عليه وسلم
وخديجة رضي الله عنها وسائر وجوه اخر الا انه لا يخفى بعضها على المحصل
قوله وقيل ما مصدرية فيه الحمل على المصدرية هذا الوجه قالوا
لم يخلق الله خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر والانثى واما الخنثى
المشكل فهو اما ذكر وانثى عند الله واما هو مشكل بالنسبة
الينا ولهذا اذا حلف انه لا يكلم ذكرا ولا انثى فكلم خنثى مشكلا حنث
كانهم اختاروا على ان تخصيصهما بالذكر لكونهما اشرفهما او لكثرتهما
والقليل في حكم العدم قوله ان سعيكم لشتى الخطاب لآدم الدعوة
وجوابه القسم المورد بعده والشتى مصدر في معنى الجمع واليه
الاشارة في قول المصنف ان مساعيكم لاشتات مختلفة باعتبار
اوجهها كما نعلم من بيان اختلافها والا فهو معلوم لا فائدة في الاخبار
عنه وبه اندفع ما اورد على قوله تفصيل مبين لتشتت المساعي من انه
يدل على انه تفصيل لاختلاف المساعي وليس كذلك بل هو مسوق
لتفصيل اوجهها من اعطى الطاعة الخ انه قال من اعطى حق ماله
او اعطى طاعة حق الله او اعطى المال للفقراء والمساكين وابن السبيل
الله او امثال ذلك واتقى المعصية او اتقى الله من قوله فاتقوا الله
يحتمل الآية او اتقى النار من قوله فاتقوا النار التي وصدق بالكلمة

97
الحسنى لا اختيار في ان الحسنى تانيث الاحسن فلا بد لها من موصوف مؤنث
وهي الكلمة على ما ذكره المصنف ويمكن ان يكون هي الخصلة او الملة او العاقبة او امثال
ذلك مما لا يخفى بعضها على من له قابل صادق للخلة التي تؤدي
الى يسر وراحة اعتبر الموصوف للتي هي الخلة والخصلة وفي قوله تؤدي
اشعار بانها مجاز من قبيل تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه وكذا الحال في
العسرى هذا ضرب مما قيل وسمي طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها
اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر وقد يفسران بالطاعة
والمعنى في الاول فسنلطف به ونوفقه حتى يكون الطاعة ايسر الامور
عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وفي الثاني فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى يكون الطاعة ايسر شيء عليه ا
واشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقيل
يعين وقيل نورد لهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الآخرة للطريق
قال فيه من يسر الفرس اذا هيأه للركوب ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له يحتمل ما في الاولى ان ينتشر
بها في ما اعطى من الامور التي ذكرناها استغنى بشهوات
الدنيا عن نعيم الآخرة هذا يصلح للمقابلة بين استغنى واتقى وحاصله
ان الاستغناء بالمعنى المذكور يستلزم عدم الاتقاء وقد ذكر الملزوم
واراد اللازم وهنا معنى آخر في كلامهم وهو انه استغنى وزهد
عما عند الله كانه يستغني عنه فلم يتقه والكلام فيه كالكلام في الاول

واما حمل الاستغنا على المجاز لانه بسبب التمتع عن الحاج لكنه سبحانه حاله
كان المستغني في الزهد فما عند الله كما اذا فسر استغنى بما عنده
ـع او استفهام انكاري فيكون ما في ما يغني معمولا مقدما
على الفعل اي اي عذاب يغني ويكف عنه ماله وحاصله انه لا يكف عنه
ماله شيئا من العذاب من الردى وهو الهلاك تردى الموت
او تردى في حفرة القبر من التردي وهو السقوط في المكان ـع
ان علينا للهدى استئناف معلل وعلى الله قصد السبيل
اي بيان الطريق المستقيم والدعا رائج والبراهين الواضحة نصب
او ثواب الهداية للمهتدين في الكشاف اي ثواب الدنيا
ادنى للمهتدي كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
تلظى اصله تتلظى وقرئ به عبر الله سبحانه وتعالى عن ذاته
المقدسة بضمير المتكلم مع الغير تارة بعد اخرى وعبر ههنا بقوله فانذرتكم
بضمير المتكلم الواحد ولعل ذلك من قبيل التفنن في طريق الاداء
ولعل الخطاب لاهل الدعوة او لكفار مكة او لمطلق الكفار والفاسقين
لا يصليها يقال صليت النار اصلاها اذا قاسيت حرها والمعنى
اخذ في تفسيره اللزوم وحمل الاشقى على الكافر مطلقا لانه من المؤمن
الفاسق فيدفع ايرادان الاول ان حصر الصلي في الاشقى الاشقياء يشكل
بالكافر الذي هو اشقى الاشقياء والثاني ان المؤمن العاصي ايضا يصليها
وذلك لان الاول يندفع بحمل الاشقى على الكافر مطلقا ويندفع الثاني

98 باعتبار اللزوم ولا يخفى ان المتبادر من الاشقى سيما اذا اخذ في مقابلة
الاتقى ليس ما هو المذكور ولعل الاولى ان يقال ان الحصر ادعائي
مبالغة في الوعيد للاشقى لان عذاب غيره بالنسبة الى عذابه كلا
عذاب فح يندفع الايرادان المذكوران بلا احتياج الى ما ذكره من
تخصيص الصلي باللزوم والدوام وتعميم الاشقى الذي اتقى
الشرك والمعاصي لم يفسر الاتقى بالذي اتقى الشرك حتى يتناول
جميع المؤمنين كما انه فسر الاشقى بمطلق الكافر لان الوصف الذي
ذكره بقوله الذي يؤتي ماله الآية يابى عنه ولان من اتقى الشرك
دون المعصية لا يجنبها وان امكن ان يقال ان دخوله النار في حكم
عدم الدخول بالنسبة الى حال الاشقى لان عاقبته النجاة من النار
كما هو المذهب ومفهوم ذلك يعني مفهوم المخالف الذي
اعتبره بعض العلما فلا يخالف الحصر السابق وهو قوله لا يصليها
الا الاشقى ـع يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند
الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة ويتزكى
ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات
لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب هذا ويمكن
ان يكون استئنافا تعليل لقوله يؤتي ماله ثم ان قوله وما لاحد عنده
من نعمة تجزى جملة حالية من فاعل يتزكى كلمة من في نعمة زائدة وهي اسم لا
ولاحد خبره وتجزى صفته اي ما لاحد عند الاتقى نعمة تجازيه بها

وقيل ان وما لاحد عنده نعمة تجازيها الا ان يفعل فعلا يبتغى به
وجه ربه فعلى هذا يكون مفعولا له وانت تعلم انه لا يلائم سياق الكلام
لانه يدل على ان المراد بيان حال المتقى بانه ليس لاحد عنده
نعمة يجزيها بانفاقه ماله بل يعني ان صرف ماله مصارف الخير لابتغاء
وجه رضاء الله لا لامر آخر ويدل على ما ذكرناه قول المصنف فيقصد
بايتائه ما يؤتى الا ابتغاء وجه ربه اما اول الكلام وهو
قوله يؤتي ماله لانه لو اجرى الكلام باعتبار الاستثناء على
ظاهره يكون ابتغاء وجه الرب منفيا وانما كان معنى الكلام ذلك
لانه لما اتبع قوله يؤتي ماله بقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى وقد يقال
او لا يرى ما له للرياء والسمعة فهم منه المجموع ذلك فكان قوله الا ابتغاء
وجه الاعلى تاكيدا للمفهوم من الكلام كذا قيل قوله في الاعلى هو الرفيع
بسلطانه المنيع في شانه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان
لانه اية الحدوث وانه صفة كاشفة للرب وفي هذه الآية الكريمة لطف
لا تخفى بوجوه كثيرة لا يمكن تفصيلها على من له تامل صادق ولسوف
ما لثواب الذي يرضيه وهو كقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولسوف
يعطيك ربك فترضى والآيات نزلت في ابي بكر رضه تعالى
عنه لكن ان يكون اللام في الاتقى والاشقى للعهد وقد سمعت فيه
وجهين اخرين تمت السورة والحمد لله على الانعام سورة والضحى

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله وقت ارتفاع الشمس

سورة والشمس والضحى اولا بضوء الشمس اذا اشرقت ثم قال
وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك قوله او النهار يريد
مقابلة الليل في قوله والليل اذا سجى قوله سكن اهله او الاسناد
مجازي او ركد ظلامه فالاسناد حقيقي وعلى كلا التقديرين فائدة
التقييد رعاية الشرف لانه اشرف الاوقات للطاعات
والاستغفار والمغفرة وغير ذلك ما قطعك قطع المودع يريد ان
ودعك ربك استعارة تبعية كذا قيل في قوله وقرئ بالتخفيف
بمعنى ما تركك يدل على انه ليس كذلك مع ان التوديع مبالغة الودع
بمعنى الترك قوله لتركه الاستثناء اشتكى صلى الله عليه وسلم من اصحاب الكهف
والروح فقال سأخبركم ولم يستثن فانقطع عنه الوحي مدة قوله كأنه لما بين
لا بيان لوجه اتصال هذه الآية بما قبلها قوله او لنهاية الحال عطف على ما فهم
من التعبير السابق وهو ان العقبى خير لك من الدنيا قال الامام ويمكن ان يقال
ان المعنى وللاحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه تعالى وعده بانه سيزيده
كل يوم عزا الى عز ومنصبا الى منصب وقال ايضا ما ودعك ربك
وما قلى حصل له بهذا التشريف عز عظيم فكأنه استعظم ذلك فقيل له وللآخرة
خير لك من الاولى يعني ان هذا التشريف وان كان عظيما الا ان ما لك
عند الله في الآخرة اعظم واعلى قوله لا للقسم قيل في لام القسم واستغنى
عن نون التاكيد لان النون انما يدخل لتؤذن ان اللام لام القسم لا
لام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لانه لا تدخل على سوف وقال

ابن الحاجب هي لام التأكيد وليست لام الابتداء وقوله من قال انها
لام ابتداء دخل على الخبر بعد حذف المبتداء ما يسند لان اللام مع المبتدأ
كهي مع الفعل وان مع الاسم فكما لا يحذف الاسم والفعل ويبقى ان وقد
لذلك لا تبقى اللام بعد حذف الاسم والنص اللام في قوله تع وان ربك ليحكم
لمجرد التأكيد مثلها في قولك ان زيدا لقائم ولا يصح ان يكون للحال
لان المعنى على الاستقبال وقد صرح في مفصله وتجويز عندنا ان زيدا
لسوف يقوم ولا يجيزه الكوفيون ولو كان للحال لتناقض واجيب بانه
قد نص في [illegible] ان اللام ملحقة للتأكيد ولا بأس بحذف المبتدأ والفرق
بين هذه اللام وان وقد انهما مؤثران في المدخول عليه مع التوكيد
بخلاف هذه اللام لان مقتضاها ان يؤكد مضمون الجملة لا غير وهو
باق وان حذف المبتدأ تأمل يظهر لك حقيقة الحال في تحقيق هذا
المقال قوله يتيما مات ابوه قبل ولادته وماتت امه وهو ابن
ثماني سنين الاصحاب [illegible] وهو رضيع قوله فآوى اي فآواك
الى عمك ابي طالب بعد موت ابيك او [illegible] اغناك بنعمه بعد موتك قوله
عن علم الحكم والاحكام يمكن ان يكون علم الحكم عبارة عن العلم بالاسرار
الالهية والامور الحقيقية وعلم الاحكام عبارة عن العلم المتعلق بكيفية
الاعمال قوله والتوفيق للنظر هذا يدل على ان علم الرسول صلى الله عليه
وسلم قد يكون نظريا قوله [illegible] وفي الكواشي اضل وهو
[illegible] واعلم ان حل الضال هنا

على الضال في طريق او نحوه لما هو المشهور من الضلالة هي سلوك طريق لا
يوصل الى المطلوب والانسب لسياق الكلام ولاحقه ما تقدم قوله فهداها
فقال الاولى ان يفسر بالتعميم مطلقا سواء كان كذلك في المال والعلم
او العبادة او سائر المراتب العلية وكذا الحال في اغنى فعلى هذا
حذف الطرف في كلا الفعلين للتعميم ولقد ذهب الى هذا كل من
قوله وكذا الحال في قوله ووجدك ضالا فهدى وكلمة اما في قوله واما اليتيم
وقيل ان الفاء في قوله فاما اليتيم للتعقيب ودخل على المسبب ما قبله وكل من الفقير
الاخرة في مقابلة واحدة من الفقر الاول لانه من النشر المشوش لان قوله
واما بنعمة ربك فحدث في مقابلة [illegible] قوله فلا تقهر
على ماله [illegible] فلا تغلب على ماله ولا على [illegible]
لضعفه قوله ولا تنهر اي فلا تزجر [illegible]
قوله تع واما السائل فلا تنهر فلا تزجره [illegible]
السائل المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره والصحيح انها تعم جميع انواع السؤال
سواء كان من العلم او المال او غيرهما فالاولى عدم التخصيص بشيء منها وكذا
النعمة في واما بنعمة ربك فحدث فانه شامل لجميع النعم الواصلة اليه صلى الله عليه
وسلم من النبوة والقرآن والعلم وسائر المراتب العلية وغيرها والتخصيص بواحد
منها ليس على ما ينبغي وبالجملة الاحكام الواقعة في هذا المقام عامة والاولى
ان لا تخصص بواحد من الخصوصات المندرجة تحتها ثم ان التحديث اعم من ان يكون
بالتعليم او غيره من القول والفعل كالشكر والانفاق هذا وراى بعض المحدث

سعم الله في الطاعات مع الرجاء وعامله النفس وطلب الامداد به وكرهه
بعض حوف العسه ولما نزلت هذه السورة كبر صلى الله عليه وسلم فصار
سنة ولفظ التكبير الله اكبر الله اكبر ولا اله الا الله والله اكبر كذا في الكواشي
قوله وعشر حسنات منصوب على طريقه ما اضمر عامله على شريطة التفسير بعده
ويكتب الله عشر حسنات لمن السورة والحمد لله على الاتمام والصلوة على
نبيه واله خير الانام سورة الم نشرح وبعض يجعلها والتي قبلها سورة واحدة
بسم الله الرحمن الرحيم قوله الم نفسحه بوسعه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق
فكان انسيا وجنيا يعني الثقلين وكان صلى الله عليه وسلم حال كونه نائما بان
ينام عيناه حاضرا قلبه ولذا قال عم ينام عيناي ولكن لا ينام قلبي قوله
من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل ومن طس ملئ حكمة وعلما قوله او بما يسر لك تلقي
الوحي وقال سهل الم نوسع صدرك بنور الرسالة جعلناه معدنا للحقائق
والحق ان قوله تعالى الم نشرح لك صدرك امر عام تندرج تلك التفاصيل تحته
فالاولى ان لا يخص بشيء منها الراغب اصل الشرح بسط اللحم ونحوه ومنه
شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وسكينة من جهة الله وروح منه
قوله في ايام صباه لعله اشارة الى ما رواه مسلم عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه
فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك
ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه واعاده في مكانه وجاء
الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع

اللون قال انس فكنت ارى اثر المخيط في صدره قوله او يوم الميثاق
لعله اشارة الى ما رويناه في حديث المعراج عن البخاري ومسلم
عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فرج عن سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبرئيل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي الحديث قوله ولعله اشارة الى ما سبق قوله
هذا مبني على ان شق الصدر ليس محمول على ظاهره بل انه كناية عن كمال
الادراك والانكشاف والتام وانت تعلم انه لا ضرورة فيه وما وقع
في حديث الاول من قول انس فكنت ارى اثر المخيط في صدره ليس
بمنطبق عليه هذا قال الامام لا يبعد ان يكون حصول الدم الاسود
الذي غسلوه من قلبه صلى الله عليه وسلم علامة الميل والركون الى
المعاصي والتحجم عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة
كونه مواظبا على الطاعات محترزا عن السيئات يفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد صاحب والاولى ان يقال ان قوله الم نشرح لك صدرك ان جعل
اشارة الى شق الصدر الواقع ليلة المعراج فقوله ووضعنا عنك
وزرك اشارة الى غسله بماء زمزم وازالة الدم الاسود منه وقوله
ورفعنا لك ذكرك اشارة الى رفعه الى السموات السبع والى
سدرة المنتهى والبيت المعمور وتسليم الانبياء والملائكة في كل
سماء ومكان علمه وامامته هناك لجميع الانبياء عليهم السلام وان جعل

اشاره الى كمال العقل و وفور الادراكات الحقة من التصورات
المطابقة والتصديقات اليقينيه وقوة المشاهدات والتجلي بالكمالات
والترقي الى اقصى مراتب القوه النظرية والعملية قوله ووضعنا عنك
وزرك يمكن ان يكون اشاره الى تهذيب الباطن عما لا ينبغي ونقض
اشتغاله آثار شواغله عن عالم الغيب وقوله ورفعنا لك ذكرك يمكن
ان يكون اشارة الى ما سيحصل له عقيب الاكتساب ملكة الاتصال والا
نفصال عن نفسه وههنا يمكن ان يلاحظ وجوه اخر ايضا لا يخفى على من احاط بما
ذكرناه والعلم عند الله تعالى مبالغه في اثباته لان الانكار في معنى النفي
ونفي النفي اثبات فهو اثبات بطريق الاستدلال فيفيد مبالغة فكانه
قيل شرحنا ولذلك اي ولاجل ان معنى الم نشرح شرحنا عطف عليه ووضعنا
لانه بهذا الاعتبار يكون عطف الجملة الخبرية على مثلها ولا يجوز ان يكون ووضعنا
معطوفا على لم نشرح حتى يكون في حيز الاستفهام لان الاستفهام في الاول
للانكار لا للتقرير وفي الثاني بالعكس وكذا الحال في رفعنا لك ومنه
علم ضعف ما وقع في الكواشي والاستفهام كلها بمعنى التقرير اي قد
فعلنا ذلك كله هذا وقيل ان الوزر المنقض للظهر استعارة تمثيلية
والوضع من ترشيحها واورد عليه ان الوضع استعارة وليس
الترشيح باستعارة والا يلزم ان يكون في مثل قوله رأيت اسدا
عظيم الشدقين مما لا تحقق له استعارة تخييلية كما لهج به صاحب
الايضاح وهو ما نقل عليه من قرطاته قبل البعثة في الكواشي
صاحب المفتاح تامل فيه ما فيه

وذلك

102

وذنبك اثمك الماضي في الجاهلية نحو ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
او ذنوب امته وجعل طاعته لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله قوله وصلى الله عليه في ملائكته يعني في حضورهم او فيما بينهم
اي معهم لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ومنه ذكره في كتب الاولين
والاخذ على الانبياء وامهم ان يؤمنوا ومنه قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنه انه سبحانه وتعالى مدحه
في مواضع عديدة من قرآنه المجيد ومن جملتها هذه السورة
قوله وخاطبه بالالقاب مثل يا ايها النبي ويا ايها الرسول
وكلما ذكره ايما ذكره انما ذكره على وجه التعظيم والتكريم وانما
زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح كانه قيل الم نشرح لك
ففهم ان ثمه مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما اورد
عليه انه يلزم ان يكون في ضرب زيد عمرا اجمال وتفصيل
لانه اذا قيل ضرب زيد علم ان ثمه مضروبا فاذا قيل عمرا اوضح
ما علم مبهما واجيب عنه بان وزانه ليس وزانه لانه انما يفهم في
الم نشرح لك ان ثمه مشروحا باعتبار ان ذكر لك قبل ذكر المفعول
يؤنس عن ذكره فاما في ضرب زيد فلا يأس عن ذكره فالسامع
ينتظر عقبى الكلام ولا يخطر بباله ان ههنا مضروبا حتى يصير طالبا له وفيه
بحث لانه يعتبر في طريقة الابهام والايضاح اليأس عن الذكر

ثانيا بل نقول ان الذهن المستيقظ طالب للذكر وايضا ان
ذكر لك قبل ذكر المفعول لا يوحش عن ذكره وما ذكره مجرد دعوى وكذا ما ذكره
من ان السامع لا يخطر بباله ان هناك مضروبا حتى يصير طالبا له ثم لا بد له
من بيان وبعد اللتيا والتي انه مردود بمثل قولنا ضرب زيد في
الدار عمروا والفرق بينهما بان صدرك في الاية مغن عن ذكر لك
بخلاف عمروا فانه غير مغن عن ذكر في الدار لا يجدي نفعا فيما هو
محل النقض هذا وقيل فائدة الظرف في امثال هذا المقام زيادة الربط
كقوله تع اقترب للناس حسابهم على ما صرح به صاحب الكشاف
هنالك وقيل يحتمل ان يكون لك لزيادة الاختصاص كما في اياك نعبد
وان كان المعنى مستقلا بنفسه وان يكون من قبيل اللام فالاهم
وقيل اللام في لك لام العلة نحو قولك فعلت ذلك لاكرامك فان
حذفتها قلت فعلته اكرامك وان حذفت المصدر وزدت اللام
قلت فعلت ذلك لك فالمعنى الم نشرح لهذا صدرك كما قال الله
تع فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فلما حذف المصدر
وجب اثبات اللام وكذلك قوله ورفعنا لك ذكرك اي رفعنا لتشريفك
ذكرك قوله فان مع العسر يسرا هذا مرتبط بقوله الم نشرح لك صدرك
الى قوله ذكرك من حيث ما يفهم منه وينتقل الذهن اليه مثل فلا تتأيس
ولا تقنط من رحمة الله لان تذكير ما انعم به عليه من جلائل النعم وتعدادها
عليه ينبئ عن الافضال والاحسان وعن عدم انقطاعهما وقوله فان

مع

قوله كضيق الصدر فيه اشارة الى انه كان اولا عسر كضيق الصدر والوزر وخفض الذكر ثم بدل الله تعالى
الى يسر كخير في الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر فاذا كان يعده عسر كتعيير المشركين للرسول عليه السلام والمؤمنين
بالفقر والضيقة فلا تيأس من روح الله تعالى فان مع العسر يسرا فعلى هذا كلمة الفاء تعليلية لا فصيحة

103

مع العسر يعلل لهذا المفهوم منه وعلم منه ان هذه الفاء تعليليه
وقيل فصيحه ورد بانه غلط بعلم وجه مما قررناه قوله والمعنى بما في
ان مع من المصاحبة يعني ان كلمة مع للمصاحبة والمقصود من المصاحبة
هنا المبالغة في وقوع اليسر بعد العسر كانهما مصاحبان قوله او
الاستئناف فاليسر الثاني غير الاول ولذا قال وعدة بان العسر
مشفوع بيسر آخر فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس اما اذا
كان للعهد فظ واما اذا كان للجنس فلان لفظ الجنس ما لم
يصرفه صارف محمول في كلام العرب على العموم فقولهم الماء
بارد محمول على كل ماء وقد صرح به النحاة في بحث المبتدا في
ضربي زيدا قائما فلا يرد عليه المناقشة لان المراد بالجنس ههنا
ليس نفس حقيقة المعرف باللام حتى يكون واحدا بل المراد به
الحقيقة في ضمن الفرد ويجوز تغاير الفردين تأمل قوله فيحتمل ان يراد
بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول تحريره ان الحمل على الاستئناف
راجح لفضل التأسيس على التأكيد وكلام الله تع محمول على
ابلغ الاحتمالين واوفقهما سيما ههنا في مقام الوعد والتسلية
والتنفيس والحمل عليه يقتضي ان يكون مع العسر الواحد يسران
لان العسر الثاني هو العسر الاول بمكان اللام واما اليسر فالثاني
منه غير الاول لانه لو كان هو الاول والحال ان العسر الثاني
هو الاول لكان قوله ان مع العسر تكرارا للاول وقد حملناه على

عره فيكون مع عسر يسران وهو المطلوب ثم اعلم ان كلا اليسرين
يمكن ان يكونا في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم كفتح مدينة
وفتح مكة ويمكن ان يكون احدهما في ايامه عليه السلام والآخر
بعده مما تيسر لهم في ايام الخلفاء ومن بعدهم ممن تخذ وخذوهم
ويجوز ان يكون احدهما يسر الدنيا وثانيهما يسر الآخرة كقوله
قل هل تربصون بنا الا الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى
الثواب ولا يرد عليه ما قيل ما ذكره من اتصال اليسر والعسر
فائت بين العسر ويسر الآخرة وذلك لانه يحقق وقوعه
ويقرره كانه واقع ويؤيده ما اشتهر فيما بينهم ان كل ما هو
آت فهو قريب فاذا فرغت الفاء فيه داخلة على المسبب
لان جلائل النعم المعدودة تستدعي شكرا انيا سببها وفي
قوله شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم
الآتية اشارة الى ما ذكرناه وينبغي ان يعلم ان قوله فرغت
فانصب كلاهما مطلقان يجوز ان يجريا على اطلاقهما بان يقال
فاذا فرغت من عبادة ذنبها باخرى وان يخصصا بالتبليغ
والعبادة او بالغزو والعبادة كما قيل رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر او بالصلوة والدعاء لان الصلوة افضل العبادات
مخها او بالدنيا والصلوة لان الفراغ اكثر ما يستعمل في الامور الدنيوية
ومنه الحديث فراغك قبل شغلك والاول اوفق للسياق وبدوام

الامر بدوام العبادة ولذا اختار صاحب الكشاف ولا تسأل
عن غيره الاولى ان يقال واجعل رغبتك اليه خصوصا والتخصيص
يفيد تقديم الجار والمجرور على الفعل كما في قوله تعالى اياك نعبد
وذلك لان تخصيص الرغبة بالسوال ليس على ما ينبغي والاولى
ان يحمل على اطلاقها سواء كانت في السوال او في غيره هذا ومثل
الظاهر ان قوله والى ربك فارغب معطوف على مجموع الشرط
والجزاء لا على الجزاء وحده تمت السورة والحمد لله على الالهام
والصلوة على رسوله والاكرام سورة والتين بسم الله الرحمن الرحيم
خصهما من الثمار بالقسم جعلهما مقسما به والبعض حمل الكلام
على ان القسم باشجارهما او بمنابتهما وبعضهم جعل المقسم به
في امثال هذه المواضع هو رب هذه الاشياء ومع ذلك لا
بد من ان يعتبر تشريف تلك الاشياء لها ولذا اقيمت مقام
المقسم به الحقيقي وبالجملة اقسم بهذه الاشياء تشريفا لها او
اقسم لها والمراد منبتهما قوله وقيل المراد بهما جبلان من الارض
المقدسة وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون
جبال الشام لانهما منابتهما ويعلم منه ان المراد بالتين جبال كذا
ومن الزيتون جبال كذا الا انهما علمان لها والعلاقة فيه ظاهرة ولما
اذا اريد بهما مسجد دمشق وبيت المقدس او البلدان فلا يظهر
المناسبة قوله يعني الجبل يعني ان الطور هو الجبل وسينين هو

سورة التين

البقعة اى الآمن يعنى انه فعيل بمعنى فاعل وهو الآمن بمعنى ذى امانة
وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه قوله او
المأمون فيه يعنى انه فعيل بمعنى مفعول انت تعلم ان سياق كلام
المص يدل على ان المأخذ على هذا التقرير هو ما ذكره اولا وهو امن
الرجل امانة وانه من قبيل الحذف والايصال وكلام الكشاف يدل
على ان الامر ليس كذلك حيث قال ويجوز ان فعيلا بمعنى مفعول
من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن فى قوله حرما آمنا
بمعنى ذى امن قوله فى احسن تقويم ظرف لقد خلقنا وقيل حال
من الانسان قوله واستجماع خواص الكائنات ونظائر ساير
الممكنات ومن ثمه قيل الانسان عالم صغير بان جعلناه من
اهل النار لعله ضمن رددناه بمعنى جعلنا ولذا جعله متعديا الى
المفعول الثانى ايض بنفسه قوله او الى اسفل السافلين اشارة
الى ان اسفل سافلين منصوب بنزع الخافض مع اسفل السافل
هو النار او ارذل العمر فعلى الوجه الاول اسفل السافلين مفعول
لرددناه على تضمين معنى الجعل وعلى الثانى والثالث منصوب
بنزع الخافض هذا وقيل انه حال من المفعول او نعت لمكان محذوف
قوله فيكون انما كان الاستثناء فى الثالث منقطعا لانه لم
يخرج بالا احد من المذكورين قبله من الحكم اثبت لهم بل اثبت
للواقع بعده حكم لم يثبت للواقع قبله فالا بمعنى لكن والذين

آمنوا

آمنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره
دخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط يعنى ولكن الذين كانوا صالحين
من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على
ابتلاء الله لهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام
بالعبادة على تخاذل نهوضهم ووجه الاتصال على الوجه الاول
والثانى طه وفى الكواشى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء
متصل من الانسان اى هولاء يدخلون النار ولا يردون الى
ارذل العمر ابن عباس من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر لانقطع
لانه يكتب لهم بعد الخرف مثل اجرهم فى حال الشباب روى انه
اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل كذا
فى الكواشى وهو اى قوله فلهم اجر غير ممنون على الاول اى
على تقدير كون الاستثناء متصلا حكم مترتب على الاستثناء
مقرر له وقيل الفاء للتعليل هذا هو الظ وقيل دخل الفاء
هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين ويمكن ان يكون ذلك
للتنبيه على ان كل منهما صحيح ولا حاجة الى القول بالجمع بين اللغتين
قوله فما فيكم فاى شئ يكذبك بمحمد دلالة او نطقا والاستفهام للانكار
والنفى قيل فعلى هذا يكون من باب الالهاب والتعريض بالمكذبين
وانه لا يدلك شئ بعد هذا البيان بالدين لا كهولاء الذين لا يبالون
بآيات الله ولا يرفعون بها رأسا ولعل قوله دلالة او نطقا للدلالة

على ان معنى ما اعم من معنى من والباء للسببية وليست صلة للتكذيب لانه
لا يقال كذبه تكذيبا على ان الباء صلة له بل يقال كذب به بدون المنصوب
والمضاف محذوف اى بسبب الدين وانكاره وذلك لان المعنى لا يستقيم
بدونه ومنه يعلم ان الحال فى الوجه الثانى ايضا كذلك قوله وقيل ما بمعنى
من هذا هو الظاهر اذا كان الخطاب للرسول عليه السلام وقد اقتصر عليه كثير
منهم على هذا التقدير قوله على الالتفات من الغيبة الى الخطاب والمعنى
فما الذى يحملك على هذا الكذب فالاستفهام للانكار التوبيخى وقيل
والمعنى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء
يعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة
الى ان يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح
منه على قدرة الخالق وان من قدر على الانسان على كله لم يعجز عن اعادته فما
سبب تكذيبك بالجزاء هذا مبنى على ان تفسير اسفل سافلين بارذل العمر
ولو فسر باهل النار او بالنار فلا يتم ما ذكره وكذا الحال فى كلام المصنف
حيث قال بعد ظهور هذه الدلائل نعم يتم ذلك لو كان خلق الانسان فى
احسن تقويم دليلا على كونه قادرا على الاعادة والجزاء ولا خفاء فى انه يمكن
تفسير الدين بالاسلام والمراد بالاستفهام ترغيب المكذبين وتخويفهم يعنى
فمن يكذبك يا محمد بعد ان تقرر انا رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بالدين اى الجزاء اى ملة الاسلام وكلمة الفاء فى فما
لافادة ترتب هذا الحكم على ما سبق قوله تعالى أليس الله باحكم الحاكمين

فيه المتكلم الالتفات من التكلم الى الغيبة وما ذكره المص من المعنى انما
يظهر لو افاد لفظ الله تلك الاوصاف المذكورة ولو كان بدله اسم
الاشارة لكان ما ذكره ظاهرا والاولى ان كما فى الكشاف وغيره
انه وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله تمت السورة والحمد لله
على الاتمام سورة العلق بسم الله الرحمن الرحيم وآيها
تسع عشر وفى الكواشى وهى ثمانى عشرة او تسع عشرة او عشرون انه عن
ابن عباس ومجاهد هى سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة
اول ما نزل ثم سورة القلم وقيل قد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما
عن جابر ان اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر وكذا قد ثبت فيهما
عن عائشة انه هو اقرأ باسم ربك الذى خلق ووجه التوفيق بينهما
ان اول ما نزل به من الامر بانشاء القراءة هو اقرأ ومن الامر
بانشاء الانذار يا ايها المدثر قم فانذر مفتتحا باسم اشارة
الى ان باسم ربك منصوب على الحال متعلق بمقدر مثل مفتتحا
او مستعينا وفى الكواشى دخلت الباء فى اقرأ باسم لتدل على
الملازمة وقوله اى باسم ربك والاسم مقحم كما فى قوله سبح اسم
ربك التكرير لا خذت بالخطام ولو قلت اخذت الخطام لم يدل على
التكرير والدوام وفيه بحث لان الباء لو لم تكن لكان الامر بقراءة
القرآن مفتتحا بالاسم او مستعينا به كما ذكره المص ولو سلم فلا يدل
الباء على الملازمة والتكرير لا بد له من بيان اى الذى له الخلق

فعلى هذا الوجه الفعل منزل منزلة اللازم لافادة ان مطلق الخلق منحصر
فيه لانه عام في افراده كانه قيل الخلق كل الخلق   او الذي خلق
كل شيء ثم حذف المفعول للتعميم فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس
بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض فعلى كلا الوجهين سيما الاخير
في الكلام تخصيص بعد التعميم واشار الى النكتة فيه بقوله ثم افرد ما هو
اشرف ولم يقل هو اشرف ما على [الارض] ردا على مذهب اهل الاعتزال
من تفضيل الملائكة ولو ذكر كون التنزيل الّه في هذا المقام لكان اولى
واظهر صنعا وتدبيرا يعني ان آثار صنعه وتدبيره اظهر فيه من صنع
سائر المخلوقات وتدبيرها فافهم وفي هذا اشارة الى نكتة اخرى
للتخصيص بعد التعميم كما ان قوله اوّل على وجوب العبادة الخ كذلك
وانما كان ادل لان خلق الانسان اقرب الى وجوب العبادة عليه
من خلق مطلق الاشياء   او الذي خلق الانسان فعلى هذا
خلق في الذي خلق ليس بمنزل منزلة اللازم بل هو متعد مفعوله الا
نسان لكنه لم يذكر هناك بل ابهم ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما
لخلقه ودلالة على عجيب فطرته   جمعه وهو جمع علقة كقوله من نطفة
ثم من علقة لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر حما
وقع بناء على الميل الى المعنى دون اللفظ لرعاية الفواصل   نزل
اولا ما دل على وجوده وهو الذي خلق الانسان من علق وكلامه
هذا مبني على ان هذه السورة لا سيما اوائلها اول ما نزل من القرآن

107

والتكرير للمبالغة ويمكن ان يكون خلق الذي وقع ثانيا كذلك بالنسبة
الى ما وقع اولا ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ هذا
يدل على انه قيل له اولا اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ فوقع اقرأ الثاني في
مقابلة قوله ما انا بقارئ والذي ثبت في الصحيحين في حديث
بدء الوحي ان الملك جاءه في غار حراء فقال اقرأ فقال ما انا
بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم فرجع بها رسول الله عم الحديث وعلم منه الامر ليس
على ما ظنه المص   وربك الاكرم ربك مبتدأ خبره
الاكرم او هو صفته والذي علم بالقلم صفة بعد صفة وعلم
الانسان ما لم يعلم خبره ومحلها نصب على الحال من ضمير
اقرأ وفيه وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تكريم الرسول صلى الله
عليه وسلم قوله الزائد في الكرم على كل كريم كل شيء كثر خيره ونفعه
فهو كريم وقيل الاكرم الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير
الاكرم بمعنى كريم ولعل قوله بل هو الكريم وحده اشارة اليه قوله

اى الخط بالقلم اول من خط بالقلم ادريس كذا فى الكواشى ثم
ان بالقلم متعلق بمحذوف وهو الخط كما اشار اليه المص وكلا مفعولى
علم محذوف اى علم الانسان الخط بالقلم ولعل من قبيل تنزيل
الفعل المتعدى منزلة اللازم اى الذى له التعليم بالقلم وفى الكلام
هنا تعميم بعد التخصيص لان قوله علم الانسان ما لم يعلم تعميم لقوله
علم بالقلم وذلك للتنبيه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة
التى لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا
ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة
واليه اشار بقوله لتقييد العلوم وتعليم البعيد قوله ما لم يعلم
اى لم يكن عالما به لمجرد قوته وفهم بقدرته ويشمل ما ذكرناه قول المصنف
بخلق القوى ونصب الدلائل الخ والمراد بالانسان الجنس وقيل
آدم علمه علم الاسماء كل شئ قوله مبدا امر الانسان وهو خلقه
من العلق ولا يلزمه الجهل ومنتهاه العلم قوله تقرير الربوبية وجعلها
لا كرميته لا خفاء فى ان الاقتصار فى هذا المقام بالتعليم بعد كمال
شرفه وفضله فكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية
تكرم كما افاد بتعليم الخط بالقلم ينبه على فضل علم الكتابة كما ذكرناه
وما يدل على معرفة شئ الخلق وخلق الانسان وما يدل عليها سمعا
هو الكتب السماوية والتنبيه عليه بقوله تعالى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم ردع فعلى هذا يحسن الوقف على كلا وفى الكواشى

يجوز ان يكون كلا بمعنى حقا فيقف على ما قبلها وردعا فيقف
عليها هذا ويجوز ان يكون بمعنى حقا لمن كفر بنعمة الله بطغيانه الباء
فى بنعمة الله صلة كفر وبطغيانه مثلها فى كتبت بالقلم وفى النسخ
لطغيانه باللام لا بالباء والاولى هى المطابقة لما فى الكشاف
لدلالة الكلام عليه وذلك لان مفتتح السورة الى هذا المقام يدل على
عظيم منته على الانسان فاذا قيل كلا يكون ردعا للانسان الذى
قابل تلك النعم الجلائل بالكفران والطغيان وكذلك التعليل بقوله
ان الانسان قوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى قيل
نزلت فى ابى جهل الى آخر السورة يعنى انه ليتجاوز حده ويستكبر لان رأى
نفسه مستغنيه ولذلك جاز بعضله انه تعالى فى افعال رايتنى
وعلمتنى وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت
بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين وفى الكواشى الرؤية
هنا بمعنى العلم لتعديها الى مفعولين الاول الهاء والثانى استغنى
فهنا دليلان على كون الرؤية بمعنى العلم فى هذا الكلام قوله الخطاب
للانسان على الالتفات يمكن ان يكون الخطاب للرسول صلى
الله عليه وسلم تسلية له ودفعا لحزنه من الطاغى قوله واجنحة هى اجنحة الملائكة
وقد كان ابو جهل يبصر الاجنحة ولم يبصر اصحابها وهذا اول ما قيل
اى اول اجنحة وهم الملائكة لقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة
وفى الحديث ان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم ذكره

وكذا الذي في قوله الخ هذا يدل على ان ارايت الثالث ايضا
تكرار للاول وفيه بحث لما قيل من ارايت الثاني تكرار الاول
للتاكيد وارايت الثالث مستقل لانه يقابل الاول للتقابل
بين الشرطين اعني قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى وقوله ان
ان كذب وتولى وحذف جواب الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط
الثاني اذ علم من ضرورة التقابل وقد اشار اليه المص حيث قال
وجواب الشرط محذوف الخ وكذا حذف المفعول الاول للثالث
اكتفاء بما ذكر في الاول كانه قيل ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى
والشرطية وهي ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى مفعوله
الثاني اي هو المفعول الثاني لارايت الاول لان الثاني والثالث
تكرار له على ما زعم ومفعوله الاول قوله الذي ينهى عبدا اذا صلى
وجواب الشرط الاول وهو قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى
محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني وهو الم يعلم بان الله يرى
تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى
هذا تقرير كلامه وانت تعلم ان كلا الشرطين المتنافيين الواقعين
بلا عطف لا يرتبط بارايت الاول اذا كان كل من ارايت الثاني
والثالث تكرارا للاول فلا بد ان لا يكون الثالث تكرارا لكي نعلماه

وايضا انه مبني على جواز ان يؤتى بالاستفهام في جزاء الشرط من
غير الفاء وفيه بحث لانهم صرحوا بوجوب الفاء اذا كان الجزاء
جملة انشائية والاستفهام وان لم يبق على الحقيقة لم يخرج من الانشاء
والاولى ان يجعل الجواب محذوفا دالا له الم يعلم عليه فهو ليس بجواب
الشرط بل هو ساد مسده واعلم ان ما ذكره مبني على ان ارايت
من رؤية القلب ولذا جعل لها مفعولين ولك ان تقول انها من
رؤية العين فلا يقتضي الا مفعولا واحدا ويؤيده ما قيل انه مجاز من
ولعل معنى ارايت هنا اعرفت كما قالوا في ارايت الذي يكذب
بالدين وعرفت لا يتعدى الا الى مفعول واحد والمعنى اي
حاصل المرام لا منطوق الكلام او كان امر اشارة الى ان
او امر عطف على كان وقوله كما نعتقده متعلق بكلامي الموضعين على
الشارع وقوله كما تقول متعلق بقوله ان كان على التكذيب حاصله انه
من كلام المصنف وارخاء العنان لغاية التبكيت ولذا جرى بان في مقام قبيل
الجزم بانتفاء الشرط الاول وثبوت الشرط الثاني وقيل عبدا ولم
يقل نبيا ولذلك خص المص لفظ البعض اولا في قوله بعض عباد الله
وقال كما يعتقد ثانيا ثم قال كما تقول فالمناسب في ان يكون الخطاب
بقوله ارايت لغير النبي عم وغير الكافر وكانه تعالى يجعل الحاكم بين اهل
الحق واهل الباطل والمصم من حق اهل الحق ويقول ايها الحاكم اخبرني
عمن زعم انه على الحق وينهى عبدا من عباد الله عن عبادة الله وطاعته

والمعنى بيان

لا انه رسول الله وصفوته بل هو بعض خلقه او بامره لعبادة الاوثان
ويعتقد انه امر بالمعروف والتقوى واخبرني ايضا عما نقول نحن ان ذلك
الآمر والناهي حاصل على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح فاحكمك
في ذلك وقال بعضهم ارايت واخواتها موجهات الى الم يعلم وهو
بعد عند الاولين وترك اظهاره اختصارا كما في آتوني افرغ قطرا ومثاله
ان يقول الرجل اخبرني عن زيد ان اوقدت عليه اخبرني عنه ان اخرته
اخبرني عنه ان لو سلمت اما يوجب حقي وقيل ان الشرط تكرار الاول لان
معنى الاول انه ليس على الهدى وحاصله ان ادخال حرف الشرط في
الاول لارخاء العنان صورة والحكم حقيقة اذ لا يكون في النهي عن عبادته
تع والامر بعبادة الاصنام هدى البتة وفي الثاني كذلك والحكم على عكس
الاول اذ لا شك في انه مكذب متول فالحاصل واحد والمنهي على
الهدى والضمير في قوله تع ان كان راجع الى العبد وفي قوله تع ان كذب
وتولى راجع الى الذي ينهى وعلى هذا ايضا يكون جواب الشرط الاول
محذوفا لقرينة جواب الشرط الثاني وقوله وقيل الخطاب في الثانية
مع الكافر قال الامام ارايت ان كان على الهدى خطاب لمن ثمه وفيه وجهان
احدهما خطاب للنبي عم ولو جعلنا لغيره لاختل النظم لان ارايت الاولى
والثانية خطاب له كانه تع يقول ايها الرسول ارايت ان كان على
هدى واختار الصواب والاهتداء والامر بالتقوى اما كان ذلك خيرا
له من الكفر بالله والنهي عن خدمته اي تلهف عليه انه كيف فوت على

نفسه مراتب العالية وما ينهاه انه خطاب للكافر لان الله تع كالمشاهد
للظالم والمظلوم والحاكم الحاضر عنده المدعي عليه يخاطب هذا مرة وهذا مرة
فلما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا
صلى التفت الى الكافر وقال ارايت يا كافر ان كانت صلوته هدى
ودعاؤه الى الله تع امرا بالتقوى اتنهاه مع ذلك وانت تعلم ان ما ذكره
المص اشارة الى الوجه الثاني منهما فعلى هذا الخطاب في الاولى والثانية
للرسول صلى الله عليه وسلم لكن ما ذكره المص ليس بمتعين فيه انه يحتمل
ان يكون الخطاب في الثانية مع المومن والخطاب في الاول عاما لكل
من يتاتى منه الرؤية وغير ذلك كما لا يخفى على من له تامل صادق قوله
في التعجب والتوبيخ يعني في قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى
فان المقصود منه مع جزاء التعجب من حال الناهي للكافر والتوبيخ قوله
في النهي اي قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى لانه اي لان الصلوة
دعوة للخلق بطريق الفعل اي امر بالتقوى بطريق الفعل لا بطريق
القول ومن الظاهر ان الدعوة بطريق الفعل الداعي اقوى من طريق
قوله فتامل قوله يحتمل ان يكون اي النهي المذكور لها اي للصلوة ولغيرها
مما اشتمل عليه الصلوة وغاية احوالها اي احوال الصلوة محصورة في
تكميل نفسه اي نفس المصلي بالعبادة وغيره اي غير المصلي بالدعوة
المفهومة من الآيات المقروءة في الصلوة تدبر كلا ردع الناهي
عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات وقد سمعت انه نحوه

ان يكون للتنبيه وان يكون بمعنى حقا قد كثر وكتبه في المصحف
بالالف على حكم الوقف هذا مبني على ما قالوا ان النون الخفيفة تبدل
الفا عند الوقف تقول في نحو قوله لنسفعا بالناصية لنسفعا قال الا
عشى فلا تعبد الشيطان والله فاعبدا وقالوا ان الخفيفة المفتوح
ما قبلها تقلب الفا كقولك في اضربن اضربا لشبهها بالتنوين
فان التنوين اذا انفتح ما قبلها تقلب الفا واذا انضم او انكسر يحذف
نحو اصبت خيرا واصابني خير وختم لي بخير واعلم ان قراءة لنسفعن
بصيغة جمع المتكلم مع النون الخفيفة هي المشهورة واما قراءة غيرها
فشاذة سواء كانت مع النون الخفيفة او المثقلة وصيغة المتكلم الواحد
او من النون المشددة وصيغة جمع المتكلم ولاكتفاء باللام اي
العهد عن الاضافة ولو لم يجعلوه بدلا من المضاف اليه لان الاصل في
اللام العهد وانما جاز لوصفها يعني ان القياس ان لا يجوز ابدال
النكرة عن المعرفة بدل الكل لان في البدل معنى البيان والمعرفة اعرف
من النكرة وانما جاز ابدالها عنها لانها لما وصفت استقلت بفائدة
لم تفدها المعرفة فكان البيان حاصلا كذا قيل في تقرير هذا المقام وفيه
بحث هذا قال ابن الحاجب سئلت عن وجه الجمع بين الناصية وناصية
واجبت بان الاولى ذكرت للتنصيص على ناصية الناهي والثانية
ذكر تنبيها على علة السفع ليشمل بظاهره على كل ناصية هذه صفتها وعلى
هي ناصية فيكون خبر مبتدا محذوف والنصب على الذم وفي الكشاف

وكلا

111

وكلا هما على الشتم للمبالغة لانه يدل على ان الكاذب
في الكذب والخطاء الى حيث ان الكذب ظاهر ان
من ناصيته على نحو قولهم وجهه يصف الجمال سندع اي
نجمع واعلم ان النادي من الندو بمعنى الحضور في المجلس
والجمع فهو بمعنى الحاضرة وهو اهل مجلس فلا حاجة الى القول
بحذف المضاف ليجروه الى النار هذا اشارة الى
ان المراد بالزبانية ملائكة العذاب ولعل وجه اراد حرف لا
الاستقبال في سندع دون فليدع التنبيه على ان المبادرة ليس
الا في الحال وماله في الآجرة من نصيب الشرط المغرب
الشرط بالسكون والحركة خيار الجند واول كتيبة تحضر الحرب
والجمع شرط هذا والعفرية تاج الديك وشعر في ناصية الدابة وقوله
او هي على النسب كانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقوله
امسي واصلها اي اصل الزبانية زباني على بعد بركو بها جمع
زبن والتاء معوضة عن الياء اي احدى الياءين بعد حذفها قال
الاخفش قال بعضهم الواحد زباني وبعضهم زابن وبعضهم زبنية
قال والعرب لا تكاد تعرف هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له
مثل ابابيل لا تطعه في ترك الصلوة بل في شيء اصلا واثبت
على ما كنت من الايمان والطاعة والخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم ودم على سجودك يريد الصلوة هذا هو المناسب لسائر

الكلام ويمكن ان يحمل السجود على ظاهره ويلائمه الحديث الذي
ذكره المص وهو حديث صحيح عن مسلم اقرب ما يكون العبد من ربه
وهو ساجد فاكثروا الدعاء رواه مسلم كذا في المشكاة تمت
السورة والحمد لله على الاتمام سورة القدر بسم الله الرحمن
الرحيم مختلف فيها مكية ومدنية وآيها خمس وست كذا في
الكواشي فخم باضماره هنا وجوه الاول انه اسند اليه وجعله
مختصا به دون غيره وهو الذي ذكره بقوله كما عظمه بانه اسند
انزاله اليه والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظ والثالث انه عظم
الوقت الذي انزل فيه ومنه علم ان قوله وعظم عطف على اسند
لا على فخم والرابع انه آثر صيغة الجمع اذ فيه تعظيم دون كل تعظيم
والخامس انه اختار صيغة الماضي لانها تنبئ عن التقرر والتمكن ويلائم
تقدمه وثبوته في الازل والسادس ان الانزال بكونه في الاصل
عبارة عن تحريك الشيء من الاعلى الى الاسفل يفيد عظمه والسابع
تاكيد الجملة بالاسمية وبكلمة ان لانه يفيد الاهتمام بشان الحكم
المستفاد منها وانه يلائم شرف ما يتعلق به هذا الحكم
شهادة له بانه منزل من الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم ومعنى
لا يليق الا القران بدبر فيه ما فيه وعظم الوقت عظمه
اولا بقوله وما ادريك ما ليلة القدر وثانيا اعلى منه بقوله
ليلة القدر خير من الف شهر وثالثا اعلى منه بقوله تنزل الملائكة والروح

الانزال حقيقة تحريك الشيء من الاعلى الى الاسفل والمقصود هنا انزال محل يقوم به الحروف والكلمات منزلة الكلام مجازا مصحح الدين

الآية

الآية وقيل الف شهر ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر
بان ابتداء انزاله فيها هذا هو المروي عن الشعبي والانزال الى
الى الرسول عليه السلام والمعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر
او انزاله جملة من الخ هذا احتمال ما روي انه انزل جملة
واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه
جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله نجوما في ثلث
وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها فالضمير المنصوب
ح ليس للقران مطلقا بل لما يتعلق منه بفضل هذه الليلة وهي
اوتار العشر الاخر من رمضان الصحيح انها في رمضان كل سنة
ولم يرفع خصص قال هي اول ليلة رمضان وعن الحسن انها ليلة
سبعة عشر والاكثر انها في العشر الاواخر لما صح في ذلك من الاحا
ديث وكان صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان
ويقول تحروا الليلة في العشر الاواخر وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل
العشر الاواخر من رمضان شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله والاكثر
من قال انها في الاواخر في الاوتار فليلة احدى وعشرين تحكى عن
ابي سعيد الخدري والشافعي وعن عمر انها ليلة ثلث وعشرين او
خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين او انها تكون في
الشفع كما تكون في الوتر والسعد وفي حين تجعل سبع ليالي
كانها ليلة القدر لتدرك البركة وانما ذلك روي انها تكون

ليلة بلجة لا باردة ولا حارة تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها كذا
في الكواشي ولعلها السابعة منها كذا في الكواشي عن عاصم عن زر ان أبي
كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابعة والعشرين من رمضان
وعليه الجمهور ان يحيى من يريدها ليالي كثيرة وان لا يتكل الناس
عند ظفرها بها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها وهذا كاخفاء
الصلوة الوسطى واسم الاعظم وساعة الاجابة في الجمعة وفي كل ليلة
ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي ليلة فيها القدر بمعنى
المنزلة والشرف من قولهم لفلان قدر على فلان اي منزلة وشرف
ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وعن ابي بكر الوراق سميت
ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي قدر
على امة لها قدر او لتقدير الامور فيها والقدر بمعنى التقدير
وهو جعل الشيء على مقدار غيره من غير زيادة ولا نقصان وليس
المراد به تقدير الله لحدوث الاشياء تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير
في الازل قبل خلق السموات والارض بل المراد اظهار تلك المقادير
للملائكة وفي الكواشي او بمعنى القدر بمعنى الضيق لان الارض تضيق
تلك الليلة عن الملائكة لكثرتهم ومنه ومن قدر عليه رزقه
اي ضيق انا للتكثير وتخصيص الشهر بالذكر لرعاية الفواصل
او لما روي انه عم الخ او لما قيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال
له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا الليلة ان احيوها كانوا

سموا

113

سموا عابدين اولئك العباد او لما روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما راى في المنام ان قردة يجلسون على منبره ويلعبون
لاهل بيته فاغتم رسول الله من ذلك فنزل جبريل عم فاخبره
ان بني امية لشمون ويلعبون لاهل بيتك وقد مضى ذلك
فانزل الله تعالى لحزن النبي عليه السلام ليلة خير من الف شهر اي
خير لك ولامتك من ولاية بني امية في الف شهر ويعني
ان يعلم ان يعني الاية الكريمة ان القيام والعبادة في ليلة
القدر خير من القيام والطاعة في الف شهر ليس فيها ليلة القدر
فيندفع ما يتوهم ان في كل سنة ليلة القدر فلا بد من ان يكون
الف شهر ليالي قدر فكيف يكون ليلة واحدة منها خيرا من
جميع تلك الليالي والايام ليظهر لك حقيقة الحال قوله تعالى
تنزل الملائكة والروح كان المص يعرض بتفسير الروح
اكتفاء بما ذكره في سورة النبأ حيث قال الروح ملك موكل
على الارواح وجنسها او جبرئيل وان شئت تفصيل المقام
فارجع الى ما ذكرناه هناك الخلق الاعظم من الملائكة هذا كلامه
وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة وقيل
الرحمة وقيل ملك اعظم ما خلق الله بعد العرش خلق
اعظم منه وقيل طائفة من الملائكة وهم لا يأكلون وقيل جند
من جند الله تعالى سال بما به فضلت على الف شهر

يعني ان سبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما وجد فيها من تنزل
الملائكة والروح ولعل قوله باذن ربهم لزيادة الاعتناء بتفضيل
هذه الليلة   ما هي الا سلامة افاده بعدم الخبر كما يسمى اتاه وسلم والسلام
اما بمعنى التسليم ذكر الوجهين والضمير لليلة والحكم بالسلام الى
على كلا الوجهين مجازي لافادة المبالغة وهذه الجملة استئنافية
وقال صاحب الكشف هي مبتداء وسلام خبر مقدم وهو
بمعنى الفاعل اي هي مسلمة ولابد من هذا التقدير ليصح تعلقه
حتى به لانه اذا حمل على المصدر لم يجز تعلق حتى به لانه لا يفصل بين الصلة
والموصول ويجوز تعلقه بقوله تنزل الملائكة ولا يجوز ان يكون هي
مبتدا وحتى في موضع الخبر لانه لا فائدة فيه اذ كل ليلة بهذه الصفة
كذا قيل وفيه بحث اذ عدم الفصل بين الصلة والموصول ليس على
الاطلاق والفصل لازمة والقول بجواز تعلقه بقوله تنزل ضعيف لان قوله
سلام هي ليس باعتراض ولا يحسن الفصل به والقول اذا كانت هي
مبتدا وحتى في موضع الخبر يجوز ان يكون هي راجعة الى الاحوال
الواقعة في ليلة القدر ولو كانت راجعة الى ليلة القدر يجوز
ان يراد الليلة المعهودة بتلك الاحوال الواقعة فيها وعلى كلا
التقديرين لا يرد عليه انه لا فائدة فيه اذ كل ليلة ليست بهذه
الصفة كما لا يخفى   اي طلوعه هذا يدل على ان المطلع بالفتح
مصدر بمعنى الطلوع البتة وفيه انه يجوز ان يكون زمان الطلوع وهذا

الوزن

الوزن مشترك بين المصدر واسمي الزمان والمكان لكنه لا يجوز
ان يراد هنا موضع الطلوع كما صرح به بعضهم   على انه كالمرجع
بمعنى الرجوع او اسم زمان قد سمعت بان المطلع بالفتح الى كذلك
فالاولى ان يقال المراد بمطلع الفجر هنا مطلعا هو المصدر والز
مان لا المكان تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة البينة
بسم الله الرحمن الرحيم   مختلف فيها مكية او مدنية واياتها ثمان
اوتسع   اليهود والنصارى فاهل الرسل اخص الناس
به واهل الاسلام من يدين به   بالالحاد الحد في دين الله
اي حاد عليه وعدل والحد الرجل اي ظلم في الحرب واصله من
قوله تع ومن يرد فيه بالحاد بظلم والباء فيه زائدة والاولى ان
يقال كفرهم بعدم اقرارهم للنبوة محمد عدم كما اشرنا اليه
ويدل عليه قولهم لانترك مما نحن عليه ديننا ولانترك حتى يبعث
الرسول الموعود قوله ومن للتبيين او للتبعيض   عما كانوا
عليه من دينهم ويؤيده ان الله تع حكى ما يقولون حتى كان الكفار
من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم لانترك عما نحن فيه من ديننا ولانترك
حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والا
نجيل وهو محمد عليه السلام   الرسول البينة الحجة الواضحة
وجعل الرسول عليه السلام بينة باعتبار ان ذاته كانت بينة على

نبوته لانه كان يسهب فى بيانه من الحدود بيدا او فى غاية من الصدق وكمال
من العمل وروى عن حجة الاسلام ان مجموع الاخلاق الفاضلة كان
بالغاية الى حد الاعجاز وان معجزاته كانت فى غاية الظهور والكثرة
والدليل على ان المراد بالبينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانفك
عما كانوا فيه من دينهم ولا تركه حتى بعث النبى الموعود فانه
اى كل واحد من القران والرسول مبين للحق وذلك اوحجة لكمال كون
القران معجزا مقرر واما ان الرسول فقوله الرسول باخلاقه واسبابه
تعليل لما ذكره من ان الرسول معجزة وقوله القرآن بافخامه فى تحدى
بيانه لكون القرآن كذلك كما هو المشهور بدل من البينة
واما جار وصفها او بقدير مضاف اى حجة رسول الله
هو القران او مبتدا الاولى ان يكون مرفوعا على المدح
للرسول بتقدير هو رسول يتلو يقرا عليهم صحفا قراطيس الراغب
الصحيفة المبسوطة من الشى كصحيفة الوجه والصحيفة التى يكتب فيها وجمعها
صحائف وصحف قال الله تعالى يتلو صحفا مطهرة اريد بها القران
جعلها صحفا فيها كتب من اجل تضمنه لزيادة ما فى كتب الله تعالى
والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة وقال الفراء قوله فيها
كتب قيمة ان القران يجمع زيادة كتب الله المتقدمة فمعنى ان
قوله تعالى يتلو صحفا مطهرة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقدير
كونه بدلا من البينة او خبره على تقدير كونه مبتدا او بيانا وجه

يطهر بالنامل الصدق وقوله مطهرة صفة صحفا او حال منها وكذا
الحال فى قوله فيها كتب قيمة هذا اسم قالوا التى قبله تع لم يكن
الذين كفروا الاية من باب المكاية لزعمهم وقوله وما تفرق
الذين الزام عليهم حكى الله تع كلامهم على تحسيل النوع
فقول هذا هو الثمرة ولعل المقصد فيكون كقوله وما كانوا من
قبل الى الاشارة اليه فعلى هذا احكى الله تع اولا قولهم ثم
اوضح ان اختلافهم انما وقع بعد بعثة النبى صلى الله عليه
وسلم والله تعلم ان الكلام فى البينة بناء كالكلام فى الا
ول ولا تطهروا الزام اولا بالرسول والمراد بها بيانه
هو الرسول او القران وافاد اهل الكتاب بعد
الجمع بينهم الخ وهذا لنكته وضع المظهر موضع المضمر تع وما امروا
اى الذين كفروا من اهل الكتاب او الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين وقوله المقصد اى فى كتبهم لو بيد الاول فعلى
الوجه الاول هى حكاية ما فى كتبهم وعلى الثانى بيان ما امروا به
فى القرآن اى فى كتبهم عامها معناه وما امروا فى كتابهم
الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة فعلى هذا فى كتبهم هو
المامورية والعبادة المقيدة بقيد الاخلاص هى والعبادة كونهم
مامورين بذلك وقيل الغرض منه التحريض على الاخلاص وعدم
الاشراك فى العبادة وهو كقوله وامر بالتسليم وقيل السلام

يعني البناء او زايده هذا واعلم ان قوله وما امروا الآية اما
حال من فاعل تفرق او عطف على قوله وما تفرق الذين الآية
تامل يظهر لك وجه كل منهما لا يشركون به فعلى هذا كل
من غير المشركين فهو مخلص وفيه بحث لانه يكون حينئذ كثير ممن
ليس بمخلص مخلصا فتامل وقالوا ان العبادة من حيث لكونها مفضية
الى دخول الجنة ومنجية من عذاب النار بل لاجل انك عبده وهو معبود
وان من عبد للثواب والعقاب لم يكن مخلصا في العبودية بل الثواب
والعقاب هما معبودان وعن بعضهم ان الاخلاص ان لا يطلع على عملك
الا الله ولا ترى غيره به فيه وعن سهل نظر الاكتفاء في الاخلاص ان تكون
حركات العابد وسكناته في سره وعلانيته لله تعالى وحده ولا يمازجه شيء
ويقيموا الصلوة الآية لعله من قبيل التخصيص بعد التعميم زيادة للاهتمام
بشانها وينبغي ان يعلم ان العبادة هنا اعم من الايمان والاعمال الصالحة
وذلك ليظهر وجه الحصر المستفاد من قوله تعالى الا ليعبدوا الله الآية ويستفاد
من هذه الآية الكريمة ان الامر باقامة الصلوة وايتاء الزكوة كان ثابتا
في الكتب السابقة ايضا وذلك هو الدين الثابت بكتبهم وايثار كلمة
ذلك لافادة التعظيم وانه مذكور في قوله مخلصين له الدين وقد يقال
ان ذلك اشارة الى المجموع ليعبدوا الله الخ دين الملة القيمة اي قدر
الموصوف احترازا عن اضافة الموصوف الى الصفة كما في مسجد الجامع ونحوه
لكن اضافة الدين الى الملة بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه فان الدين والملة
متحدان ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها يطاع لها

يسمى ملة ومنه علم ضعف ما قيل لابد من هذا التقدير لانه اذا لم يحمل على هذا
لكان اضافة الشيء الى نفسه ولو قيل ان التغاير الاعتباري بينهما كاف
في صحة الاضافة وكفى في اضافة الشيء ايضا على ان التغاير بينهما حقيقي
لا اعتباري ومنه ضعف ما نقل عن محيي السنة انه قال اضاف الدين الى القيمة
وهي نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا بها الى الملة وقيل الهاء
فيه للمبالغة والاولى ان يقال ان هذه الاضافة بيانية ويؤيده ان الملة
ملحوظة من حيث المعنى وما سبق من قوله وذلك الدين القيم كقوله
دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا مسلما وقيل القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها اي ذلك
دين الكتب القيمة فيما تدعوا اليه وتامر به وقيل القيمة هنا اسم الامة القائمة بالقسط
المشار اليه بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت وقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله هذا واحتج القائلون بان الايمان عبارة عن مجموع القول والاعتقاد
والعمل بهذه الآية واجيب بانه لو سلم بان المشار اليه هو المجموع فهو محكوم عليه
بانه الدين القيم فالدين غير الدين القيم لان الدين القيم هو الدين الكامل المستقل
بنفسه وذلك انما يكون اذا كان حاصلا كانت آثاره ونتائجه حاصلة معه
من الصلوة والزكوة وغيرهما فاذا لم يوجد هذا المجموع
لم يكن الدين القيم حاصلا والنزاع في مجرد الدين وقد يقال هذا الجواب
ضعيف لان القيمة على القراءة الشاذة اي وذلك الدين القيمة صفة مميزة
فارقة للملة المستقيمة عن المعوجة اعني غير الدين الاسلامي كقوله تعالى
دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وعلى المشهورة مضاف الى القيمة
او الى الامة الابية القيمة بالحق اضافة بيان كانه قيل وذلك دين

المسلمين قوله تعالى ان الذين كفروا الى الاستئناف قوله وقرأ نافع
وابن ذكوان عن ابن عامر والنافع مقدم جميع القراء
وقد قدم الشيخ الشاطبي على القراء كلهم وقال فاما الكريم
السر في الطيب نافع فذاك الذي اختار المدينة منزلا وحكي
انه كان اذا قرأ القرآن يفوح طيب المسك من فمه فقيل له اتطيب
اذا قرأ فقال لا ولكن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقرأ في فمي
فكلما قرأت القرآن يفوح ريح المسك من فمي كذا قيل واعلم ان الجوهري
قد نقل عن سيبويه انه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة
غير انهم تركوا الهمزة في النبي صلى الله عليه وسلم كما تركوه في الذرية والبرية
والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون العرب
في ذلك ومن ثمه قيل ولا فصاحة بكتاب المنزل النبي صلى الله عليه
وسلم اذا نزل على لغة قوم على الاصل لا سيما من برا الله
الخلق وقيل اشتقاقها من البرى وهو التراب ولو كان كذلك لما
قرأوا البرية بالهمزة كذا قاله الزجاج تعالى خير البرية قيل هذا يدل
على فضل من البشر على الملائكة لان البرية الخلق مطلقا لا سيما انها
البراء بمعنى خلق كما مر العاقوله وتقييدها بالاضافة الى عدن اي اقام
يقال عدن بالمكان اذا اقام قال الراغب رضاء العبد عن الله ان
لا يكره ما يجري به قضاؤه ورضاء الله عن العبد هو ان يراه مؤتمرا
بامره ومنتهيا عن نهيه قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
والرضوان الرضاء الكبير ولما كان اعظم الرضاء رضاء الله تعالى

خص

سورة الزلزلة

خص الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى قال الله يبتغون
فضلا من الله ورضوانا او الرضوان اوكليهما معا وهذا
هو الطف السورة والحمد لله على الانعام سورة
الزلزلة بسم الله الرحمن الرحيم مختلف فيها مدنية او مكية
وايها ثمان او تسع تعالى زلزلت حركت واضطرب
اضطرابها المصدر الى الاضافة في هذه الوجوه كلها للعهد وقيل
ان هذا الاضافة للتعميم اي بما جميعها وقيل للمبالغة اي غاية الزلزلة
الزلزلة وهو اسم للحركة فالمكسور مصدر والمفتوح اسم اي اسم
المصدر وقيل كلاهما مصدر الا في المضاعف في الكواني
وقد جاءت ماده خزعال التي يطلع وقسطال اسم للغبار ولسا من
المضاعف تعالى واخرجت الارض اعادة ذكر الارض
لزيادة التهويل والتخويف او لئلا يقصر القرينة الثانية عن الاول
كما قالوا في السجع انه غير مستحسن او الاموات على سبيل
منع الخص الراغب اثقالها قيل كنوزها وقيل ما تضمنه من
اجساد البشر قوله لحمل العالم اي احمالكم الثقيلة قوله لما بهرهم
تعليمهم تعالى بهره بهر اي علبه قوله من الامر الفظيع قيل هذا اشارة
الى ان الاستفهام في لها للتقطيع والتهويل وقيل المراد
بالانسان الكافر معطوف على المفهوم من الكلام وهو ان الا
نسان عام كانه قيل المراد مطلق الانسان وقيل هذا قول الكافر

وقيل قال المؤمن نعلم ما لها فانه يقول هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون ثم قال وقيل ينطقها الله يوم تحدث بما عمل عليها هذا هو
الموافق للحديث لانه روى الامام احمد بن حنبل والترمذي
عن ابي هريرة رضه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها
قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على
عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا فهذه
اخبارها وناصبها اي ناصب كل من اذا ويومئذ
تحدث وتحدث يجوز ان ينصب كلا منهما بمقدر نحو اذكر
او اصل لا بدل منصوب بتحدث واذا منصوب بمضمر نحو
ان يقدر وعلى هذا ايضا يجوز ان يكون كلا منهما منصوبا بفعل
مضمر لكن لكل منهما فعل آخر وبفعل الاولى ما ذكره
بان احدث فيها ما دلت على الاخبار فلا ايحاء مجاز عن
هذه الاحداث او هذا الانطاق وقيل انه استعارة تمثيلية
كما سبق في قوله كن فيكون شبه ارادة اظهار ما فيها من الا
حوال بما يلقى الى المأمور لاظهار ما يراد منه من سرعة
الامتثال او يقال حديثه كذا وكذا فقوله بان ربك
بدل من محل اخبارها المتعدي وفي كلا منهم وجه آخر
الله وهو انه يجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث

ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحدث بها بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها
كما يقول نصحني كل نصيحة بان نصحني في الدين قوله او على اصلها اي لها اي ذلك
تشفي من العصاة فيكون لها نفع فيه فاللام للنفع في مقابلة على للكفر قوله
يومئذ يصدر ظرف ما لقوله يصدر او لمضمر اي اشتاتا بتفرق بهم طرقا
الجنة والنار واشتاتا حال معناه متفرقين كما ذكره فالمؤمنون بيض الوجوه
آمنين والكافرون سود الوجوه فزعين جزاء اعمالهم من الجنة والنار
وقيل ليروا اعمالهم في كتبهم هذا بدل اول وقرئ بفتح الياء وهي قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح كذا في الكشاف تمييز او صفة لمثقال ذرة
او عطف بيان له او حال منه ولعله اي لاجل كون قوله فمن يعمل
مثقال ذرة الآية تفصيل ليروا وقرئ يره بضم الياء لانه انسب للتفصيل
لو شرك في بعض الثواب والعقاب يعني لعل حسنة الكافر تؤثر في نقص
العقاب وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثر في نقص الثواب وقد وردت
الاحاديث في ان حاتما يخفف الله عنه لكرمه وفي حق ابي طالب وغيره مما يدل
الكافر اثر في تخفيف العذاب فعلى هذا التوجيه كل من الفريقين عام لجميع المؤمن
والكافر كما يقال فمن يعمل مثقال ذرة من المؤمنين والكافرين خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة من المؤمنين شرا يره وبمناسبة تفسير اشتاتا بقوله متفرقين
بحسب مراتبهم والمراد بالرؤية في قوله يره هو رؤية جزاء عمله كما قال
قوله ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم قوله وقيل الآية مشروط بعدم الاحباط والمغفرة
المعصية في هذا المقام من هذه الوجوه دفع السؤال الذي اورده صاحب

حسنات الكافر

الكشاف حيث قال حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات
المومن معفوة باجتناب الكبائر في معنى الجزاء بما قبل الذرة
من الخير والشر واجيب عنه بانه مبني على قاعدتين احديهما
ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وفيه نظر فان اريد به
انه لا يثاب بها فصحيح واما عدم تخفيف العذاب فغير مسلم
وقد وردت فيه الاحاديث كما مرت الاشارة اليها
وثانيهما ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وهو
خلاف مذهب اهل السنة فيكون الصغائر باحد الامرين اما
بالتوبة واما بمشية الله المغفرة فهذا السوال ساقط عنده ولعل
ما ذكره المص اشارة الى هذا الجواب واورد عليه ان
التوبة والاجتناب سواء في حكم النص ومساويه في السلب
الاصل واحباط الكفر لا مقال فيه الا ترى الى قوله تع
مثل الذين كفروا اعمالهم كرماد الاية نعم ربما كان لحسنات
الكافر اثر في التخفيف وذلك ليس بكلي ولا ينافي اطلاق
الاحباط عند العرف او من الاولى مخصوصة الجهد
اشارة الى ما ذكره صاحب الكشاف حيث قال في
دفع السوال الذي عليه ان المعنى فمن يعمل مثقال معا
ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من
فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا

يعني ان قوله فمن يعمل ومن يعمل لما كان تفصيلا للمجمل في قوله
يصدر الناس اشتاتا بيض الوجوه وسودها او فريق
في الجنة وفريق في السعير على الوجهين كان المناسب ان يرجع
كل فقرة الى طائفة ليطابق المفصل المجمل ولان ظاهر
قوله فمن يعمل بتكرير اداة الشرط يقتضي التغاير بين العاملين
وهذا جار على طريقة الجماعة والمعتزلة كما ظهر مما مر في رد
الجواب المذكور واعلم ان كلا من الجوابين الاولين
ليس مبني على ان يراد العموم في كل قرينة وان الجواب
الثالث مبني على ان يراد باحدى القرينتين السعداء
وبالاخرى الاشقياء الاولى للسعداء والثانية للاشقياء
والروية على جميع الوجوه المذكورة انما هي في الاخرة لا في الدنيا
وههنا وجه اخر وهو ان المعنى فمن يعمل مثقال ذرة من خير
وهو كافر فانه يرى ذلك في الدنيا في نفسه واهله وماله
حتى يلقى الاخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من
شر وهو مومن كفر ذلك في الدنيا في نفسه واهله وماله حتى
يلقى الاخرة وليس فيها شر فعلى هذا الوجه القرينة الثانية في حق
المومن والاولى في حق الكافر على عكس ما سبق في الوجه الثالث
والروية في الدنيا لا في الاخرة ومنها ان المعنى فمن يعمل في الدنيا مثقال
ذرة خيرا يره في كتابه يوم القيمة فيفرح به وكذلك يرى الشر في كتابه

فيه ذلك ومنها ان المعنى ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا
كان او شرا الا اراه الله تعالى اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته و
يثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيئاته
ويراد في هذين الوجهين العموم في كل فريق من الفريقين المذ
كورين والرؤية في الاخرة [illegible] هذا المقام ليظهر لك
المراد بعناية الملك العلام عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن ابن عباس وانس بن مالك قالا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القران رواه الترمذي
تمت السورة والحمد لله على الاتمام والصلوة على رسوله والسلام
سورة والعاديات بسم الله الرحمن الرحيم مختلف فيها
مدنية او مكية قوله أقسم بخيل الغزاة اي فرسهم وهو قول ابن عباس
وقيل العاديات الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة
الى منى ثم استعير الضبح للابل وقيل الضبح بمعنى الضبع وجمع
هو المزدلفة قوله تقدم [illegible] لعاديات في العاديات لانه بمعنى
الفعل وكذا الحال في قوله فالتي توري النار وقوله يغير اهلها
قوله فانهم [illegible] ام على الضابحات لان الضبح يكون مع
العدو اي لا يكون العدو بدون الضبح قوله فالتي توري النار بحوافرها
الخيل توري بحوافر النار اذا سارت او هي الخيل تعدو الى
سبيل الله ثم تأوي الى مبيتها فتوري النار او هو نيران ان

الحاج

120

الحاج بالمزدلفة كذا في الكواشي وانت خبير بان الاوجه الثلثة
المذكورة في ضبحا جارية في قوله قدحا والمغيرات الخيول تغير
صبحا او الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى واصل
الاغارة الاسراع في السير وصبحا منصوب على الظرفية قوله
فهيجن بذلك الوقت اشارة الى ان اثرن من الاثر والاثارة
بمعنى التهييج والى ان الضمير به للصبح والباء للظرفية اي في
ذلك الوقت كما في قوله بالعشي والابكار اي في العشي وقيل قاله الكشاف
او هيجن بمكان سيرهن غالبا على هذا الفعل للظرفية والضمير
في لمكان السير الذي يعلم من المغيرات وقيل الضمير راجع الى
مصدر المغيرات وهو المعادر اي في [illegible] والمعار عليه فالباء
للظرفية ويجوز ان يكون للسببية بان يكون نقعا بمعنى صيا
حا ولكن ان يكون الضمير للاسراع في السير المعلوم من المغيرات
فالباء يجوز ان يكون للظرفية وان يكون للسببية واعلم
انهم قالوا فاثرن عطف على الفعل الذي وضع الفاعل موضعه
لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن والحكمة
في مجيئه فعلا تصوير هذه الافعال في النفس فان التاثير
يحصل بايراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو
ابلغ في التصوير بالاسماء المتناسبة وكذلك التصوير بالمضارع
بعد الماضي وانت تعلم ان هذه الحكمة ليست [illegible] في هذا

المقام مائل لظهور تلك المرام لعناية الملك العلام قوله
فوسطن اشارة الى ان وسط بمعنى توسط بذلك
فالضمير في به للوقت وهو الصبح والباء للظرفية قوله او بالعدو
او الذي دل عليه والعاديات فالباء ح للسببية او للملابسة
او بالنقع اي ملتبسات به اشارة الى ان الباء ح للملابسة
ويجوز ان تكون للتعدية اي وسطن النقع الجمع وقيل الضمير
لمكان الغارة ويمكن ان يكون الضمير لمصدر المغيرات
وهو الغارة اي فتوسطن في وقت الغارة جمعا من جموع الاعداء
ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس الخ يمكن بيان وجه
او قربه من ذلك بان يحمل على مراتب القوة النظرية والعملية
تامل قوله لكنود بلغة مضر وربيعة اي انه لنعمة ربه جحود مبالغ في
الكفران ومعنى الاختصاص مستفاد من تقديم معموله لكنود
عليه ومعنى الشدة مفهوم من تصدير الجملة بان واللام في
الخبر وهذا سمة الجملة قوله فيكون وعيدا يعني ان كان الضمير
في انه لربه فهو وعيد للكنود ووجه على الوجه الاول
انه كذلك فلا يظهر وجه التخصيص به هذا ولعل تقديم
معموله الشهيد عليه لمحافظة رؤس الآي او لزيادة الاهتمام
به او للاختصاص كما في معمول لكنود وكذا الحال في معمول
لشديد قوله الخير المال والراغب الحريص ما رغبه الكل

ك

كالنفس والعدل والنقل والشيء السابع والشر ضده وقيل الخير والشر
ضدان وهو ان يكون خير الاحد وشر الآخر كالمال فربما كان خيرا لزيد
والشر لعمرو والشديد يجوز ان يكون بمعنى مفعول كانه شد كما يقال
الانفصال والى نحو هذا اشار بقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم ويجوز ان يكون بمعنى فاعل كالمتشدد كانه شديد قوله
لبخيل ممسك يقال فلان شديد ومتشدد بمعنى وانه لاجل حب المال وان
انفاقه ثقيل عليه لبخيل ممسك فاللام في قوله لحب الخير للتعليل قوله او لقوي
مبالغ فيه يعني وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وانه لحب
عبادة الله وشكر نعمته ضعيف فاللام ح صلة لشديد واعتبر
بان الضمير في انه للانسان على كلا الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون
لله والمعنى ان الله لحب الخير اي العمل الصالح لقوي مبالغ قوله
افلا يعلم هذا من المواضع التي لصدارة فيها الهمزة من حيث انها دخلت على ثم
والفاء والواو من الحروف العاطفة بخلاف هل والمعطوف عليه في
امثال هذا المقام محذوف والاستفهام يتعلق بمجموعهما ان فلا يعلم
هذا العامل في اذا بعثر ومفعولا به محذوفان اي افلا يعلمهم ما يليق
ما عملوا اذا بعثر اي فلا نعلم هذا يجازيهم اذا بعثر او يعمل اجرى العلم
مجرى الفعل اللازم اي افلا يكون له العلم في هذه الحال اي افلا يحتج
بمعنى كان يهم حين ذلك بقوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير وقيل العامل فيه ما دل
عليه خبر ان وهو لخبير والمعنى اذا بعثر جوزوا وقيل لا يجوز ان يعمل فيه لخبير

سيه لان ما بعد لا يعمل فيما قبله والضمير المستتر في افلا يعلم لله تع
وان الرب في قوله ان ربهم من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر
لزيادة الايهام   وقرئ لخبير وحصل معلوما ببناء للفاعل اي
استخرج وفي الكشاف وقرئ بحثر وبحث وبحثر وحصل
على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف وفي الكواشي وقرئ
بحثر العور قوله جمع محصلا الراغب التحصيل اخراج اللب
من القشور كاخراج ذهب من الحجر المعدن والبر من التبن قال تع
وحصل ما في الصدور اي اظهر ما فيه وجمع كاظهار اللب الحاصل
من الحباب وحوصلة الطير وهي ما يحصل فيه الغذاء
او العقاب والسعادة   وانما قال بهم قال
بهم يعني ان غالب استعمال كلمة ما في غير ذوي العقول كما ان
استعمال كلمة من في ذوي العقول غالبا قوله لاختلاف
شانهم في الحالين فان الموتى حال كونهم في القبور في حكم
الجمادات من التراب والحجر وغيرهما وحال مجازاة الله تع
اياهم احياء ذووا عقول قوله بعدم تحصر علم تعالى من اين
خبرت هذا الامر اي من اين علمت والاسم الخبر الصم وهو العلم
بالشيء والخبير العالم والمعنى ان يعلم ان يعد العلم يومئذ
التقييد في كلتا الجملتين وانه معلق بهم في جميع الازمان لان المراد
به هاهنا الجزاء على سبيل المجاز بناء على ذكر السبب وارادة المسبب

المسبب

المسبب ولعل قول المص مجازيهم اشارة اليه وقال الامام
دلت هذه الاية على انه سبحانه عالم بالجزئيات الزمانيات
وغيرها لانه نص على كونه عالما بكيفية احوالهم في ذلك
اليوم فيكشف لا يكون منكره كافرا   وقرئ ان وخبرا بلا
لام قيل هذا يدل على ان ما نسب الى الحجاج في المفصل من
الجراءة غير صحيح فان الحجاج الص كان وفي الكواشي وقرئ
بفتح ان ربهم مع وجود اللام في الخبر بجعل اللام ملقاة وهي
لبعض العرب وقرئ بفتح ان وكسرها مع حذف اللام
وقرئ بانه لهم يومئذ خبير تمت السورة والحمد لله على الانعام
والصلوة على رسوله واكرام سورة القارعة بسم الله الرحمن الرحيم
وايها عشر وثمانون او احدى وعشر قوله اي الداهية
الحالة التي تقرع الناس والاجرام بالانفطار والانتثار
وهي مبتدا وما مبتدا ثان القارعة خبره والجملة خبر المبتدا
الاول واصله ما هي اي اي شيء هي تعظيم لشانها والتهويل
لها فوضع الظاهر موضع المضمر وما ادراك ما القارعة واي
شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من
ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادراك خبره وجملة
القارعة مفعول ثان لادراك هذا التفصيل قول المص سبق
بيانه في الحاقة قوله تع كالفراش كصغار الجراد شبهوا
ناس

بصغار الجراد لاختلاط بعضهم ببعض عند البعث او الفراش
ما يتهافت في النار من الجراد المبثوث المنتشر
مفرد ولت عليه القارعة اي بقرع او بالقارعة لتضمنه مع
الفعل او بمصدر اذكر كالصوف ذي الالوان يعني
ان العهن هو الصوف المصبوغ الوانا وشبه الجبال به لانها الوان
ومن الجبال جدد بيض مختلف الوانها وبالمنفوش لتفرق
اجزائها فاما من ثقلت موازينه الموازين جمع
موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان
وثقلها رجحانها واجمل المصنف هنا فقال بان ترجحت مقادير انواع
حسناته ولعل فيه تنبيها على ان لا مقادير منها وسيئات لعلم
ان العاصي فاما من قصيرا ولعلل للتحريف المستفاد من قوله
القارعة ما القارعة الاية وكلما اما للتفصيل المجمل المذكور في قوله يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث واعلم انهم اختلفوا في وزن
الاعمال قال بعضهم يوزن الصحائف التي كتب الحفظة في الدنيا و
قال بعضهم تجعل الاعمال مصورة وتوضع في الميزان وقال بعضهم
هذا على وجه المثل والكناية عن التعديل وقال بعضهم قد ذكر
الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته وهذا هو الصحيح قوله
في عيشة الراغب العيش الحيوة هو المختصة بالحيوان وهو اخص
من الحيوان لان الحيوة تقال في الله تعالى في لما هو الحيوان في الدار ي يقع

وفي الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا وقال في اهل الجنة فهو في عيشة راضية وفي الحديث لا عيش الا عيش
الاخرة راضية ذات رضى مع انه على النسبة اي عيشة يستلزمه لرضاء صاحبه
او مرضية فعلى هذا الراضية بمعنى المرضية والاسناد في كلا الوجهين حقيقي لا مجازي
بل الى من طرفيه الوجه الثاني والمشهور به ان الاسناد فيه مجازي من قبيل
ما بني للفاعل واسند الى المفعول به اذ العيشة مرضية ولو حمل الكلام على بيان المراد
لا حل الكلام لا ينافي ما هو المشهور فتأمل فامه فاوى النار ولو قيل للمأوى
ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه ويحتمل ان قوله فامه ماوية من قولهم
اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت
امه ثكلا وحزنا فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك واخبر بانه هلك
وما ادريك ماهيه لا يلائم لان الضمير فيه للداهية التي دل عليها فامه ماوية
بخلاف ما اختاره المصنف لانه على هذا التقدير للهاوية فالمرجع للضمير مذكور
وهو الظاهر واليه اشار بقوله ولذا الاشتغال قوله والهاوية اسم من اسمائها وكانها
العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا ذات حمي اي نار حامية بلغت
النهاية في الحرارة تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة التكاثر بسم الله الرحمن الرحيم
التباهي بالكثرة يقال كاثرناهم فكثرناهم اي غلبناهم في الكثرة والتكاثر
التكاثر قوله اذا استوعبتم عددا صرتم الى المقابر عبر عن انقضاء اجلهم
الموتى الى زيارة القبور تهكما وان كان تهكما لان زيارة القبور شرعت
لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والمفاخرة وهؤلاء
عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القسوة والاستغراق في حب الدنيا
والتفاخر بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف اي غلبهم في الكثرة فعادوا
اي بادروا الى العدد وانما اورد هذه الرواية لتأييد الوجه الذي ذكره
بعضهم وفي الحديث في كل داء تعمك اي تعضك عبت فلانا

123

اى بصدره وقيل بعسك فشغلك بعالم هذا ام لا لعمتى الى لا انشغلني ومنه قوله
تركه ما لا يعنيه اى لا يهمه كذا فى التاج البيهقى للتعظيم والمبالغة
او للعلم به من ان العاقل لا يهتم الا انه وانت تعلم ان زيارة القبور
مجاز عن ذكر الموتى وقيل كانوا يزورون المقابر ويقولون هذا قبر
فلان عندنا فخرهم فعلى هذا زيارة القبور على حقيقتها والمعنى
على الوطن الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم فى دنياكم
وآخرتكم عما عليكم من امر الدين الذى هو اهم واعنى من كل مهم
عبارة عن الموت فيكون هذا ايضا زيارة مجاز لكنه عن الموت ردع وتنبيه
اى رد للكلام السابق وتنبيه على ما دل عليه الكلام واعتبر كلا كلا
هو تحقيق لما قبله وفى الكواشى الوقف على المقابر تام ان جعل كلا تنبيها
وههنا ان جعل ردعا وبعده كذا سوف الوقف عليه تام فالواو ولا اجه لاجل
ثم فى ثم كلا سوف تعلمون ونشبهوا من الانتهاء اى من الغفلة وفى بعض
النسخ نشبهوا من الانتهاء وثم للدلالة على ان الثانى ابلغ من الاول
كى تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل او الاول اى العلم الاول
عند الموت او فى القبر والثانى اى العلم الثانى عند النشور او الاول
عند الموت والثانى فى القبر ولعل ما ذكره اولى فعلى هذا الوجه لا يكون
وجه تكرير كلا اى تعلمون ما بين ايديكم قبل المراد بالعلم ههنا هو علم
الشئ اى لو تعلمون علم صفة علم الامر اليقين يريد ان اليقين صفة
موصوف محذوف واليقين بمعنى المتيقن ويجوز ان يكون اضافة علم اليقين
بيانية اى علم هو علم اليقين لانه محقق الوقوع يمكن ان يكون المعنى لترون
الجحيم ههنا بمعنى انكم تبصرون بحيث كانكم ترون الجحيم فى الدنيا فيجوز ان يكون
جوابا لقوله لو تعلمون علم اليقين ثم عطف عليه ثم لتسألن يومئذ
النعيم عليه باى عن كونه جوابا عن الشرط لان السؤال عن النعيم

يوم

يوم القيمة ليس مترتبا على تقدير حصول علم اليقين فى الدنيا بالجزاء
الاخروى الان بحمل قوله ثم لترونها عين اليقين على الرؤية يوم
القيمة وجعل مجموع الرؤيتين مع السؤال عن النعيم جوابا عقيب
الرؤية الاولى ولا يخفى انه تكلف بعيد الكسبه اى بالقسم اوعيد وان
ما اوعدوا لما لا مدخل فيه للريب مكرر للتاكيد كرر معطوفا بثم
تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وهذا اولى مما ذكره المص
اى الرؤية التى هى نفس اليقين اراد ان عين اليقين نصب على المصدر والعين بمعنى
النفس فى الكواشى وينتصب عين اليقين مصدرا لان راى وعاين واحد وقيل
العين بمعنى المعاينة فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين فيه بحث لان
البديهيات الاولية كقولنا الواحد نصف الاثنين اعلى المشاهدات الا ان
يقال المراد به انه اعلى من اليقين الحاصل بالسماع فتامل وفى العوارف علم اليقين
ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوازل
وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال
وقال سيد الطائفة جنيد قدس سره حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك فى احوال بعد
الغيوب كما شاهد المرئيات مشاهدة عيان بما يشغلكم من امر الدين
للقرينة فى الكلام وفى قوله ثم لترون الجحيم فالامر تمتع بنعم الله وارزاقه
التى لم يخلقها الا للعباد وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل
وكان ناهضا بالشكر فهو من ذاك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذى
اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين كتعليله فمن حرم زينة الله التى اخرج لعباده
الا عراف حيث قال قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق
قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم
كلوا من الطيبات اول سورة قد افلح حيث قال يا ايها الرسل كلوا من

الطيبات واعملوا صالحا وقيل يعان اي الخطاب والنعيم وقد تكلموا
هنا في تفسير النعيم بانه هو الصحة والامن او الصحة والفراغ او انه الماء البارد
في الصيف والحار في الشتاء او انه خبز البر والماء العذب او كل لذيذ من اللذات
ولعل الاخير هو الاولى تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة والعصر بسم الله
الرحمن الرحيم مكية او مدنية اقسم بصلوة العصر او بوقت العصر وهو
ما بعد الزوال الى الغروب اليه اشار وابو كما واقسم بالعشي كما اقسم بالضحى
لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او بعصر النبوة اي زمانها والمراد
اما مطلق النبوة او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لفي خسر الخسر والخسران كالكفر
والكفران وهو ذهاب راس او نقصه كذا في الكواشي للجنس اذ بالجنس
استغراق الجنس بمعنى ان اللام فيه للاستغراق بدليل الاستثناء فالمعنى ان
كل الناس خاسرون ونحو هذا كقوله ان الانسان لربه لكنود وكقوله ان
النفس لامارة بالسوء قوله التنكير للتعظيم فعلى هذا يلزم ان يكون مجموع الانسان
في خسران عظيم الا من كان اتيا بالايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق
والتواصي بالصبر ويمكن ان يقال التنكير للتعميم بمعنى ان كل انسان لفي خسران
في الجملة فان كان اعماله السيئة كثيرة او عظيمة فخسرانه بقدر اعماله السيئة
وان كانت قليلة او صغيرة فخسرانه ايضا كذلك فعلى هذا ينبغي ان يحمل
عملوا الصالحات على الاستغراق بمعنى عمل العبادات الصالحة كلها بان
لا يفوت شيء منها عنه حتى يلزم انتفاء مطلق الخسران عنه وهل ذلك عزيز
الوجود اذ ليس الانسان خاليا عن التقصير ولا يقدر على عبادة الله تعالى
على وجه لا يكون اعلى منها وقد يستفاد من الاية الكريمة ان من امن ومات
عليه دفعة بلا فرصة للاعمال كان في خسر وكذا من امن وعمل سيئة
ثم تاب فمات على التوبة كذلك بلا عمل وامثال كثيرة لا يخفى على من له ادنى تامل
صادق وايضا انما تدل بظاهرها على ان الاعمال الصالحة سبب اصل

في الايمان كما هو راي طائفة وهو المروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان يقال
انه من عطف الخاص على العام كما في قوله وتواصوا الى ذكر الصبر وقال
الامام الاية فيها وعيد شديد لانه حكم بالخسار على جميع الناس الا من كان
اتيا بالايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فدل ذلك
على ان النجاة معلقة بمجموع هذه الامور وانه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه
يلزمه في غيره الدعاء الى الدين والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وان يحب له ما يحب لنفسه ثم كرر التواصي ليتضمن الاول الدعاء الى الله تعالى
والثاني الثبات عليه هذا ولعل هذا وقع على سبيل التغليظ والتهديد ورد
من زعم ان الاعمال ليست بمدار عليه السعادة الاخروية بايمان؟ وهذا الى قوله
وتواصوا بالصبر الى قوله وعملوا الصالحات وكذا قوله وتواصوا بالصبر بالنسبة
الى قوله وتواصوا بالحق وانت تعلم ان تواصوا في الموضعين فعل ماض
معطوف على ماض قبله على كماله اي كمال الانسان في نفسه لا ما هو
بالقياس الى الغير لكنه يلزم ان لا يكون الانعام والاحسان والامداد وغير
داخلة في العمل الصالح وانه لمجتهد بسبب الربح وهو الايمان وعمل الصالح والتواصي
بالحق والتواصي بالصبر فان الاتمام في جانب الخسر لزم الخلود بسبب الخسران علم كل
شخص انه لا يخلو عن اسبابه وايضا يحصل بسبب بعضها بالبعض الاخر في الحكم
ابهامه ان يحصل شيء منها تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة الهمزة بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الهمزة
مكية او مدنية ويل مبتدء وفي سورة المطففين معنى الويل وانه مبتدا خبره لكل همزة وهو
الذي يعيب الناس من خلفهم لمزة وهو من يعيبهم مواجهة وقيل او بالعكس ولعل المراد
بتقييده على ذلك اجمل في هذا المقام والفاء فيهما للمبالغة وبنوء ما ذكر من الف
بناء فعلة يدل على الاعتياد اي على ذلك الفعل عادة منه لا اتصافه ما الحسن
فقابله الهمزة واللمزة بالحطمة لانه لا ذكره بهذه السمة وبما يدل على الرسوخ والتمكن
او عدد بناؤهما هنا لتحصل التعادل من الفعل والجزاء وفيه لطيفة وهي ان

اللمز فيه معنى الكسر للاعراض والحطم فيه معنى الكسر للاضلاع وان النبذ المنبي
عن الاستحقار في مقابلة ما ظن بنفسه من الكرامة كقوله تعالى فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم   على بناء المفعول هذا اشارة الى ان فعلة بسكون العين
من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزأة
الذي يهزء به وهزأة لمن يهزء بالناس وكذلك لعنة ولعنة لمن يلعن ويلعن
وعلى هذا القياس ويؤيد ذلك قول المص وهو المبني الذي لا يدل على الكثرة
وافراد الضمير باعتبار اللفظ ثم هذا يدل على انه لا فرق بين الهمزة واللمزة
بالسكون في المعنى بل هما متحدان فيه بل القول سابق كلام يشعر بعدم الفرق
بينهما على تقدير الفتح ايضا ولعله تبع هنا الكشاف كما هو دأبه في هذا
التفسير وكلمة بعد همزة للتاكيد مع رعاية حسن التناسب بين الفواصل
ويمكن ان يكون مناسبة هذه القراءة لما هو سبب النزول باعتبار ان غرض المغتاب
من اغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك الناس منه وفيه اشارة الى ان المغتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم صار ضحكة وملتحقا باراذل الناس مع انه ظن بنفسه
من الكرامة وهذه الدقيقة ليست بمرعية في القراءة المشهورة هذا واعلم
ان عدم ذكر الموصوف بذاته والاقتصار على اوصافه المشهورة يجوز ان يكون
لتفضيح حال من اغتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه اضمحل ولم يبق منه الا
هذه الاوصاف الذميمة وهذه اللطيفة جارية في كلتا القرائتين   في الاخنس بن
شريق وقيل في امية بن خلف فعلى هذا سبب النزول خاص والوعيد عام فيه
قيل في اصول الفقه العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب   بدل بدل الكل
باعتبار المراد ولم يحمله على الصفة لانتفاء المطابقة قبل ويجوز ان يكون صفة لكل
لانه معرفة كما ذكر في قوله تعالى كل نفس معها سائق وشهيد ان يحل معها سائق وشهيد
النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة   للتكثير
او للتعبئة في جمع عدة للنوازل اي ما يتهيأ به لحوادث الدهر   ويؤيده انه
قوله

قوله وعدده اي جمع المال وضبطه عدده واحصاه او جمع ماله وقومه
الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد اذا كان له عدد وافر من الانصار
وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده على فك الادغام نحو ضننوا
كذا في الكشاف وانت تعلم ان هذه القراءة على الوجه الثاني لا يؤيد
ما ذكره المص وان عدده بالتخفيف على الوجهين الاولين اسم معطوف على مالا
واما هو فعل على الوجه الثالث الذي هو مرجوح كما لا يخفى من سياق الكلام
قوله تركه خالدا في الدنيا الاول ان يقول جعله خالدا فاحبه كما احب الخلود
في الدنيا على حسبان انه مخلد بخلاف الوجه الثاني والثالث فان الامر فيهما
بالعكس فان حب المال يورث الغفلة عن الموت وهي تورث حسبان انه مخلد على
ما هو مقتضى الوجه الثاني وان حبه يورث طول الامل وهو يورث حسبان
انه مخلد على ما هو مقتضى الوجه الثالث وايضا انه يجب الاخلاد على
التفسير الاخير الى المال مجازي باعتبار انه حجة منشأ حسبان
انه مخلد والمص حمل الحسبان على حسبان الخلود في الدنيا في هذه
الوجوه كلها كما لا يخفى وقد يحمل على حسبان الخلود في النعيم الى الجنة كقوله
ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وعلى كلا التقديرين
الحسبان اما حقيقي او مجازي وكذا الحال في اسناد الخلود الى المال وعلى
جميع التقادير فيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة وايضا انه يجب
اعني قوله يحسب اما حال من الضمير في جمع او استيناف تعليلي فهو مع كونه
اما على تقدير كون قوله الذي جمع مالا بدلا من كل او ذما منصوبا او مرفوعا
تأمل حتى يظهر لك كلا من التقادير الاحتمالات   ردع له عن حسبانه او
عن جميع ما سبق ويجوز ان يكون تنبيها لامر غير مرة واعلم ان اللام في
لينبذن جواب القسم تقديره والله لينبذن وقد حذف ان النبذ يفيد الاهانة
والتحقير لانه كان يزعم انه من اهل الكرامة ذا الضمير المستتر في لينبذن للذي

جمع مالا ولعل الفاعل له هو المال يعني انه ظن انه اخلده ولم يعلم انه سيعيد
ولا شك ان الفاعل الحقيقي للتخليد هو المال لافادة المبالغة كلا لينبذن
عليه تدبر من شأنها حالها ان يحطم يكسر كل ما يطرح فيها للاستفاد
منه كون الحطم عادة لها على ما هو المعتبر في مفهوم هذه الصيغ كما في قوله
بالنار الخ لا فايدة في ذكره كما لا يخفى تفسير لها خبر مبتدأ محذوف
تقديره هي نار الله ولعل اضافة النار الى الله للتهويل كما اوجب وصفها
بالموقدة وما بعدها لذلك يعلو الخ اشارة الى ان معنى اطلاع النار
على الافئدة مصادفة النار اياها واحاطتها بها وغلبتها عليها
ويجوز ان يكون معناه يشاهدها اي الافئدة من موجبات مطابقتها اياها
فتحرقها على حسبها وهذا مجاز اذ لا علم للنار فشبهت بمن يعلم موجب
العذاب في انه يأتي على حسبه ويجوز ان يخلق الله في النار العلم فلا
تجوز قوله لان الفؤاد الطف ما في البدن الا ان الفؤاد كالقلب
لكن له فؤاد اذا اعترفه معنى التفاد اي التفوق فادت اللحم اذا شويته
قوله هو انها ان النار الموقدة عليهم اي على الافئدة موصدة مطبقة هذه
الجملة استينافية او مؤكدة لقوله يطلع على الافئدة او حالية من فاعل يطلع
قوله نحن الى اجبال مكة ناقتي البيت يحن الى الشتاق صنعاء قصعة اليمن موصدة
مطبقة وهذا كناية عن عدم الوصول الى صنعا قوله [illegible] ابو حفص
وابو عمرو وحمزة بالهمز كذا في بعض النسخ اي موثقين في عمد في
عمد حال عن هم في عليهم وههنا وجه آخر وهو ان المعنى انه يؤكد ياسهم من
ويتيقنهم بحبس الابد بتوصيد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد
استيثاقا في استيثاق فمعنى هذا في عمد حال من ضمير موصدة المقاطر
جمع مقطرة وهي الخشبة التي تجعل فيها ارجل اللصوص وقرأ الكوفيون
غير حفص الا ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين والباقون بفتحتين على العمد

والحمد

127

للرسول

والحمد لله على الاتمام سورة الفيل بسم الله الرحمن الرحيم الخطاب
صلى الله عليه وسلم يمكن ان يكون الخطاب عاما للكل [illegible] قوله الم
ترى الخ اشارة الى ان الرؤية بمعنى الابصار ويمكن ان يكون
بمعنى العلم وهو فعل [illegible] ساد مسد مفعوليها من الارهاصات اي الامر
لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الحديث وان ذنبه لم يكن عن ارهاص
اي عن ارهاص صاد واصرار واصله الارهاص وهذا تأسيس البنيان
في السنة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم هذا مبني على ما اجمع عليه
اهل النقل من انه عليه السلام ولد عام الفيل وبعث بعد اربعين من عام الفيل
النجاشي بتخفيف الياء لقب ملك الحبشة القليس بضم القاف وتشديد اللام
على مثال القبيط بيعة كانت بصنعاء للحبشة بناها ابرهة وتغوط فيها
رجل فقعد فيها ليلا كناية عن قضاء الحاجة وفيله جمع فيل اي اثني
عشر فيلا وقيل ثمانية وكان معه الف فيل وقيل كان وحده وتعبأ
جيشه اي هيأهم فقدم الفيل الموصوف بمحمود برك استفتاح
هرول الهرولة ضرب من العدو وهو ما بين المشي والعدو قوله ابرهة هو
بكسر الميم افصح فهلكوا جميعا ولم ينج منهم الا ابرهة فوصل الى النجاشي
واخبره الخبر ومعه طائر فالقى عليه حجره فمات لدى النجاشي كما في
الكشاف [illegible] معنى الاستفهام [illegible] الاصل في ذلك [illegible]
الصدارة وان كان مجردا عنه بحسب الاستعمال بان دمرهم اي اهلكهم
وهي الحفرة الكبيرة من الحطب كعباديد وشماطيط العباديد
الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه والشماطيط القطع المتفرقة يقال
جاءت الخيل شماطيط اي متفرقة وقرئ بالياء وقراءة ابو حيوة رحمه الله
ترميهم [illegible] او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى
معرب سنك كل وعليه الجمهور اي الآجر وهو الدكو الكبير لا يجد

وجه في هذا المقام وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك
وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان فيقال فجعلهم عطف على
ارسل فالضمير المستتر فيه للرب صفوا منه اي خاليا عنه والمعنى كعصف
مأكول كما قال كلا ان حسن الحسن الوجه حذف لكونه معلوما وهو
قول الحسن بعد السورة والحمد لله على الاتمام سورة قريش
بسم الله الرحمن الرحيم مكية او مدنية وآيها اربع او خمس متعلق
بقوله فليعبدوا قدم عليه لزيادة الاهتمام به كقوله تعالى لمثل
هذا فليعمل العاملون وقوله وربك فكبر ولعل الشرط في امثال
ذلك يستفاد من التقديم ولا وقف في والصيف فان لم يعبدوه
لسائر نعمه اي قيل لقائل ان يقول اذا كان المعنى على ما ذكر فالوجه
ان يقال فلايلاف قريش فليعبدوا كما في قوله تعالى يا عبادي ان
ارضي واسعة فاياي فاعبدون وانت تعلم انه مثل قوله واياي
فارهبون واما المعنى الذي ذكره سهل ونصب الرحلة بايلافهم
مفعولا به او ظرف اي في رحلة او مصدر فعل محذوف واصل
الرحلة السير على الراحلة ثم استعمل لكل سير واراد رحلتي الشتاء والصيف
فافرد لامن الالباس ولعل المص اشار اليه بقوله اي الرحلة في الشتاء
الى اليمن الخ فيمتارون اي يتقلون الطعام من بلد الى بلد مثل
الجوع اشارة الى ان المحذوف هنا مفعوله اذ يجوز ان يكون المعنى اطعمهم
واحياهم وعند ذلك وقيل متعلق بهذا فليعبدوا اعطف على هذا المقدر
وانت تعلم ان الفاء على هذا الوجه ايضا يجوز ان يكون لما في الكلام من
معنى الشرط كما تقتضيه النحو وهو ان تجعله متعلق بمعنى البيت بالذي
قبله تعلق لا يصح الا به اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اي
ليحصل لقريش ايلافهم ويجوز ان يتعلق بقوله الم تر كيف فعل ربك

سورة قريش

وفي

وفي الكواشي ان علقت لام لايلاف بالم تر كيف فعل ربك او بجعلهم كعصف
لم يقف بين السورتين وقرئ ليألف قريش الفا ر اي عكرمة والفعل يتعين
من تصغير قريش بفتح القاف وسكون الراء وقيل منقول من القرش وهو الكسب لانهم كانوا
كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقيل سموا قريشا لتجمعهم قال اخوة قرشوا
الذنوب علينا وقيل لتقدمهم احوال ذوي الحاجة والقرش التفتيش قال ايها الشامت
المقرش علينا وقرأ ابن عامر للاف فعلى هذا الالاف مصدر فاعل فيكون من الفة
نحو قاربه مقاربة وقرابا او مصدر فعل يقال ألفته الفا والافا نحو كتبت كتابا
اطعمهم من جوع اي بعده وقيل عليه او عنه او لاجله او التخطف هو الاستيلاء
والاختلاس او الجذام وكانوا امنين في بلده وقيل هو خوف العرب سبيا وقتلا
بعد السورة والحمد لله على الاتمام سورة الماعون بسم الله الرحمن الرحيم مختلف فيها
مدنية او مكية او نصفها مكي ونصفها مدني وآيها سبع او ست او رأيت
ان جعلت رأيت بالقلب قدرت مفعولا محذوفا وان جعلتها بالعين لم
يقدر وقد سبق ما لديك نفعا ههنا فلا تغفل ومعناه التعجب ولعل المص
من امثال هذا الاستفهام تشويق المخاطب الى معرفة الكلام وتعجيبه
وقرئ ارايت اي قراءة الكسائي كذا قيل الحاقا بالمضارع اي المضارعة
نحو ترى ولعل تصديره بهذا دفع ما يقال ان حذف الهمزة في هذا الباب
مختص بالمضارع ولم يثبت عن العرب في الماضي نحو رب وانما سهل التصدير بذا
الصيغة حرف الاستفهام ارءا اي امر الهمزة بعد حذفها او ام بدل الهمزة
في صدره الهمزة لانه اذا وقع في اوله حرف الاستفهام يعلم ان اوله همزة
محذوفة وقيل كانه يدخل حرف الاستفهام على الماضي شابه المضارع
لان في الطلب معنى الاستفهام فاعطي حكمه وارايتك اي وقرئ ارايتك
بزيادة حرف الخطاب عن بعضهم اكد معنى الخطاب من الله ابالكاف هذا
كقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي

ان هذا مبني على ان يكون قوله فذلك الذي يدع اليتيم معرفا لقوله الذي يكذب بالدين
والمعنى ء اهل عرفت على ما ذكرت الذي يكذب بالدين من هو ان لم تعرفه فذلك الذي
يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا
قبيحا بزجر وخشونة وفيه تنبيه على ان الفاء في قوله فذلك الذي يدع اليتيم للشرط
المقدر وعلى ان النظم يفيد القصر والقصر للمبالغة وحاصل هذا الوجه ان قوله ارأيت
تشويق الى تعرف المكذب وان ذلك مما يجب على المتدين ليتحرز عنه وعن فعله وقوله
فذلك مسبب عن هذا التشويق وفي قوله فذلك مع ما فيه من التحقير وقوله الذي
يدع مع ما في الموصول من الدلالة على تحقق الصلة دليل على ان المكذب لا ينفك
عن مثل هذه المساوي كذا قيل ويمكن ان تكون الفاء تفريعية بان يكون هذه
الجملة متفرعة ومترتبة على التكذيب بالدين يعني ان التكذيب بالدين يقتضي عدم خشية
عذاب الآخرة وعدم رجاء ثوابها وهو منشأ جميع السيئات والجراءة عليها وهذا
تفصيل لذلك المجمل ولذلك رتب الجملة [illegible] وهو ان يكون فذلك عطفا
على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات بان الذي يدع غير الذي يكذب بالدين
واما عطف صفة على صفة فان التغاير بينهما بحسب الوصف ويكون جواب ارأيت
محذوفا كما في الوجه الثاني لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول
فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع وارأيت في
الوجه الاول بمعنى اعرفت كما تردد في الثاني والثالث بمعنى اخبرني ويمكن
ان يكون بمعنى اعرفت في جميع الوجوه الثلثة ثم ان قوله فذلك الذي يدع
على الوجه الثالث ليس بجملة بل قوله الذي يدع اليتيم صفة لقوله فذلك والمجموع
الصفة والموصوف معطوف على الموصول مع صلته اعني قوله الذي يكذب بالدين
بخلافه في الوجه الاول والثاني فانه جملة بان فذلك مبتدا وخبره الذي
يدع اليتيم قيل نزلت في ابي جهل وقيل نزلت في العاص بن وائل وقيل في عمرو بن
عائذ ذلك ولا يحض ولا يبعث الراغب الحض التحريض كالحث واصله الحث

[illegible]

على الحضيض وهو قرار الارض وقوله على طعام المسكين اي على بذل الطعام
على المسكين ولو جاء الطعام بمعنى الاطعام فلا حاجة الى التقدير وقوله لعدم
اعتقاده بالجزاء يعني ان عدم الاعتقاد بالجزاء منشأ لتلك الافعال الذميمة
هذا على تقدير ان يفسر الدين بالجزاء ويعلم منه الحال اذا فسر بالاسلام وقوله عن صلوتهم
لعله اشارة الى ما قالوا في الفرق بين قوله عن صلوتهم وبين قوله في صلوتهم
ان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك
فعل المنافقين او الفسقة والشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها
بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره فعلى هذا اريد بالمصلين
المتسمين بسمة اهل الصلوة من المنافقين وفسقة المسلمين فان حمل الذي
يكذب على المصلين اصلا وان حمل على الجنس فهو الملائم لعموم اللفظ بعضه
المنافقون يندرج في المصلين فبينهما عموم من وجه ويندفع بذلك ما قيل
فكيف قيل فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون فكيف يكونون مصلين
تاركين لصلوتهم ولان المصلين اذا كانوا هم الذين يكذبون بالدين يكونون
كافرين فكيف يجعلون مصلين وقيل معنى بعد المنافقين اي لا يصلونها سرا
لانهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء فعلى هذا قوله الذين
هم عن صلوتهم ساهون اشارة الى حال المنافقين في شان الصلوة سرا وقوله
الذين هم يراؤن اشارة الى حالهم في شانها علانية وقيل فويل للمنافقين
الذين يدخلون انفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلوتهم لانهم
لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية للفرض لهم يخضعون ويركعون
ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض
ويمنعون الزكوة وما فيه منفعة فعلى هذا قوله الذين هم عن صلوتهم
اشارة الى سترهم وقلبهم في امر الصلوة وقوله الذين هم يراؤن اشارة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الى ظاهر بعض امرها والفرق بين الوجهين بين وعلى هذين الوجهين ايضا لا يرد
شيء من الاعتراضات المذكورة فتامل وقيل قوله الذين هم يراؤن يحتمل وجوها
مختلفة من الاعراب ان يكون صفة بعد صفة للمصلين او بدلا عنه الذين الاول
او منصوبا على الذم او مرفوعا عليه ثم انهم قالوا ان المراءاة مفاعلة من الاراءة
لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به وقيل فيه بحث
من وجهين احدهما ان جعل المراءاة مشتقة من المزيد والثاني ان الفاعل
والمفعول لم يشتركا فيهما في المفعول الثاني بل كل منهما مفعول على حدة
تامل يظهر لك بابه او ما يتعاور من الفاس والقدر والدلو والمقدحة
ونحوها هذا هو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه وقيل الماعون الزكاة وهذا
هو المروي عن عائشة رضي الله عنها واعلم ان المقصود من قوله ويمنعون الماعون
هو الاشارة الى انهم ضيعوا الماعون تنظرة الاسلام وهو المناسب للسهو عن
الصلوة التي هي عماد الدين هذا هو التفسير الاول واما على الثاني
فالغرض منه هو التنبيه على البخل وعلى خسة الطبع وعدم حسن المعاشرة
مع الجيران فوائد الفاء في فويل للمصلين الاية جزائية والمعنى اذا كان
عدم المبالاة باليتيم وعدم الحض على بذل الطعام للمسكين من ضعف الدين
ومن الموجب للوم والتوبيخ هذا مبني على ان يكون ذلك الذي يدع اليتيم
للجنس لا للعهد اعتبارا لعموم اللفظ لا لخصوص المواد قال الامام اعلم ان ايذاء
اليتيم كالاصل لجميع انواع الكفر والمعاصي لانه لو جعل علم بان اليتيم الاقدام
على ايذاء الضعيف ومنع المعروف يعني انه لو آمن بالجزاء واتقى
بالوعيد لما صدر عنه ذلك فموجب الذنب هو التكذيب بالقيمة وقد سبق
ما يجديك نفعا ههنا فتذكر والرياء الذي هو شعبة من الكفر هذا ايضا دال
على ان المراءاة اعم من ان يكون في الصلوة او في غيرها او السببية
على معنى فويل لهم هذا ايضا مبني على ان يكون ذلك يدع اليتيم للجنس
لا للعهد وانت تعلم بانه لا منافاة بين الجزائية والسببية ويحتمل ان يكون

الاول السببية وفي الجزائية واعلم ان المصلين جعل فاعل يكون تمام الذي
يكذب وهو واحد بناء على ان معناه الجنس لان المراد به الجنس على ما قالوا
للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق اما معاملتهم مع الخالق
فهي عدم مبالاتهم بالصلوة والمراءاة في الاعمال ومنع الزكوة واما معاملتهم مع
الخلق فهي دع اليتيم وعدم الحض على بذل الطعام على المسكين وينبغي ان
يعلم ان الاقتصار في بيان المعاملة مع الخالق على الامور الثلثة المذكورة وعدم
التعرض بالصوم والحج ونحوهما من الاعمال لعله لاقتضاء المقام ذكر
تلك الامور دون غيرها وكذا الحال فيما يتعلق بالمعاملة مع الخلق من السور والحمد
على الاتمام سورة الكوثر بسم الله الرحمن الرحيم مكية او مدنية انا
اعطيناك فيه فوائد منها انه بني الفعل على المبتداء فدل على الخصوص لما ثبت
فيما بينهم ان تقديم المخبر عنه اكد لاثبات الخبر ومنها انه جمع ضمير المتكلم لا
مشعر بالعناية في شان من يخاطب به ومنها انه جمع هذا الضمير وهو مشعر
بعظم الربوبية ومنها انه اورد ضمير المخاطب اي تلقيها عن نعمه واحتيازه
عنده تعالى بالتفرد الفصل عن الكتاب الاخر ومنها انه صدر الجملة بحرف
التاكيد الجاري مجرى القسم ومنها انه يدل على عطية كثيرة مسندة الى معط
كبير بناء على ان العطايا على قدر معطيها وعطاها ومنها انه اخبر الصيغة المؤذنة
بالكثرة لان الكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة ومنها انه حذف
الموصوف لان المثبت ليس فيه ما في الحذف من فرط الابهام والشياع
والاتساع ومنها انه اتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعرفة لتكون ما وصف
بها شاملة وفي اعطاء مقتضى الكثرة كاملة ولما لم يكن للعهد وجب ان تكون
للحقيقة وليس بعض افرادها اولى من بعض فيكون كاملة وقيل في الكوثر عن كونه
غير معقب ابناء لان بقاء الابن بعده لا يخلو اما ان يجعل نبيا وذلك
محال لكونه خاتم الانبياء او لا يجعل نبيا وذلك موهم بانه ناقص

فيصيبن غير تلك الوجهة بما اعطى من الخير الكثير وهو حصول الغرض المتعلق بهم
مع انتفاء تلك العظمة اللازمة لو كانوا او لم يكونوا انبياء ومنها انه اوتى
بلفظ المضي دلالة على ان تلك المرتبة العالية كانت له قبل ما سلف بل في الازل
ان الموعود من الكريم في حكم الواقع ومنها انه لم يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الا
بما يدل على الذات البحت تنبيها على ان ذلك محض التفضل والتأييد بصيغة اعطيناك
ومنها انه جمع ضمير المتكلم وافرد ضمير المخاطب دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مع كونه في
مقام الجمع والوحدة مشاهد لجبروت ذات الالوهية وكبريائه وقيل حوض كثير
لكثرة واردية او آنيته ومنافعه وفي كل من الوجوه الآتية ايضا بمعنى الكثرة والخير
ولعل الاولى ولعل الاول ان يقال المعنى عام وكل من هذه الامور المذكورة
وغيرها مندرج تحته لا انه جمع على حدة ويمكن مرادهم فسر به تصوير في مادة
يتعلق الغرض به في ذلك المقام لا الاقتصار عليه وكذا الحال فيما نقل السلمي عن
جعفر الصادق رضي الله عنه انا اعطيناك نورا في قلبك دلك على قطعك عما سواي
قوله فصل لربك فيه فوائد منها ان فاء التعقيب هنا مستعار من معنى التسبب
لمعنيين احدهما جعل الانعام الكثير سببا للقيام بشكر المنعم وعبادته وثانيهما
جعله سببا لترك المبالاة بقول العدو فان سبب نزول هذه السورة ان العاص بن
وائل قال ان محمدا صنبور فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى هذه السورة ومنها قصده بالامر التعريض بدين العاص واشباهه
ممن كانت عبادته ونحره لغير الله تعالى وتثبيت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على صراط المستقيم واخلاص العبادة لوجهه الكريم ومنها الاشارة بهاتين العبادتين
الى نوعي العبادات اعني الاعمال البدنية التي الصلوة والمالية التي نحر البدن
سنامها ومنها التنبيه على ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختصاص
بالصلوة حيث جعلت لعينه قرة ونحر البدن التي كانت همته وقوته
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل

انه

131

في انفه برة من ذهب ومنها حذف اللام الاخرى للدلالة عليها بالاول
ومنها مراعاة حق السجع الذي هو من جملة صنعة البديع اذ ساقه قبله
مساقا مطبوعا ولم يكن متكلفا ولا مصنوعا ومنها انه قال لربك وفيه
حسنان وروده على طريقة الالتفات التي هي ام من الامهات وصرف الكلام عن
لفظ المضمر وفيه اظهار لكبرياء شانه وابانة لعزة سلطانه ومنه اخذ الخلفاء
قولهم يامرك امير المؤمنين بكذا ومنها انه علم بهذا ان من حق العبادة
ان يخص العباد بها ربهم ومالكهم وعرض بخطاء من عبد مربوبا وترك عبادة ربه
ومنها ان اختيار لفظ الرب واضافته الى ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم للتنبيه على انه
تعالى في كمال العناية ليس ربا له لانه عبد مربوبا وترك عبادته فكأنه ليس عبادة الله
بل هو عبد معبوده نعوذ بالله من ذلك قوله فقدم على الصلوة لما كان صلى الله عليه وسلم
مشتغلا قبل امره بالصلوة على الدوام على الصلوة حين لم يكن نزول هذه السورة
قبل وجوب الصلوة فلا حاجة الى ذكر قوله لاقسام الشكر وهي الاعتقاد بالجنان
والثناء باللسان والعمل بالاركان وفي ذكر اشعار بوجه تخصيص الصلوة بالذكر من بين
العبادات المالية قوله وتصدق على المحاويج كانه حمل الصلوة على الجنس والنحر على البدن
للتصدق وقيل فصل لربك الصلوات الخمس او الفجر والعيد بجمع وانحر البدن بمنى او
انحر ضع اليدين بالتكبير الى النحر او استقبل القبلة بنحرك قوله وقد فسرت الصلوة في
قد سمعت وجوه اخر ايضا فلا تغفل وينبغي ان يعلم ان الصلوة ان كانت فرضا
فالموضوع للامر للوجوب والا فللندب وكذا الحال في الامر بالنحر تأمل ان
شانئك هو الابتر فيه ايضا فوائد منها انه علل الامر بالاقبال على شانه وترك
الاحتفال بشانئه على سبيل الاستئناف الذي هو حسن الموقع وقد كثرت
في التنزيل مواقعه ومنها انه جعل للاعراض عن شانئه ارسال الحكم الحاكم للاعراض
كقوله ان خير من استأجرت القوي الامين ومنها انه لما بشره بالنعم العظيمة
وقد علم ان في ذلك انما يكون بقهر الاعداء قيل ان شانئك هو الابتر

ذلك

كيده

ومنها انه ذكر المسند اليه بصفته لا باسمه ليتناول كل من كان في مثل حاله من
الدين الحق ومنها انه رتب الحكم على المشتق دلالة على علية ما اخذ منه
لذلك الحكم وهو الشنآن الذي هو قرين للبغي والحسد ومنها انه اختار هذا
الوصف تنبيها على انه ليس حقيقة الا هذه الصفة الذميمة ومنها انه لم ينسبه
بقلبه الى الصدق ولم يقصد به الايضاح عن الحق ولم ينطق الا عن الشنآن الذي
هو قرين للبغي والحسد وعن البغضاء التي هي سم الغيظ والحرد ولذلك وسمه
بما ينبئ عن المقت الاشد ثم ان الاضافة فيه يمكن ان تكون للعهد وهو المناسب
لسبب النزول لما نزلت فيه هذه السورة وهو العاص بن وائل او مروان ويجوز ان تكون للاستغراق
وهو المناسب لعموم اللفظ والمقام ومنها انه جعل الخبر معرفة ليؤذن الاول الاكد
به قصر جنس الابتر على شانئه مبالغة وادعاء وذلك بان ما عدا المقصور عليه من ذلك
الجنس بلغ من النقصان مبلغا انحط عن مرتبة ذلك الجنس واستحقاق ان يسمى به فهو
عداه ملحق بالعدم او بان المقصور عليه ترقى في الكمال الى ان صار كأنه الجنس
كله وهذان طريقان متعارفان مشهوران في مطلق قصر الجنس مبالغة وادعاء
ويؤيد هذا الوجه انهم كانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات ذكره والمعنى
ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر لا انت كما زعموا او الابتر
ان يراد به ان شانئك يعني حقيقة الابتر ومتحد به وليس مغايرا له وطريقه
هل تعرف بالاسد وهل بلغك حديثه فزيد هو هو بعينه واليه يشير كلام صاحب
الكشاف في قوله واولئك هم المفلحون حيث قال ان معنى التعريف
في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الذين ان حصلت صفة المفلحين
وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم لا يعدون تلك الحقيقة
انتهى كلامه وهذا الوجه ادق مما سبق ومن البالغة ما لا يخفى على ذي مسكة
ولك ان تراد به ان المحكوم عليه سلم الاتصاف به غير وقف على طريقه
ووالذكر العبد الى ظانه متصف بهذه الصفة فكأنه تنبيه على ان شانئه

132

بنسب وصفه الذي هو مناط الاتصاف به الى صلى الله عليه وسلم وذلك
لظهور شرف الاسلام وكماله وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون
المنكر بين المكابرة والشقاوة والرابع ان يقصد به ان من ابغضك
من قومك لمخالفتك لهم كالانعام بل هم اضل قالوا انهم كاصوات الحمير مثلا
اعتدادها وذلك بان يكون التعريف المذكور للعهد فيكون المراد بالابتر
هو الحمار الابتر الذي لا ذنب له ولكنه جاء على ما عليه ادات القرآن
كقوله كانا ياكلان الطعام وقوله كعصف ماكول والى ما فيه انه ليس
البتر للعهد الثاني حتى كانه الجمهور الذي مثال له الصنبور كما لا
2 للاستغراق في الكل ووجه هو قولها فاصل ومنها انه اورد الضمير الفصل
لثلثة فوائد التاكيد والتخصيص والتمييز بين النعت والخبر ومنها انه صدر الكلام
بحرف التاكيد الجاري مجرى القسم كما في مطلع السورة ومنها انه جعل قطعها
وللدلالة على الاستمرار الثبوتي ثم التي السورة مع علو مطلعها وتمام
واتصافها بما هو طراز الامر كله من تحسينها بكونه بالنكت الجلائل مكتنزة
بالمحاسن غير القلائل بل هي حالة من تصنع من بيتها وال التنكيت ونعيد
بين يتعاطى ممارجة التنكيت بهذه السورة والحمد لله على الاتمام سورة
الكافرون بسم الله الرحمن الرحيم وتسمى الاخلاص ايضا مكية وقيل مدنية وهي ست آيات
وسميت والاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق كذا في الكواشي
نعم كونه مخصوصين فاللام للكافرين للعهد وهو نعت لاي وذلك لئلا
يلزم الكذب في قوله لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ويؤيده
سبب نزول هذه السورة كما نقله المص وغيره نعبد على صيغة الامر من التعبد
مع نون ونعيد بالنصب من العبادة لان الواو للصرف نحو زرني وازورك
بالنصب اي للجمع العبادتين وفي بعض النسخ نعبد على صيغة المضارع من العبادة
في الموضعين وله فان لا الاتر على ... ان لا اذا دخلت على المضارع فللاستقبال

كما ان ما اذا دخلت على المضارع فللحال البتة ومنه علم ضعف ما قيل
لا اعبد ما تعبدون اى لست فى حال من عابدا ما تعبدون ولا انتم
عابدون الساعة ما اعبد وذلك لانه حمل لا فى المضارع على نفى الحال
وانه مع كونه منافيا لما قرروه فى موضعه خلاف ما صرح به فى هذا المقام
حيث قال لانه فى قران لا اعبد اى قوله ولا انتم عابدون وان كانت الجملة
مصدرة بلا النافية ونفى الجملة الاسمية بلا لا يختص بازمان المستقبل لكنها
لما وقعت قرينة قوله لا اعبد وفى مقابلته وهو لنفى الاستقبال حملت الجملة الاسمية
المذكورة ايضا على نفى الاستقبال واعلم انه حمل النفى فى كلتا الجملتين على الاستقبال
ولم يبين حال الاثبات ويمكن ان يحمل هذا ايضا على الاستقبال وكذا يمكن ان يحمل
على الحال كما صرح به بعضهم ويجوز ان يراد به الاستمرار ثم ان المشكلة يعنى
الزمخشرى يقتضى ان يقال ولا تعبد ولا اعبد ولعله للتنبيه على ان نفى عبادة
الرسول لما تعبدونه بين لا حاجة الى التاكيد بخلاف ما نفى عبادتهم لما
تعبده ولذا اختير اسمية الجملة الثانية دون الاولى تأمل قوله اى فى الحال
فهل لا يظهر فايدة ذكر هذه ولا وجه تأخره عن الجملة السابقة الدالة على
نفى العبادة فى الاستقبال قوله او فيما سلف حتى يتوهمون صدور عبادة الصنم
عنه فيما يستقبل ولا يبعد ان يكون المراد حكاية الحال الماضية فى قوله تع وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد لما تقرر عندهم من ان اسم الفاعل انما يعمل
عمل فعله اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال قوله اى وما عبدتم فى وقت ما انا
عابده فى الحال الظاهر ان يقال فى الحال او فيما سلف لوقوعه فى القرآن انا لا
عابد وقد فسره بذلك وقيل تقرر فى موضعه ان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى
فى ذاته او فى ضمن الاستمرار وجب اضافته الى المستقبل معموله وههنا
لم يضع فهكذا الا ان يحمل على حكاية الحال الماضية على ما قرأناه على
طريقة ابلغ بان يكون المراد بها نفيا لجملتين لا يكتفى بنفى العبادة فى

فيكون نان

133

فلمستقبل

فيكون نان تاكيدين لنفى العبادة فيما يستقبل والابلغية باعتبار اسمية الجملة
لانه لا يتم الا فى الجملة الاولى الا ان يقال ان تاكيد الجملتين ابلغ من تاكيد الجملتين
كذلك ثم اعلم انه قال الامام فى الاية قولان وفى كلام المص اشارة اليه الاول انه
لا تكرار فيها وفيه وجوه احدها ان الاول للاستقبال لان لا لا يدخل الا على مضارع
فى معنى الاستقبال اى لا افعل فى المستقبل ما يطلبونه منى من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون
فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم اى ولست فى
الحال بعابد معبودكم ولا انتم فى الحال بعابدين معبودى وثانيها ان الاول للاستقبال
كما سبق والثانى للماضى هذان الوجهان مذكوران فى كلام المص وثالثها ان ما فى الاول
بمعنى الذى اى لا اعبد الاصنام ولا تعبدون الله وفى الاخيرين ما مصدرية اى ولا انا عابد
مثل عبادتكم المبنية على الشك ولا انتم عابدون مثل عبادتى المبنية على اليقين ولعل
قول المص وقيل الاوليان بمعنى الذى اشارة اليه ورابعها ان تحمل الاولى على نفى
الاعتبار الذى ذكره والثانية على العام بجميع الجهات اى لا اعبد ما تعبدون رجاء
ان تعبدوا الهى ولا انتم عابدون رجاء ان اعبد صنمكم ثم قال ولا انا عابد صنمكم
لغرض من الاغراض بوجه من الوجوه وكذا انتم لا تعبدون الله لغرض من الاغراض مثاله
من يدعو غيره الى الظلم لغرض التنعم فيقول بل لا اظلم اصلا سواء كان للتنعم او لغيره
والقول الثانى هو ان يسلم حصول التكرار وهو لوجهين احدهما ان التكرار يفيد
وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التاكيد
من هذا المقام لانهم رجعوا اليه فى هذا المعنى مرارا وطمعوا فيه لا زالوا على الحرص
على ايمانهم وقال يحيى السنة قال اكثر اهل العلم انما القرآن نزل بلسان قريش
وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التاكيد والافهام كما ان من
مذاهبهم الاختصار للتخفيف والايجاز وثانيهما انهم ذكروا تلك الكلمة مرتين
تعبد الهنا شهرا ونعبد الهك شهرا او نعبد الهك سنة وتعبد الهنا
سنة فجاء الجواب على التكرار على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فان من

كرر الكلمة الواحدة لغرض فانه يجاري تلك الكلمة على سبيل التكرار اسمية فان
قوله ما اعبد قرينة لقوله ولا انا عابد ما عبدتم فلم خولف في الثاني اي ما
اعبد وكان الظاهر ما عبدت كما قيل في الاول ما عبدتم وهذا تفصيل قوله
ليطابق ما عبدتم لانهم اي كفار قريش كانوا موسومين اي معروفين قبل المبعث
بعبادة الاصنام وهو اي الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ اي قبل المبعث
وهو لم يكن يعبد الله هو في ذلك الوقت قيل عليه ثبت انه صلى الله عليه وسلم
لما يتحنث في غار حراء واجيب عنه بان العبادة قد يطلق على اعمال الجوارح
الواقعة على سبيل القربة فالايمان والنية والاخلاص شروط واختلف انه عليه
السلام هل كان متعبدا قبل نبوته بشرع اولا فالامام الرازي وجماعة من
اصحاب الامام ابي حنيفة رحمه الله وابو الحسين البصري واتباعه ذهبوا
الى انه عليه السلام لم يكن متعبدا واجابوا عن الطواف والتحنث وغيرهما بانه لا
يحرم من غير شرع لحتى تعالى ان الآن لا بد ان يكون متعبدا بل هي من الفضلاء
العبادات المنزهة والمكارم الغريزية دونه نظر الاحوية فالمص اختار ذلك القول
وعلى هذه تفسير وقد ظهر انه لم يخالف اهله في وجوب التعبد العقلي بالنظر في آياته
وادلة توحيده ومعرفته هذا وقيل والصحيح انه صلوات الله عليه وسلامه كان قبل
البعث متعبدا بشرع روى ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن الامام احمد بن حنبل
رحمه الله انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه فهو قول …
وقال ابو الوفاء علي بن عقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متدينا قبل بعثته
بما يصح عنده انه من شريعة ابراهيم عليه السلام اما بعد بعثته فهل كان يتعبد بشرع
من قبله فيه روايتان اصحهما انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله
بطريق الوحي اليه لا من جهتهم ولا نقلهم ولا كتبهم المبدلة واختاره ابو الحسين
التميمي وهو اصح … رحمهم الله … انه لم يكن متعبدا الا بما في القرآن
الا ما اوحي اليه من شريعته وهو قول المعتزلة والاشعرية ولاصحاب الشافعي رحمه الله وجهان

مطلب لانهم كانوا

كالروايتين

كالروايتين واختلف القائلون بانه متعبد بشرع من قبله باي شريعة كان متعبدا
قال بعضهم كان متعبدا بشريعة ابراهيم عليه السلام وعليه اهل الشافعي رحمهم الله
وقيل بشريعة موسى عليه السلام الا ما نسخ في شرعنا وظاهر كلام احمد رحمهم الله
انه كان متعبدا بكل ما صح انه شريعة لنبي قبله ما لم يثبت نسخه لقوله تعالى اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده قال ابن الجوزي لم تزل العرب على بقايا من دين اسماعيل
عليه السلام من ذلك حج البيت وايقاع الطلاق اذا كان ثلثا وان له الرجوع
في الواحدة والاثنين ودية النفس مائة من الابل والغسل من الجنابة
وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا
من الايمان بالله والعمل بشرائعهم واما قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
يعني به شرائع الايمان ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالتوحيد تم كلام ابن
الجوزي وهذا الكلام وقع في البين فلنرجع الى ما كنا فيه فنقول يمكن ان يراد
بالعبادة المأخوذة في الآية الكريمة مجموع العبادات الحاصلة التي لم يعلم الا
بالشرع لا على مجرد توحيد الله ومعرفته فان ذلك لم يزل ثابتا له عليه السلام
قبل البعثة فعلى هذا يصح القول بانه لم يكن يعبد الله في ذلك الوقت اعني قبل
البعثة وههنا وجوه اخر الاول انه يجيء للتصوير عبادته في الماضي مع
… كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة
والاصل اصبحت عدل عنه للمطلوب المذكور والثاني انه يجوز ان يحمل على الاستمرار
في الماضي والآتي بقرينة الحال كما في قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا
الصلوة لعطف الماضي على المستقبل والثالث ان يقال ان الكلام واقع
في عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما مضى من الزمان وانه ان كان عبد فيه
بل وقع فيما يستقبل كما يشهد له سبب النزول وقوله تعالى لا اعبد على ظاهر
واما على ما يلوان الاولين فقوله ما عبدتم على الماضي فطلبا له من التبري
عنهم وعن عبادتهم فهو على خلاف الظاهر تامل في هذا المقام فانه يحتاج لك

حسنه المرام وانما قال ما في قوله ما اعبد في الموضعين مع ان عبارة
عنه سبحانه من دون قوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عابد ما عبدتم
لان المراد بما فيهما الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام فان قلت فعلى هذا لم
يرض بالاول بحمله على الصفة قلت لما حمل ما الثاني على الحق حمل الاول على
الباطل تحسينا للتقابل لان المراد ان كلمة ما في تمام هذه السورة في الصفة والمعنى
ان الصفة يعني شيء له كذا مثل العالم شيء له العلم لا من له العلم فاذا عبر عنه بمن
كان المناسب ان يعبر بما دون من تامل او للمطابقة اي ليكون مطابقا لقوله
ما تعبدون وقوله ما عبدتم فان كلمة ما فيهما عبارة عن الاصنام وهي من غير ذوي
العقول فيكون كلمة ما فيهما واقعة في موقعها وفي قوله ما اعبد في الموضعين للمطابقة
وقيل انها اي كلمة ما في تمام هذه السورة وهذا الايلام بما هو سبب النزول على
ما مر واعلم ان كلا من الجمل السابقة خبرية وكذا الحال في الجملتين الاخيرتين
فلا نسخ ههنا وهذا هو الظاهر وان حملت على الانشائية كانت منسوخة
ولعل قول المص فليس اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد اشارة اليه
ثم ان قوله لكم دينكم ولي دين كالتأكيد والتقرير للجمل السابقة ولذا ترك
العطف ولا خفاء في ان افتتاح هذه السورة واختتامها في كمال الارتباط
وان الدين مضاف الى ياء المتكلم لكنها حذفت اكتفاء بالكسرة وقد فسر
الدين بالحساب والجزاء والى هذا اشار بقوله في وجه آخر وهو انه وان فسر بالمتاركة
وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه لا يكون منسوخا لان التقرير على الحساب
والجزاء والدعاء والعبادة لا يكون منسوخا باية القتال واما المنسوخ
بما هو التقرير على الدين بمعنى الكفر تامل وانت تعلم ان هذا التفسير ليس مناسبا
لما هو سبب النزول ولا لاول السورة فكانما قرأ ربع القرآن رويناه عن
الترمذي عن ابن عباس وانس قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن كذا قيل عليه السلام والحمد لله على

الانام

فسبح

الانام سورة النصر بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح ولعل الفاء في فسبح
كالفاء في قوله فليعبدوا او قوله وربك فكبر وامثال ذلك والنصر الاعانة
والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها ثم ان صلة النصر ان كانت على
فمعناه الاظهار عليه وان كانت من فمعناه الحفظ منه ولعل ترك الصلة
ههنا ليذهب بكل مذهب ممكن على اعدائك هم العدو مطلقا او العرب او قريش
فاذا حمل النصر على معنى الاظهار على جميع العدو يحمل الفتح على فتح مطلق البلاد
وان حمل على الاظهار على العرب فيحمل الفتح على فتح بلاد العرب وان حمل على الاظهار
على قريش فيحمل الفتح على فتح مكة رعاية للتقابل واعلم ان الوجوه المذكورة في قوله او
اما فتح الكل من فتح مكة وفتح حديبية وفتح خيبر وفتح الروم وفتح الله له بالكلام والنبوة
والدعوة بالحجج والسيف وهو رأس الفتوح كلها جارية في قوله والفتح وان حمل اللام
على الاستغراق فكلها مندرجة تحته ويجوز ان يكون اشارة الى شرح الصدر كما
في قوله الم نشرح لك وان يكون بمعنى الحكومة وان يكون بمعنى الفتح والا
وقد قرب النصر وقت حصوله اذ الاستقبال ليفهمنا عن صيغة الماضي
وقد يقال انما يستقيم ذلك ان كان نزول السورة قبل فتح مكة لان كلمة اذا تقتضي
ان يكون الفتح المراد مترقبا لكنها انها نزلت بعد فتحها ويمكن ان يجاب عنه بان
اذا دخلت على مجموع قوله جاء نصر الله والفتح وقوله ورأيت الناس يدخلون في
دين الله افواجا واجتماع النصر والفتح ورؤية الناس داخلين في دين الله افواجا
مترقب وقتا عن نزول الآية وان كان النصر والفتح محققا جماعات فسبح
يريد الكثرة اي فوجا بعد فوج وفي البناء ايضا دلالة عليها بمعنى الرشد
عرفت قوله فتعجب لتيسير الله الخ سبحان الله كلمة يقال عند التعجب والباء للحال
اي الحال كاختلف سبحان الله وانت متلبس بالحمد فاذن لا يكون النصب بذلك
التسبيح الذكر وقيل الامر ههنا بمعنى الخبر لان الامر في صيغة التعجب ليس امرا
والمراد ان هذه القضية من شأنها ان يتعجب فيها او فضلا حامدا على

نعم فعلى هذا المراد من التسبيح الصلوة ذكر الجزء وارادة الكل قوله
وصلى صلوة الضحى ثماني ركعات الحديث رويناه في صحيح البخاري كذا
قيل قوله او فنزهه عما كانت الظلمة الخ فعلى هذا المراد منه حقيقة التسبيح قوله
او فاثن على الله بصفات الجلال اي الصفات السلبية حامدا له على
صفات الاكرام اي الصفات الثبوتية قوله على صفات الاكرام التعبير عنها بانه
بالواو على هذا المراد بالتسبيح مطلق الثناء فيحمل ذكر الخاص واراد العام
تدريجا لهم تقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق
الى الخلق هذا يدل على ان الترتيب المعتبر له دخل في تلك الطريقة فلو لم يقدم
التسبيح على الحمد بل لو عكس ينبغي ان لا يحصل تلك الفائدة وانه مع كونه محل
بحث يتجه عليه انه انما يتم لو لم يكن النظر في التسبيح والحمد الا الى انه فعل
وفي الاستغفار الى الخلق فحسب وانه ليس كذلك فانه فعل من خلق المكلفين
فعلى كل حسن فوان يتوقع في مثل ذلك قوله نزلت في منصرفه وفي فتح
قبل فتح مكة والظاهر هو الاول يعني انها نزلت في ايام التشريق
بمنى في حجة الوداع واجابته صلى الله عليه وسلم داعي الحق لما انها
وذيف وروي انه لما قراها صلى الله عليه وسلم عاش بعدها سنتان
وعلى هذا لا يبعد ان يكون النزول متقدما على فتح مكة واعلم ان قوله واستغفره
عطف على قوله فسبح او على سبح وعلى كلا التقديرين قوله تعالى انه كان
تعليل لكل منهما او لقوله واستغفره فقط تامل بطهارة كل منهما قوله
ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة الخ قيل سلمنا ان مجيء نصر الله
والفتح والامر بالاستغفار يدلان على ذلك لكنهما مستلزمان فيه ولكن
علمه واصحابه وان علق وقتا في عرض الوعد فالوعد من الكريم يدل
على قرب وقوع الموعود وقد سبق ان دخول اذا الا يجابية هنا على
صيغة الماضي يدل على القرب فتامل تمت السورة والحمد لله على الاتمام

وبين حجة الوداع

سورة

للهلاك الاولى

سورة تبت بسم الله الرحمن الرحيم قوله والتباب خسران يؤدي الى الهلاك قوله
ان تقول خسرت وهلكت قوله نفسه فعلى هذا ان اليدين مجاز عن قوله ولا
تلقوا بايديكم اي انفسكم وفي الوجهين الاخيرين ليستا مجازين بل يكونان
حقيقتين في الوجه الثالث وذكرهما للتنبيه على ما فعله ويجوز مثل ذلك في الوجه
بل في الثالث ايضا تامل قوله كانت الكنية او في حاله لان انتسابه الى النار
يدل على ملابسته اياها كما يقال هو ابو الخير وابو الشر واخو الفضل واخو الحرب
لمن يلابس هذه الامور وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه قوله وان كان يجوز
ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك كذا في الكشاف قوله في بعض النسخ
وقرا ابن كثير ابي لهب باسكان الهاء والباقون بفتح الهاء وقال الجوهري
لهب بالفتح والاسكان لغتان قوله اخبار بعد اخبار في بعض النسخ بعد دعاء فالثاني
خبر البتة والاول اما خبر او دعاء والثاني خبر او بالعكس فعلى جميع
التقادير اما ان يكون اليدان مجازين اولا وايا ما كان فالثاني ليس تكرارا
للاول والاول يحمل العاطف بينهما تامل يظهر لك وجه كل منهما قوله او الاول
اخبار عما كسبت يداه والثاني عما نفسه قال الامام يجوز ان يراد بالاول هلاك
عمله وبالثاني هلاك نفسه ووجهه ان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه وعمله فاخبر الله تعالى
انه محروم من الامرين قوله نفي لاغناء اي الخ يعني ان كلمة ما اغنى اما بفتح
مفعول اغنى محذوف اي ما اغنى ماله وما كسب شيئا او استفهامية ومحلها النصب
فليس بمحذوف قوله وكسبه او مكسوبه يعني ان ما في ما كسب اما مصدرية او موصولة
او موصوفة وعلى هذين التقديرين الرابط محذوف ثم ان ما كسب عام
يتناول ما يترتب على ماله من الارباح والنتائج والاتباع والوجاهة وكذا
يتناول عمله الذي ظن انه ينفعه وكذا يتناول ولده فتخصيصه بواحد منها
ليس على ما ينبغي قوله سيصلى سيدخل والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان
تراخى وقته ذات لهب صاحبة ملهبة وتوقد واشتعال واعلم ان السياق

الكلام يدل على ان صليها بناء على انكاره للرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال
تبا لك الهذا دعوتنا فاخذ حجرا ليرميه لما نقله آنفا ولو آمن لكان ايمانه
لما قبله فلا يكون صليها لذلك فلا بد ان يكون صليها لعدم ايمانه ففيه دلالة
على انه لا يؤمن تأمل وقرئ سيصلى بالضم القراءة بضم الياء هي المشهورة
وبالفتح هي الشاذة عطف على المستكن في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته
او مبتدأ خبره حمالة الحطب وقوله في جيدها الآية خبر بعد خبر او حمالة الحطب
بدل منه او صفة له وقوله في جيدها الآية خبره او خبر حمالة الحطب وفي جيدها
في موضع الحال هذا على تقدير ان يكون حمالة الحطب بالرفع واما تقدير النصب
فخبر المبتدأ المذكور في جيدها ويمكن ان يكون رفعه على الذم ويمكن ان يكون قوله
في جيدها حبل من مسد مستأنفا بيانا لكيفية صليها وقرأ عاصم بالنصب على
الشتم ويجوز ان يكون على الحال وهو ترشيح اي قوله في جيدها حبل من مسد ترشيح
للمجاز وهو حمالة الحطب لانه مما يلائم المشبه به لان المراد شبهت بذلك
بحامل الحطب فسميت باسمها وهي حمالة الحطب وفي جيدها حبل من مسد مما يلائم هذه
الذات شبهت تلك المرأة بها او تصوير لها الخ او هو تصوير لتلك المرأة
بصورة الحطابة التي تحمل الخ فيكون مجموع حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد
استعارة تمثيلية فعلى هذا قوله في جيدها حبل من مسد حكاية حالها في الغيا فيكون
تهديدا ووعيدا لها كما ان قوله سيصلى نارا ذات لهب وعيد لهو لها ثم اعلم ان ذكر
المصنف بعد حمالة الحطب ليس نصا في ان يكون مجازا مفردا بل يجوز ان يكون جمعه
والاسناد مجازا والترشيح في المجاز في المفرد وما يجري مجراه واما ان
الاستعارة التمثيلية الخ انما هي مجموع قوله حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد
وحده ثم ان الاولى ان يقول او بيانا لحالها الخ بالرفع على انه معطوف على
قوله ترشيح للمجاز لانه على هذا التقدير ليس فيه مجاز لا في المفرد ولا المركب
والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به ويمكن ان يكون

حبل مبتدأ وفي جيدها خبره قدم عليه لكونه نكرة او لزيادة الاهتمام به
او للتقوي وهذه الجملة خبر او استئناف لبيان حالة الحطب في السورة
والحمد لله على الاتمام سورة الاخلاص بسم الله الرحمن الرحيم مختلف فيها قيل مكية
وقيل مدنية وآيها اربع او خمس لانها هو كحكم هذه الجملة حكم المفرد
قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى بخلاف قولك زيد ابوه منطلق فان
زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وخبر الجملة قد
يتوهم الاستدراك في هذه الجملة بناء على ان الله تعالى علم لذاته الحقيقي وهو لا
يكون الا واحدا ودفعه ان المراد اثبات الوحدة في حقه صفة وجوب الوجود
او الالوهية على الحق او ما عداه وحده لا في الذات اي الذات المتعين
عنه هو الله فعلى هذا يجوز ان يكون هو مبتدأ ثانيا او فصلا بين المبتدأ والخبر
وخبر ويجوز ان يكون مبتدأ بان يكون راجعا الى الرب في قول السائل صف لنا
ربك وما ذكر المصنف هو حاصل المعنى لا بيان الاعراب وبالجملة اما المبتدأ
محذوف او الضمير مبتدأ راجع الى امر مقدر مذكور في كلام السائل والارجحان
للاول على الثاني وقد يتوهم ان الجزء الحقيقي هو الله وقع محمولا على هذا الوجه
ودفعه ان المقصود هنا هو اثبات صفة وجوب الوجود او الالوهية على الحق
واحدا لها على انه مدفوع بما هو المشهور فيما بينهم وهو ان المحمول هو المسمى بهذا
اللفظ في اجمال ذلك واحد بدل قيل انه مبني على مذهب ابي علي فانه
يجوز ابدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة ويمكن ان يقال ان التنوين للتعظيم
ليكون نكرة موصوفة فينطبق على ما عليه الاكثر الذي هو انه اذا ابدل نكرة
من معرفة فالنعت واجب ذكره او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف اي هو احد
ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله بدلا منه او عطف بيان له واحد خبره قوله
يدل على مجامع صفات الجلال اي العظمة يقال اجل فلان اذا عظم قدره وجلاله
عظمته وقد تفسر بالصفات السلبية ولعل هذا هو المناسب في هذا المقام

هذا هو الوجه دون الاول

ويؤيده الواحد
حيث قال اي الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات اي كانه جعل الاحد بمعنى الواحد
قراءة الاعمش قل هو الله الواحد وقد يفرق بينهما فيقال هو الواحد في ذاته الذات
اي لا تركيب فيه و واحد في الصفات اي لا شارك له فيهما وبالجملة انهم على
احدهما انهم لا يفرقون بين الاحد والواحد وهو مختار صاحب الكشاف ومن
تبعه قال الجوهري الاحد بمعنى الواحد وهو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن
معه آخر وثانيهما انهم يفرقون بينهما فالواحدية لنفي المشاركة في الصفات
والاحدية لتفرد الذات وقيل عليه المحققون وقالوا لم يشكل في شانه هو احد
من الاحد مع ظهور الاشتقاق والتفاوت في المبالغة من حيث البناء والاول
جعلوهما واحدا نظرا الى الاصل وقال الازهري في تفسير اسماء الله تعالى
الاحد من صفات الله التي استاثر الله بها فلا يشركه فيها ولا يوصف شيء بالاحد
غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد وانما يقال رجل واحد وقيل الواحد
هو الذي لا يتجزى ولا يثنى فلا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين
الوصفين الا الله تعالى وروى صاحب النهاية عن الازهري انه قال الفرق بين
الواحد والاحد ان الاحد شيء بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول ما جاءني
احد والواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول جاءني واحد من الناس ولا تقول
جاءني احد ومنه ظهر ان كلامهم في تحقيق معنى الواحد والاحد لا يخلو عن اضطراب
ثم ان المص حمله على الواحد الحقيقي من حيث لعل اخذه من التنكير بمعونة المقام
والمراد بالواحد الحقيقي هنا ليس الا تكثر فيه لا بحسب ذاته ولا بحسب صفاته الحقيقية ولا
الاعتبارية ولا بحسب الالات والجوارح والشرائط والقوابل لانه لا يصح ما يصح
في حقه تعالى على راي المتكلمين سيما الاشاعرة ومن يجوز منهم بل المراد به
تعدد فيه لا بحسب ذاته ولا بحسب صفاته المختصة بالالوهية ويؤيده قوله اي الواحد
الحقيقي ما يكون منزه الذات اي يعني انه ما يكون منزه الذات عن وجوه التركيب
ذهنيا او خارجيا حقيقيا او اعتباريا وعن وجوه التعدد عن المشاركة

التعدد ذهنيا او خارجيا في
[illegible] التشكيك احدهما
كالشخصية فانها لا تستلزم
التركيب والتعدد [illegible]
فانها لا تستلزم

الذاتية اي
في الحقيقة وهي من خواص الالهية فهذه الخواص كالوجوب الذاتي والقدرة
التامة المستغنية عن الذات لا عن الغير والحكمة التامة وهي العلم بجميع الاشياء على ما هي عليه
في انفسها وفعلها على ما ينبغي ولا شك انها مقتضية لكمال الوجود ولا يتيسر
تلك المرتبة من الممكنات قط واعلم انه يمكن اثبات الوحدانية بالدلائل
النقلية لعدم توقف صحتها على التوحيد وعليها الاعتماد ولشهرتها لم نذكرها بل المعتبر
وقد اقاموا عليها دلائل عقلية كثيرة ونورد منها ما اورده بعض الافاضل
وهو وجوه اربعة الاول ان الواحد اما ان يكون كافيا في تدبير العالم وخلقه
او لا يكون فان كان كافيا كان الآخر ضايعا غير محتاج اليه وذلك نقص
والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص وبني عليه انه ان كان المراد
بالكافي ما يكون قادرا على ايجاد العالم منفردا فنختار ان الواحد كاف ولكن لا نم
ان الآخر ضايع لجواز كون كل منهما كافيا بالنظر الى كونه لكن يتعلق ارادتهما بالايجاد معا
بالاشتراك كما ان المستقل في الاقتدار على شيء ربما يفعله بالاشتراك او يتعلق ارادتهما
بان يوجد احدهما بعضا من الموجودات والآخر بعضا آخر منها وان كان المراد به ما يكون
موثرا بالفعل مستقلا في تدبير العالم فنختار انه ليس بكاف ولا نم لزوم النقص وكونه الها اي فانه
علة موجبة لما كتبه المتكلمون لا يقولون بالالهية الثاني ان العقل يقتضي قبح
المتعدد اي فاعل ان النافع الواحد كاف فما وراء الواحد ليس بعدد اولى من
عدد ويقتضي ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذا لحال وللقول بوجود الآلهة
الى قدر الكلام بعض الآلهة ومع ذلك يتجه عليه انه ان اراد ان ما وراء الواحد ليس
عددا اولى من عدد في نفس الامر فممنوع لا بد له من بيان وان اراد انه ليس عددا
اولى من عدد في نظر العقل فمع تقدير تسليمه لا يجدي نفعا وذلك ظاهر
والثالث ان احدهما اما ان يقدر على ان يستر شيئا من افعاله عن الآخر او لا
يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا
وفيه انه لا يلزم من قدرته عليه كون المستور عنه جاهلا بالفعل وهو ظ

وان اراد امكان كونه جاهلا بالنظر الى ذاته المستور عنه فلزومه ايضا ممنوع وان اراد
امكان كونه بالنظر الى ما تاثر فاستحالته ممنوعة فتدبر الرابع انا لو فرضنا متعددا ممكن
الوجود فان لم يقدر واحد منهما على الايجاد كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها
وان قدر احدهما دون الاخر فالاخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجدا بالتعاون
فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الاخر فيكون كل واحد منهما عاجزا او ان يقدر كل واحد منهما
على الايجاد بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد
الموجود محال وان لم يبق فيكون الاول مزيلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت
تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدورا بنفسه فقد زالت قدرته
فيلزم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا اوجد مقدورا بنفسه
فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا واما الشريك فما نفذت قدرته
بل زالت قدرته بسبب قدرة الغير فكان ذلك تعجيزا وسخ عليه ان يقال انا نختار انهما
قدرا جميعا واوجدا بالتعاون لكن لا نسلم ان كل واحد منهما محتاج الى اعانة الاخر
لجواز كون كل منهما قادرا على الايجاد بالاستقلال لكن تعلق ارادتهما بان يوجدا
بالاشتراك كما ان المستقلين في الاقتدار ربما يشتركان في صنعة بالاشتراك سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز
ان يقول انا نختار ان كل واحد منهما قادر بالاستقلال على ايجاده لكن اراد احدهما وجوده
فوجد والاخر لم يرد وجوده ولا عدمه فلا يلزم ان يكون عاجزا ومقهورا تحت
تصرفه وانما يلزم ذلك لو اراد الاخر وجوده او عدمه وههنا الوجه هو الحقيقة بدون
التمانع الذي اراد سبحانه وتعالى بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والكلام في تطبيقه بدليل الملازمة
وتحقيقها طويل لا يناسبه المقام وفي كلامي رسالة افرد بها في هذا فليرجع اليها الكلام
انشاء الله تعالى الملك العلام واعلم ان هذه الوجوه مبنية على ان السمع يستحيل
بالاجماع القطعي كما صرح به بعض الافاضل وثبتنا الواحد الحقيقي المذكور
تامل قوله دال الله على جميع صفات الكمال لعله مبني على ان الله اسم للذات الواجب
الوجود والمستحق لجميع المحامد فان يكون هذا الوصف معتبرا في مدلوله وانا لو

كان موضوعا للذات المخصوصة من حيث هي ولم يعتبر الوصف المذكور وما يتوهم من
ان لا اله الا ما ذكره محل بحث ولا اعتماد في وجه وقوع لفظ الله جوابا للسؤال عن
الصفة على ما ذكره وقد يقال وجه ايراد العلم ههنا احضاره بعينه في ذهن السامع
ابتداء باسم يختص به مع ان احضاره بعينه في ذهن السامع لا يمكن ههنا تعظيما
لانه ليس معلوما على الوجه الجزئي بل انما هو معلوم على الوجه الكلي ولا تفاوت في الاحضار
بين هذا اللفظ وبين الواجب لذاته والقديم بالذات وغير ذلك من الالفاظ الموضوعة
للمفهومات الكلية المنحصرة في ذاته تعالى واستدل على انه علم بان قولنا لا اله الا الله
كلمة توحيد بالاتفاق من غير ان يتوقف على اعتبار عهد فلو كان اسما للمعبود بالحق
او الواجب لذاته لا علما للفرد الموجود منه لما افاد التوحيد لان المفهوم من حيث هو
يحتمل الكثرة واتهم فالمراد بالاله في هذه الكلمة اما المعبود بالحق فيلزم استثناء الشيء
عن نفسه او مطلق المعبود فيلزم الكذب لكثرة المعبودات الباطلة فيجب ان يكون الاله
بمعنى المعبود بحق والله علم للفرد الموجود منه والمعنى لا مستحق للعبودية في الوجود
او موجود الا الفرد الذي هو خالق العالم وقيل كلمة بعد تسليم انه اجمع على اعتبار
العهد انه عنيتم ان التوحيد يستفاد من تلك الكلمة صريحا فممنوع وان عنيتم انه يستفاد منها
مطلقا فلا نسلم ان كلمة المفهوم ينافي لزوم التوحيد وانما يكون كذلك لو لم يدل الدليل على ان
الواجب لا يكون متعددا وفي الوجه الاخير ايضا من قسمه فليتامل وقال بعض المحققين كما
تاهت العقلاء في ذاته تعالى وصفاته لاحتجابها بانوار العظمة تحيروا ايضا في لفظ
كانه انعكس اليه من تلك الانوار اشعة بهرت اعين المستبصرين فاختلفوا اسريانى
هو ام عربي اسم او صفة ومم اشتقاقه او علم او غير علم وتفصيل الكلام فيه
في اول الكشاف وما يتعلق به من الشروح والحواشي قوله وقرأ هو الله احد الخ في
قراءة النبي عليه السلام الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن
كذا في الكشاف قوله مشاقة الرسول عليه السلام لماله في بعض النسخ مساق من السوق على العدد
والمال واحد قوله فلا يناسب ان يكون منه هذا الا يناسب ما ذكره من نفي الجواز مع

ذلك لا يدل على انه لابد منه في قل يا ايها الكافرون اي مناقضة وموادعة لهم
ان يكون من عنده وان يكون ماخوذا به كالتوحيد ولعل الاول هو ذلك الاستدلال
بما تستحكم الثقات وتركه ما ذكر من الدليل العقلي قوله وتعريض لعلمهم بالصمدية
بخلاف احديته فانه ابدء الاخبار بها مع علمهم لما التنبيه على ما علموا ليعملوا
بمقتضاه والاولى ان يجعل تعريف الخبر للحصر ودعوى علمهم بصمديته يحتاج
الى بيان ما من بعضه ويويد ما ذكرناه ما ذكره بعض الافاضل في سياقه عرف الخبر
في الله الصمد نفيا لزعم من يسمي غيره صمدا ونكر في الله احد لانهم لم يثبتوا
شيئا احدا بهذا المعنى وتكريره بتقدير تفصيل الكلام في تعريف الخبر باللام في سورة
الكوثر فتذكر ثم اعلم ان كلام المص الظاهر يدل على تعريف الخبر بعيد معلومية الحكم
للمخاطب وفيه بحث لان الحق ما ذكره في شرح التلخيص من ان يكون المبتدا
والخبر معلومين لا ينافي كون الكلام مفيدا للسامع فايدة مجهولة لان ما
يستفاد ويستفيده السامع من الكلام هو انتساب الخبر الى المبتداء وكون
المتكلم عالما به والعلم بنفس المبتداء والخبر لا يوجب العلم بانتساب احدهما
الى الاخر والحاصل ان السامع قد علم امرين لكنه يجوز ان يكونا متعددين
في الخارج فاستفاد من الكلام انهما متحدان في الوجود الخارجي بحسب الذات
ويكرر لفظ للاشعار بان من لم [illegible] قد تناقض فيه ان وجه الاشعار ليس ظاهرا
فتامل قوله لانه كالتتميم للاول لان الواحد الحقيقي بالمعنى المذكور صمد البتة
قوله او الدليل عليها لان الموصوف بالصمد على الاطلاق واحد حقيقي البتة
وينبغي ان يعلم انه يجوز ان يكون الله مبتداء والصمد صفة له ولم يلد خبره
فلا يكون الله الصمد جملة بل مركبا تقييديا بهذا وقيل الوجه الاول لان الكلام
اجمالي فيها قال احد هو الواحد الذي هو مدفوع الشركة والاحد الذي لا
تركيب فيه فالواحد نفي الشريك والمثل والاحد نفي الكثرة في ذاته
والصمد الغني المحتاج اليه غيره وهو احدي الذات واحدي الصفات

لانه

لانه لو كان له شريك في ملكه لما كان غنيا يحتاج اليه غيره بل كان محتاجا في
قوامه ووجوده الى اجزاء تركيبية فالصمدية دليل على الوحدانية والاحدية
ولم يلد دليل على ان وجوده المستمر ليس مثل وجود الانسان الذي يبقى نوعه
بالتوالد والتناسل بل هو وجود مستمر ازلي ابدي ولم يولد دليل على ان
وجوده ليس مثل وجود بني الانسان الذي يحصل بعد العدم ويبقى الى
اما في جنه عاليه لا يعني وانما في [illegible] لا ينقطع ولم يكن له كفوا احد دليل
على ان الوجود الحقيقي الذي له تعالى هو الوجود الذي يفيد وجود غيره ولا
يستفيد الوجود من غيره فقوله تعالى هو الله احد دليل على اثبات ذاته المقدسة
المنزهة والصمدية يقتضي نفي الحاجة عنه واحتياج غيره اليه ولم يلد الى اخر السورة
سلب ما يوصف غيره عنه ولا طريق الى معرفة الله تعالى اوضح من سلب صفات المخلوقات
عنه لانه لم يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد قيل في التعليل نظر
لانه قد يحصل الولد من غير المتجانس كالذئب والسبع والفرس والحمار
وفيه بحث لان نفي الايقاع اتحاد في الجنس ان كانت بعيدا والى الشيء
الالاتي في الجنس مطلق سواء كان قريبا او بعيدا بمرتبة او بمراتب [illegible]
قوله لم يلد على قوله لم يولد لرعاية رؤس الاي او لزيادة الاهتمام به او لانه
كالدليل على قوله الله الصمد فتامل اي ولم يكن احد يكافيه او يماثله هذا
اشارة الى ان الكفو اما من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة اي [illegible]
بمعنى المماثل نفيا مطلقا للمماثلة ولعل المتمم هي نفي الامور الثلثة عنه تعالى
سبيل التتابع لكنه خص نفي الماضي بلفظها على ان تلك الامور لم يكن في زمان من
قط حتى يتوهم تحققها فيه ومن زعم ان نفي الكفو الماضي لا يدل على نفيه في الحال
والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في عميم لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يمكن في الحال
ضرورة او اي [illegible] لا يكون كفوا التقدم كذا قيل لان اي الدين اذ الظرف
وهو له لغو لانه متعلق بكفوا قيل وانما قدم الظرف بالكفو لان الكلام

في معمول الفعل وفيه بحث حيث قدم تقديرا للاسم حاصله ان تقديم اللغو اي يكون
فيقبح اذا لم يجعله عارضين مهما اي اذا جعله عارضين كذلك صار وكذا حكم المعمول
مع الفعل وان علله بجواز ان يكون تقديمه لافادة الحصر وتقليل الراي الى الحاجة
قال انما قدم للاهتمام تناسب الفواصل فلو قدم على احد لحصل الغرض لكن كان
يقع الفصل بين الجزئين اللذين هما مسند ومسند اليه فقدم عليهما جميعا ليحصل
الغرض وانت تعلم الحال في تقديم خبر لم يكن على اسمه وله وجوز ان يكون الظرف حالا من
المستكن في كفوا وتقدير الكلام ح ولم يكن احد كفوا له او يكون الظرف خبرا لقوله
لم يكن كفوا حالا من احد تقديره ولم يكن له احد كفوا فقدم كفوا منصوبا لانه الموضع
يحكم فيه ولانه في شيء ما وينبغي ان يعلم ان الظرف ح ليس بلغو بل هو مستقر لكن
فيه تقديم خلاف الاصل وهو ان الحال قد تقدم على ذي الحال مع تقديم الخبر على الاسم
كما كان ولا بد لكل منهما من نكتة فلا يكون هذا الوجه بمثابة الشبهة والظاهر
هو الاول وهو الذي ذكره صاحب الكشاف قيل لان المراد نفي اقسام الامثال بهذا
يفيد ووجه عطف الجمل الثلث بعضها ببعض والظاهر ان قوله ولم يكن له كفوا احد من
قبيل التعميم بعد التخصيص لانه نفي قسم من الامثال جملة نفي جملة واحدة للارتباط
المذكور بينها منبه عليها بالجمل السابقة فتلك الجمل الثلث كالتعميم للجمل السابقة
ولذا كانت غير معطوفة وقيل من كلام الشيخ نصيح الدين رحمه الله لم يعطف الله الصمد لان
الغني المطلق الذي يفتقر اليه كل شيء لا يصح ان يكون والدا ولا مولودا لان
ذلك يستلزم الافتقار بالضرورة وعطف لم يلد على لم يولد لان لم يولد لا يستلزم عدم
لم يلد فلم يكن محققا لمعناه بل الجملتان محققتان لمضمون الجملة السابقة وعطف
ولم يكن له كفوا احد لان مضمونها لم يكن محققا لمضمون السابق لانها لا
تنفي غير ان لا يمكن ان يكون من له مماثل في شيء من الذاتية والصفات ونحو
واحد لا شريك له تنزه وتقدس وعرف الخبر في الله الصمد نفيا لغير من غيره صمدا
ونكر في الله احد لانهم لم يسموا شيئا احدا بهذا المعنى واعلم ان

بعض

بعض هذا الكلام قد ذكرناه سابقا ومع ذلك اوردناه لزيادة توضيح المقام
واعلم ان بعض المحققين قال ان التوحيد ينفي وجود المماثل في الالهية وتعددها ونفي
المكافي في القوة وكل منهما متاخر في المرتبة كالمعلول بين الوالد والمولود ونفيهما
كالعلة بين الوالد والولد واما مع نفيهما كالتقارن بين الكفو فهذه الجمل الثلث بتفصيل
لمراتب التوحيد فان لم يلد نفي الصنف الاول ولم يولد نفي الصنف الثاني ولم يكن له
كفوا احد نفي الصنف الثالث على تفصيل قاعدة التوحيد المذكور بقوله الله احد وقوله
الصمد دليل عليها او نتيجة لها كما ذكره المص والعلم عند الله تعالى وقرا حمزة ويعقوب
ونافع في رواية وحفص بضم الكاف وضم الفاء من غير همزة وحمزة باسكان الفاء
مع الهمزة في الوصل فاذا وقف ابدل واوا مفتوحة والباقون بضم الفاء مع الهمزة
كذا قيل كفوا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص
الباقون مثقلة مهموزة كذا في المدارك ومنه يعلم اصطلاحهم في تعبير الهمز
ولاشتمال هذه السورة مع قصرها جمل لا دخل له في المهم وهو الحكم بانها تعدل
ثلث القرآن على جميع المعارف بناء على ما ذكره من ان الله دل على جميع صفات الكمال
والاحد دل على جميع صفات الجلال ان تم والافلا واندراج ارسال الرسل
وما يجري مجراه تحته محل بحث ولو تم ما ذكره لكان كل سورة افردت لفظ الله
ولفظ الاحد تعدل ثلث القرآن وايضا يمكن ان يقال ان الله كما دل على جميع
صفات الكمال كما ذكره دل على جميع صفات الجلال ايضا والدال على نفي
الحد فيها يمكن ان يكون هذا اشارة الى العلة ولعل الاقتصار على لفظ [illegible]
لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله جاء في الحديث
انها تعدل ثلث القرآن عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايعجز احدكم ان يقرا في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرا ثلث القرآن قال قل
هو الله احد تعدل ثلث القرآن رواه مسلم ورواه البخاري عن ابي سعيد كذا
في المشكوة فاذ مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص

وقيل لان المقصد التوحيد وما عداه فرع اليه وعدل عن تلقيب باعتبار انواع
العلوم الثلثة التي هي مقاصد القرآن علم المبداء وعلم المعاد وعلم ما بينهما هو
الصراط المستقيم وقيل معناه ثوابها يضاعف بقدر ثلث القرآن بغير تضعيف
فعلى ما سبق لا يلزم من تكريرها استيعاب القرآن وختمه وعلى الثاني يلزم قوله
ومن عدلها بكله قيل الصحيح ثلث القرآن وختمه وعلى الثاني يلزم قوله
ومن عدلها بكله قيل الصحيح ثلث القرآن عن البخاري ومالك وابي داود
والنسائي عن ابي سعيد ولا تنافي بين الروايتين من حيث التحضيض على
قرءة المهم قوله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع الخ عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قال الجنة رواه
مالك والترمذي والنسائي تمت السورة والحمد لله على الاتمام سورة الفلق
بسم الله الرحمن الرحيم مختلف فيها مكية او مدنية قوله والاكثر [illegible] وهو الفلق
والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق اي الليل ينشق عن الصبح فيخرج الصبح
فالليل مفلوق والصبح مفلوق عنه وقيل يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح
ومن فرق الصبح واضافته اليه باعتبار التفسير به واجيب بانه ليس المعنى
تفسيره انه موضوع للصبح اسم له بل اريد به انه صفة للصبح اتصف بمعناه فاذا اتصف
بها واضيف الفلق الى الصبح كانت تلك الاضافة كالاضافة في قولهم جرد
قطيفة واخلاق ثياب واعلم ان الفلق هو مطلق الممكنات والصبح على ما ذكره وقيل
او هو واد في جهنم او جب فيها اذا فتح صاح اهل النار من شدة حره
قوله لان الاعادة بعد المضار تربية ولان اسم الرب يدل على تربيته
في الممكنات وتصرفه فيها وهو انسب بالاستعاذة منه ويؤيده اضافة الرب
الى الفلق لا الى المستعيذ قوله تعالى من شر ما خلق ما مصدرية او موصول والخلق
بمعنى المخلوق او موصولا وموصوفه والعائد محذوف قوله خص عالم الخلق
حمل ما خلق على عالم الخلق في مقابلة عالم الامر باطل قوله وقيل ما خلق اي

النار

النار والشيطان والظاهر عدم التخصيص بها قوله اختياري لازم لا يتعدى
ضرره الى الغير كالكفر ومتعد يتعدى ضرره اليه كالظلم والطبيعي الاختياري
متعد اليه كاحراق النار واهلاك السموم وكلاهما شر به وما ذكر من ان عالم
الامر خير كله انما يتم اذا كان الجن والشيطان من عالم الخلق لا من عالم الامر
تامل قوله وقيل المراد به اي بالغاسق القمر ويؤيده حديث عائشة رضي الله عنها
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فنظر الى القمر فقال تعوذي بالله من
شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قيل الغاسق الثريا [illegible]
او الغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه قوله او النفاثات السواحر اللاتي
الخ اما مطلق او بنات لبيد بن الاعصم فعلى الاول اللام للاستغراق
وعلى الثاني للعهد ولعله اولى مما قيل النفاثات النساء او النفوس
او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن
عليها ويرقين وذلك لان حملها على مطلق النساء بعيد كما لا يخفى قوله
ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم الخ روي انه صلى الله عليه وسلم سحر وروي انه
لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه وانتثر شعر رأسه وكان يرى انه
ياتي نساءه ولم ياتهن وانه يفعل الشيء وما يفعله فجاءه ملكان
وهو نائم فقال احدهما ما باله قال طب قال صاحبه وما طب قال سحر
قال ومن سحره قال لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطة وجف طلعة
ذكر هو وعاء الطلع وهو في ذروان تحت راعوفة البئر فارسل صلى
الله عليه وسلم فاستخرج جف الطلعة فاذا فيه مشاطة رأسه وبعض
اسنانه فنظم وتر فعقد فيه احدى عشرة عقدة ونزل قل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس السورتان فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة
ووجد خفة حتى انحلت العقد فقام كانما انشط من عقال وروي
انه لم يبلغ السحر منهم فقال تبارك [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

زمان كان على ما هو الملايم للاطلاق فليس الا كما ذكر مع انه لا حاجة اليه
في هذا المقام وذلك لان عطف البيان للبيان وتعوده ملايم للبيان
وكمال الانكشاف في نظر العقل ولذا كان مظنة للاظهار دون الاضمار كما
يشير اليه دلالة على انه حقيق بالاعاذة لكونه ربا قادرا عليها لكونه
ملكا غير ممنوع عنها لكونه الها ثم يتغلغل في النظر اي يمعن فيه حتى يتعين
انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق الملك
شيء ومعه ان قوله ملك الناس لا يشعر به وانه لا يناسب لما ذكر من ان الملك
قد لا يكون الها وكذا الحال في اشعار ملك الناس على الاستدلال على انه المستحق
للعبادة لا غير وتدرج عطف على دلالة واشعار وقوله تنزيلا علة لتحقق
الوجه وقوله اشعار وعلة التدرج بكل الآية المستعاذ منها اي الآفة المعتبرة
التي يقدر على دفعها الرب اي المربي والعظمة التي يقدر على دفعها الملك والعظمى
التي يقدر على دفعها الاله لا في الاظهار من حيث البيان بمعنى ان عطف
البيان للبيان والتوضيح فكان مظنة للاظهار دون الاضمار وهذا
مبني على ان الناس المأخوذ ههنا مرارا بمعنى واحد كما هو الظاهر وقيل المراد
بالناس الاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشبان
ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله
المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحون اذ الشيطان مولع
باغوائهم وبالخامس المفسدون لعطفه على المعوذ منه اي الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة يعني ان الوسواس بالفتح اسم بمعنى المصدر وهو
الزلزلة والزلزال ونقل عن بعض المغاربة الفرق بين المصدر واسم
المصدر هو ان المعنى الذي يعبر بالفعل الحقيقي الذي هو مبداء
الفعل الصناعي ان اعتبر فيه تلبسه بالفاعل وصدوره عنه وتجدده
فاللفظ الموضوع بازائه مقيدا بهذا القيد يسمى مصدرا وان لم يعتبر

فيه

144

وقيل اسم

فيه ذلك فاللفظ الموضوع بازاء ذلك مطلقا عن هذا القيد هو اسم المصدر
لكل مستعمل للكل والاول لا يصدق دون شاهد والتحقيق ان ذلك العلم يكن على قياس
المصادر فيقال له اسم المصدر كما يقال النحو لبيان واحاديث اسم الجمع والمراد به
الموسوس قيل الوسواس الصوت الخفي وهو اسم بمعنى الوسوسة وجعله بعضهم
مصدرا والوسواس بفتح الفعل على الاخير فيه ولا بمعنى والمراد الشيطان وسمي
وسواسا لكثرة ملابسته اياه وبكسر الواو مصدر اي من شأن الوسواس
الذي عادته ان يخنس يعني انه منسوب الى الخنوس من حيث انه جعل الخنوس
عادة له كالعواج والبتات قيل روينا في صحيح البخاري تعليقا عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيطان جاثم على قلب
ابن آدم واذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس على الصفة والبدل
او عطف البيان وفي الكواشي يكفي الوقف على الناس ان رفعت او نصبت
ذما ولا يجوز ان جررته صفة للخناس الذي يوسوس في صدور الناس
بيان للوسواس او للذي وعود بهذين الوجهين واحدا لان المراد
بالوسواس هو الموسوس والشيطان انسي وجني كقوله شياطين الانس
والجن والمعنى من وسوسة الانس والجن او متعلق بيوسوس ومن
ابتداء غاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن انهم يضرون وينفعون
ومن جهة الناس كالمنجمين والكهنة انهم يعلمون الغيب على ان المراد به
يعم الثقلين يعني على هذا الثقلان بالناس تغليبا والمعنى يوسوس في
صدورهم جني والناس الذين هم انس وفي الكواشي او محل الجنة
حال من الناس اي كائنين من الثقلين او من الجنة بدل من
شر او من ذي الوسواس او الناس الاخير عطف على ذي
الوسواس كقوله يوم يدع الداع دي فهي من حيث
اناض الناس تمت السورة والحمد لله على

قوله وانما جعله للجنس لا للعهد لان الاول اولى [illegible]

قوله [illegible] قال صاحب [illegible] فالوقف كافي لانه [illegible] [illegible] بالكلام الاول [illegible] على الوصف [illegible] المنعوت [illegible] وكذا الوقف على [illegible] السنيع [illegible]

والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله خير الأنام
صلى الله عليه وعلى آله أجمعين وسلم وقد وقع الفراغ عن
كتابة هذه النسخة الشريفة يوم السبت الثامن
عشر من شهر الله الأصم سنة تسع وثمانين وتسعمائة
على يد العبد الضعيف الراجي رحمة الباري الولي العفو الغني
أبو الفضل الركني الواي بن محمد ... الله غفرانه
بحق النبي وآله أجمعين

الحنظل
ابن رشد
الحنظل
نقوع
الغراسقيني منزل
بالعز أرمي منزل
وجهيم بالعز
لا تسقني كأس الحيوة بذلة
كأس الحياة بذلة كجهنم
سبحان ذي الملك والملكوت

سبحان الملك القدوس
سبحان الملك الحي الذي لا يموت
مقامات الوزير كل أجل
كتبيان اللوح على الصدور
دوام الشيء وابتدام البناء
وقد عم الوزير